
طبعة
7
رواية
طقوس شيطانية
الملعون
عمرو المنوفي
ساحر الكتب

اسم المؤلف: عمرو المنوفي
اسم الكتاب: طقوس شيطانية
تدقيق لغوي: سارة صلاح
الطبعة الأولى: 2019
رقم الايداع: 2019/1498
الترقيم الدولى: 978-977-6709-18-8

دير للنشر والتوزيع©

2 عمارات الو ادي المنطقة 11 الحي الثامن مدينة نصر القاهرة
تليفون: 002024725789

E-mail:deer.publishing@gmail.com
Facebook @ deer.publishing
Instagram @ deer_for_publishing
Twitter @ deerpublishing
WhatsApp : 00201010106268

#في_القراءة_حياة
#القراءة_حب

عضو اتحاد الناشرين المصرين.
القاهرة- جمهو رية مصرالعربية



عمرو المنوفي

طقوس شيطانية

(الملعون)

رواية





الجزء الأول

استحواذ



- 1 -

أدارت "ليندا" مفتاح جهاز التكييف الملحق بتابلوه السيارة الفولكس فاجن الجديدة، والتي كانت قد أنهت أقساطها منذ عدة أيام لتزيد من درجة حرارة السيارة الداخلية لأقصى درجة، في محاولة منها للتغلب على البرودة الشديدة بالخارج، وهي تنظر إلى الأمام في تركيز شديد للمحافظة على توازن السيارة مع صعوبة القيادة الليلية على مثل هذا الطريق المتعرج.

كان الطريق ممتدًّا أمامها وكأنه بلا نهاية، فما زال أمامها أربعون دقيقة كي تصل إلى "توليدو" حيث يقع منزلها الحبيب، وفراشها الناعم الدافئ.

أشعلت الراديو لتلتمس بعض الصحبة، وتعرف حالة الطقس، فأتى صوتُ المذيع الداخلي الأجش ليعلن:

- "ومع زيادة الرياح الباردة التي تجتاح ولاية أوهايو الأمريكية، وخاصة مدينة "توليدو" الساحلية، ومدينة "بلو جرين"، و"كليفلاند". نهيب بالسادة السائقين اتخاذ جانب الحذر، والقيادة بسرعات متوسطة لتجنب الحوادث الكثيرة المحتملة، وخاصة مع

تكاثف السحب، وتوقعات كبيرة بتساقط الثلوج، وبالنسبة لمدينة شيكاغو فنتوقع سقوط الثلوج الـ...."

وتوقف الصوت فجأة فأدارت مؤشر الراديو عدة مرات فأصدر تشويشًا شديدًا؛ مما يعني انقطاع الإرسال في هذه المنطقة، فأغلقته ساخطة وهي تتنهد في إرهاق مع هذه الأخبار السيئة عن الجو، وخاصة بعد أن أنهت أعمالها في مدينة "بلو جرين" بعد رحلة شاقة أخرى كانت قد قامت بها إلى مدينة "فاين دالي"، والتي تبعد عن "بلو جرين" بربع الساعة.

حدَّثت نفسها قائلة:

- "كم أكره القيادة الليلية، ولولا تلك الصفقة الهامة لما جرؤت على الخروج في مثل هذا الجو المخيف، مع هذا الحِمل المرهق، وضوء القمر الشحيح الذي ما إن يظهر حتى يتوارى خلف السُّحُب من جديدٍ، وهذه الأشجار التي تصطف على جانبي الطريق بشكل موتر للأعصاب، وكأنها أشباح متربصة تنتظر اللحظة المناسبة لمهاجمتها.

كانت قد أنهت بَيع منزل قديم لعميل جديد، وإيجاره في نفس الوقت لعميل آخر في صفقة مزدوجة رابحة، مما يشي بمهارتها الشديدة في فنون التسويق والبيع والشراء.

كما أنها كانت في طريقها لتوقيع بعض عقود التأمين الأخرى مع عدة عملاء آخرين تعرفت عليهم في نفس الرحلة، وأقنعتهم بابتسامتها الساحرة بأهميتهم في الحياة، وبالضرورة المُلِحَّة للتأمين على هذه الكنوز.

وكانت تقصد بالكنوز أثمن ما يملكون، وهي حياتهم بالطبع.

حقيقة لم تكن مهتمة بحياتهم بقدر اهتمامها بعمولة بوليصة التأمين، والتي تتوقف على مقدار المبلغ المؤمَّن به.

كانت سعيدة بشكل عام، ولولا ذكرى زوجها السيئة، وذلك الداء الوبيل الذي أصابه من معاقرة الخمر لأصبحت حياتها أكثر من رائعة.

أدارت جهاز الراديو من جديد، وهي تتطلع إلى ساعتها التي تجاوزت العاشرة مساءً بخمس دقائق، وكأنها تنتظر إذاعة شيء ما؛ فأتت أصوات متداخلة توحي بعودة الإرسال، فقامت بحماس بإدارة المؤشر وهي تصغي جيدًا.

وما إن نجحت بضبط المؤشر على رقم قناة معينة تعرفها جيدًا، حتى دوَّى صوت (نات كنج كول) الشجي كالسحر لتسبح معه، ومع موسيقى الجاز التي تعشقها إلى عالم حالم عذب حزين.

لم تنقطع يومًا عن متابعة هذا البرنامج، والذي يبث أغاني "نات كنج كول" من العاشرة وحتى الحادية عشرة مساءً، وكانت أغنية (امسحي هذه الدموع) هي التي تدوِّي ومعها يرتج قلبها.

انقطعت تفكر بأحوالها الشخصية السيئة، وهي تردد كلمات الأغنية دون أن تدري أو تعي.

("اقتربي مني أكثر فهكذا أستطيع..

مشاهدة السماء في عينيك..

اقتربي مني أكثر..

فهكذا أكون أقرب إلى النعيم والجنة").

لا أحد ينكر أنها تحب زوجها إلى درجة كبيرة، ورغم معارضة والديها لزواجهم إلا أنها تزوجته، وهي تدرك بشدة أنه لا يصلح كزوج، ولكنها قررت أن تجرِّب حظها، لعلَّ زوجها سينصلح حاله بعد أن يرتبط بها.

بالطبع كانت واهمةً؛ فلم يُصلِح الزواجُ حالَه، بل جعلته المسئولية أكثر استغراقًا في عالمه الشائن، فلم تكن تراه إلا وهو مخمور أو بحاجة إلى نقود ليسكر بها، وكان سلوكه سيئًا معها حتى وصلت الأمور معها للصفع والركل والطرد من المنزل أحيانًا.. من منزلها.

لم يكن الحب والاهتمام وصفةً ناجحة لعلاج مَن هُم في مثل حالته البائسة، بعض الرجال لا يتغيرون حتى لو اقترنت بهم الملائكة.

كانت تعتقد أن قربها منه سيغير الكثير، ولكنها كانت واهمة، فقط الأمور تزداد سوءًا، والفجوة بينهما تتسع، هطلت دموعها كالسيل من الحسرة والذكريات الأليمة، وفي الخلفية دوى صوت نات كنج كول الشجي:

("اقتربي مني عزيزتي..

فهكذا أستطيع أن أسمع الموسيقى..

وهي تدوي في قلبي..

لقد انتظرت طويلًا لأسمع").

لم تكن تعتقد أنها ستنجب منه بأي حال من الأحوال؛ فمع أطنان الخمر التي تجري في دمائه، كانت تؤمن بعدم حدوث الأمر، بينها

وبين نفسها استراحت للفكرة، ثم حدثت المعجزة والصدمة معًا، وحملت منه.

ويداخلها نيا اعتقادٌ واهٍ، أن إخبارَه بالأمر سيغير من شخصيته وربما يجعله يفارق الخمر، ولكن ما حدث هو العكس.

لقد ثار وأرعد وأزبد وأخبرها أنه غير مسئول عن مصروفاتِ هذا القادم الجديد، وكأنه مسئول عن أي مصروفات من الأساس.

يومها ظلت تبكي وتبكي، حتى نضبت دموعها من الحزن والهم والانكسار والقهر.

كان صوت نات كنج كول الرخيم ما زال يدوِّي:

("محبوبتى أنا أعشقك..

وأعيش حياتي من أجلك فقط..

وهذا كل ما أريدُه من الحياة..

أن أعيش من أجلك")

كانت كلمات الأغنية تتردد على شفتيها، وهي ترثي بها لحالها حتى إنها وجهت كلامها للراديو وقالت:

- "أين هو ذلك الحبيب الذي يبادل محبوبته الحب بهذه الطريقة؟!"

ثم عادت من جديد لنهر الأحزان المتدفق نهر الذكريات.

ومن لحظتها أيقنت انه لن ينصلح حاله أبدًا، ولكنها لم تكن لتستطيع أن تنفصل عنه، ربما بقايا حب أو رغبة في ألا ينشأ الطفل في بيتٍ بلا أب أو شفقة به.

فذات ليلة من تلك الليالي المشئومة التي تنذر بالشر، والتي تعرف معها أن كل ما سيحدث فيها سيقود إلى مصيبة، وجدت الأوراق ونتائج التحاليل، لقد قضَت الخمر على الكبد والبنكرياس لدى زوجها، وأصبح على مشارف الأبدية.. إن موته مسألة وقت لا أكثر.

قررت وقتها أن تتحمل أكثر، وأن تنهمك في عملها أكثر، وأن تشغل وقتها أكثر.

وكم كانت هذه الوصفة ناجحة..

السيارة تنطلق في الطريق المتعرج الخالي بسرعةٍ وثباتٍ وصوتُ "نات كنج كول" يضعها في حالة من الشجن الخاص مما شجَّعَها على زيادة سرعتها أكثر كي تستطيع الحصول على بضع ساعات من النوم، قبل ذهابها غدًا إلى البلدة المجاورة لشراء أحد القصور القديمة، التي يرغب بها أحد عملائها.

ضغطت على دواسة الوقود بعصبية مما زاد سرعتها، وانطلقت السيارة كشهاب مشتعل تعلو وتهبط مع الطريق.

كانت في قمة تركيزها لدرجة أنها فقدت هذا التركيز للحظات، ومثل هذا الأمر قد يكلف السائق حياته، ولكن لم يكن هذا هو سبب ما حدث بعد ذلك، فمع انعطافها مع الطريق المتعرج، ومع سرعتها العالية التي تجاوزت المائة ميل في الساعة، ظهر من وسط العتمة، وكأنه نبتَ من العدم، أو خُيِّل إليها، شبح لرجل غير محدَّدِ الملامح ليفاجئها، وهي غير مستعدة لمثل هذا الموقف غير مستعدة تمامًا.

فلم تستطع أن تسيطر على عجلة القيادة مع سرعتها العالية وهي

تضغط المكابح بكل قوتها محاولة إجبار سيارتها المندفعة على التوقف، قبل أن تقوم بالكارثة الكبرى وتصدم ذلك الشبح المجهول.

ومع ضغتطها على الفرامل، ومع الطريق الزلق، انحرفت السيارة عن الطريق الممهَّد واندفعت كالصاروخ بين صفوف الأشجار الكثيفة بسرعتها البالغة، لتحطم الأغصان، وتدمر الحشائش، وتثير حولها عاصفة من الغبار وأوراق الشجر، ومع الاندفاع الشديد تحطمت مراياها الجانبية، وزجاجها الأمامي، ثم اصطدمت بجذع شجرة ضخم لتتحطم مقدمة السيارة تمامًا، ثم تتوقف أخيرًا، لتنفجر في وجهها أكياسُ الحماية الهوائية.

كادت أن تفقد حياتها، ولم ينجِّها من الاندفاع خارج السيارة المنكوبة، إلا حزام الأمان.

و............................

فقدت الوعي لفورها.

ولوقتٍ قصيرٍ بعدها دوَّى صوت (نات كنج كول) الرخيم:

("القمر خلق من أجل ليالي يونيو..

ومن أجله خُلِقَت ليالي يونيو..

آه يا عزيزتي..

خلقوا من أجل الحب والرومانسية..

من أجل القبلات السماوية..

من أجل الشفاه الحلوة التي لا تتوقف..

عن العطاء..

وفي تلك الليلة الرائعة..

كنتِ أنتِ بعيدة")

ثم حدثَ تشويشٌ جديدٌ وتوقّفَ الصوت تمامًا وساد الهدوء المكان.

هدوء أشبه بالموت.

أو هو الموت.

- 2 -

أفاقت من الغيبوبة المؤقتة، التي شملتها نتيجة الحادث الرهيب غير المتوقع، ليداهمها صداعٌ فتَّاكٌ؛ يكاد يحطم رأسها دون هوادة أو رفق، ومع البرد المتسلل من النافذة الأمامية المحطمة ارتجف جسدها بشدة.

لم تعرف كيف نجت، ولكنها لم تبحث عن السبب!

إنها المشيئة الإلهية بلا شك.

نظرت حولها في ذهولٍ غير مصدقة ما حدثَ، والشيء الذي أدهشها أكثر أنها لم تُصَب بخدش واحد لم يُصِبها مكروهٌ بأكثر من ذلك الشعور الغريب العاتي المخيف الذي اجتاحها وسيطر عليها.

شعور مفزع، بل مروِّع.

فقد شعرت بأن هناك مَن اعتدى عليها، وعبث بجسدها.

والآلام التي تشعر بها جرَّاء هذا الاعتداء، تؤكد لها بأن مَن فعل هذا لم يكن في عجلة من أمره ، وأخذ كامل وقته لينهي ما أراد.

شعور رهيب مخيف أن تشعر بهذا الانتهاك الصارخ.

والشعور الأفظع أن تفقد خصوصيتك، وأن يصبح جسدُك مشاعًا لشيء لا تدري كنهه، لمجرد أنك فقدت وعيك في حادثٍ.

كاد عقلها أن ينفجر، وهي تفكر في كنه هذا الشيء الغامض الذي اجتاحها، وعكَّر صفوَ عالمها.

أخذت تصرخ، وتصرخ لتخرج انفعالاتها، إنها تكاد تفقد عقلها من هول ما حدث لها.

أيُّ عقلٍ مريضٍ يجبر صاحبه على الاعتداء على ضحية حادث أكثر ما تحتاجه هو المساعدة، أيُّ قلبٍ متحجر طاوع صاحبه ليفعل ما فعلَ.

فتشت في نفسها بعصبية.. والشيء الذي أثار جنونها أنها لم تجد أيَّ آثار مادية للاعتداء.

لا دماء ولا خدوش ولا سوائل ولا أثر واحد لحدوث عنف معها أو اعتداء.

إن الأمر يدعو للجنون أكثر مما يدعو للقلق.

حدَّثَت نفسها قائلة لتهدِّئ من توترها:

- "ليندا" يبدو أن عقلَك المجهد هو الذي أوحي لك بهذا الأمر الشاذ.

لعَنَت عقلها المريض الذي أدخلها في هذه الهوَّة النفسية السحيقة، ونظرت حولها من جديدٍ عبر النافذة الأمامية المحطمة، وهي تتحسر على السيارة التي تحطمت ولم يعزِّها إلا أنها قد أمَّنت عليها ضد الحوادث من قبل.

خرجت من السيارة بصعوبة فقد تأذى الباب بشدة من الحادث،

واضطرت أن تخرج من النافذة لتسقط على الأرض الترابية الرطبة لتعود من جديد للانتصاب، والنظر حولها بقلقٍ، وهي تفرك كفيها طلبًا للدفء.

نظرت إلى مقدمة السيارة، التي تهشمت بحسرة، ومسحت يدها عليها فلم تجد أيَّ آثارٍ للدماء.

كانت متأكدة من أنها لم تصدم ذلك الشبح الغامض الذي اعترض طريقها دون إنذار.

تلفتت حولها في خوفٍ وقلقٍ وهي تتساءل:

- "أهو متوارٍ في مكان ما؟!".

هاجمها خوف غريب غير مبرَّر فتلفتت حولها من جديد، الأشجار تمتد حولها في كل مكانٍ ملقية بظلال مخيفة على كل شيء، ورائحة الغابة البكر تَصطدِم أنفها فتزعجها وتثير توترها وفضولها.

أهذه هي رائحة الحيوانات المتوحشة الكامنة خلف الأشجار؟!

كانت فكرة مروِّعة!! والصورة العامة كانت مفزعة أكثر!!

امرأة وحيدة وسط الغابة الكثيفة، تبحث عن شبح شخص غامض، كادت أن تصدمه بسيارتها وتقتله، بل وتشك في أنه قام بالاعتداء عليها، مع رائحة مخيفة، أضيف لها صوتُ حفيف الأشجار المختلَط بأصوات المخلوقات الليلية التي خرجت بحثًا عن الغذاء، بالإضافة لسيارة مهشَّمة توحي بفقدان الأمل.

صورة مكتملة للضياع، لا ينقصها إلا أن تموت ليكتمل جلال المشهد.

سارت إلى الأمام في بطء شديد، واتخذت من آثار الاصطدام دليلًا يرشدها إلى الطريق الرئيسي.

كانت وحيدة تمامًا وسط هذا الظلام الثقيل والبرد القارص.. وحيدة إلى درجة مرعبة.

البرد والوحدة والظلام ألد أعداء واسعي الخيال، وكم كان خيالها متسعًا، كمحيط مظلم وقاسٍ، متسعًا لدرجة أن يجسِّد كل مخاوفها في هذا الظلام المقبض.

حذاؤها يغوص كل بضع خطوات في الأرض الرطبة المختلطة، بالأوراق الهشة المتساقطة من الأشجار الكثيفة المحيطة بها كالكابوس.. أعصابها كالوتر المشدود، يوترها ظهور أو اختفاء أي صوت ويعيد إليها الصمت.

إنه ذلك الرعب الغريزي البدائي، الذي يجعلنا جميعًا نخشى كلَّ شيءٍ مجهول ونبغضه.

شعرت بكراهية مفاجئة لكل شيء، فالخوف يولِّد كل المشاعر السيئة، خاصةً مع انعدام الحيلة الذي يسيطر على أمرِها ككُلّ.

أخذ جسدُها يرتجف من البرد والخوف، ولكنها واصلَتْ التقدم متحاشيةً أن تسقط أو تصطدم بالأغصان المتناثرة في كل مكان، إلى أن وصلت للطريق الممهد، ودون وعي استدارت إلى الخلف فجأة، فقد داهمها شعورٌ مريبٌ بأنها مراقَبة، وأن هناك من يتبعها.

خانها حدسها، ولم تجد خلفها أي شيء إلا كتلة مظلمة من الأشجار المتشابكة الأغصان، فعادت تنظر للطريق من جديد، وهي

تضم ذراعيها فوق جسدها، وتقوم بتحريكهما بسرعة في محاولة يائسة لبث الحرارة في أطرافها المتجمدة.

هاجم البردُ شديد الوطأة جسدَها المنهك، ففكت ذراعيها، وأخذت تمررهما على بطنها في رفقٍ وودٍّ، وهي تحدِّث جنينها، والذي لم يتجاوز شهرَهُ الثاني بحديث لا معنى له.

فقط هي تستمد من ذلك الحماية والصحبة، وبرغم أن هذا لم يكن منطقيًّا إلا أنه أشعرها ببعض الراحة.

ارتجفت وهي تنظر عبر الطريق المظلم، وهي تتمنى بداخلها أن تمر أيُّ سيارة لتقلها وتنتشلها من هذا المكان المخيف، وتقيها من هذا الجو القارص شديد البرودة.

مرت الثواني كالدقائق، والدقائق كالساعات.

وأخذ جسدُها يرتجف بشدة، فالطبيعة لا ترحم، وهي على إصرارِها في أن تحيل الأمر لجحيمٍ.

إن الرياح تزداد حدة، والغيوم بدأت تخفي النجوم خلفَها، والجو ينذر بالسوء، وهطول الأمطار ليس ببعيدٍ.

قَرَّرَت أن تركض على جانب الطريق استجلابًا للدفء، وقطعًا للمسافة المتبقية إلى أول محطة وقود، والتي تبعد تقديريًّا بمقدار ميلين.

ركضت عدة دقائق حتى هدَّها التعب، وأرهقها البرد، والأمطار التي أخذت تلهبها بسياطها المائية القاسية دون شفقة أو رحمة، وفي لحظة فاصلة قَرَّرَت أن تعود إلى الغابة لتتقي الأمطار التي تحوَّلَت إلى سيول، برغم خوفها من الظلام الذي يغلِّف كل شيء.

إلا أن ضوءَ سيارة قادمة فاجأها على البُعد، فوقفت في منتصف الطريق تشير بذراعيها بشكل انتحاري، كي تجبره على التوقف، لأنها كانت توقن أن حظَّها لن يسعفها بسيارة أخرى في هذه الليلة السوداء.

ومن حسن حظها أن السيارة توقفت أمامها بهدوءٍ، فاندفعت بسرعة نحو الباب الجانبي، وألقت بجسدها المنهك فوق المقعد المجاور للسائق، وأغلقت الباب خلفها في بساطة، وكأنها تستقل سيارتها الخاصة.

جلست ترتجف لدقائق، ولكنَّ الهواء الساخن الخارج من مكيف السيارة أذاب البرد من جسدها.

حاولت أن تنظر إلى السائق الذي انطلق بالسيارة دون أن يبادلها - أيَّ كلمةٍ، أو يلومها على طريقتها المتهورة في إيقاف السيارة.

حاولت أن تنظر نحوه، ولكنها لم تستطع، منعَتْها قوة مجهولة.

حاولت أن تنظر له مرة أخرى، ولكنَّ شيئًا ما أجبرها على النظر للأمام.

حاولت أن تنطق فعجز لسانها عن الحديث.

حاولت بشتى الطرق أن تختلس النظر لوجه منقذِها، فلم تستطع، ولم تلمَح منه إلا ظِلًّا شاحبًا غارقًا في الظلام.

تجمَّد جسدها، وكأن هناك قوة غامضة تسيطر عليه، وشعرت بحركة غريبة في بطنها، وكأن جنينها يعترض على ما يحدث لها.

استسلمت لما يحدث لها، ولكنَّ التوتر لم يغادرها، ومع الوقت شملها شعورٌ بالهدوء لا بالراحة، فاستسلمت له عن دون رغبة منها.

لم يتحدث السائق قَطّ، ولم يسألها عن وجهتها، وقاد السيارة طوال الطريق وكأنه تمثالٌ من الشمع الغارق في الظلم، وانطلق يقطع الطريق وعيناها تتسعان كلما أنهى جزءًا منه.

لم يكن السائق يتجه بالسيارة مباشرة إلى الطريق الذي يقودها نحو مدينتها فحسب، بل كان يتجه إلى الحي الذي تقطنه، والأدهى إلى الشارع الذي يقع به منزلها.

ووصل ذهولُها إلى ذروته حينما توقف أمام منزلها بهدوءٍ، وأشار لها بالهبوط أو هي شعرت به يفعل ذلك.

لا تدري مِن أين جاءتها هذه القوة التي فتحت بها الباب فهبطت مسرعة باتجاه منزلها تحت الأمطار، التي انكسرت حدتها، وتوجهت نحو باب منزلها الذي وجدته مفتوحًا وكأنه ينتظرها في شوقٍ.

لم تفكر في أمر الباب المفتوح بريبة فربما نسي زوجُها السكير أن يغلقه خلفه، ولكنها توجهت مسرعة إلى النافذة الزجاجية التي غطتها مياه الأمطار، والتي تطل على الطريق، في محاولة لرؤية وجه سائق السيارة، ولكنها وجدت الطريق خاليًا.

والسيارة قد اختفت.

- 3 -

استيقظت "ليندا" لليوم الثالث على التوالي، ونفس الكابوس الرهيب يطاردها بإلحاحٍ، ويكاد يُزهِق روحها ويحرمها من الراحة، التي تحاول أن تحصل عليها من ساعات النوم، التي تقلصت بسبب تلك الرؤى المخيفة المُلِحَّة، التي تطاردها هي الأخرى دون كللٍ طوال شهور الحمل الثقيلة.

وما إن انتهت هذه الرؤى، حتى هاجمها ذلك الكابوس الشنيع، الذي لم يتوقف عن مطاردتها لثلاثة أيام متتالية.

كانت ترى نفسها مذعورة تركض بأقصى سرعتها حافية القدمين في غابة مجهولة كثيفة الأشجار، وهي تحمل بين يديها طفلها الرضيع الباكي.

ملابسها ممزقة ومختلطة بدماء مجهولة لا تخصها ولا تخص الطفل. تصطدم بوجهها المنهك فروعُ الأشجار الحادة المتناثرة في كل مكان في تلك الغابة المظلمة الممتدة إلى ما لا نهاية، لتصيبها بجروح وسحجات لا تملك أن تتفاداها أو تتجنبها.

كانت تركض بهلعٍ من عدوٍّ مجهولٍ يطاردها بإصرارٍ ودون توقف. الأشجار حولها كشياطين الجحيم.

كل منها يصيبها في جزءٍ من جسدها بجرح ما، وهي لا تلتفت إلا لسلامة طفلها الذي يزداد بكاؤه وصراخه مع الوقت، مما يوهن عزمها أكثر.

وفجأةً تتعثر وتسقط ويطير الطفل من يديها، ليسقط في هوة عميقة تشتعل في قاعها نيران رهيبة.

تصرخ..

وتصرخ..

وتصرخ..

حتى تنفك من حولها قبضة هذا الكابوس المفزع، وتستيقظ ودموعها تُغرِق وجهها، وأنفاسها تتسارع، وآلام عنيفة تصب نيرانها في كل جزءٍ من جسدها المتعب.

كانت منهكة بشدة، وكأنها ظلت تركض في الحقيقة لا في الحلم، حتى تقطعت أنفاسها.

دلكت بطنها المنتفخة بكفها الصغير عدة مرات برفقٍ وحنانٍ، وهي تتحدث إلى الطفل وتقول بودٍّ:

- "لا تخشَ شيئًا يا صغيري، إنه مجرد كابوس آخر".

ثم نظرت لبطنها بحنانٍ واستطردت بحزمٍ قائلة:

- "إن والدتك هنا وستحميك بحياتها لو لزم الأمر".

تحرك الجنين في بطنها، وكأنه يشكرها على كلماتها، أو هذا ما كانت تعتقد، برغم كونه عرضًا عاديًا، وخاصة في أسابيع الحمل الأخيرة المرهقة.

وصل إلى أذنيها صوتُ غطيط مرتفع منفر.

فنظرت إلى الأريكة التي يتمدد فوقها زوجُها بجسده الضخم، والذي راح يغطّ في نومٍ عميقٍ، بعد ليلة ماجنة أخرى قضاها في احتساء ذلك السم اللعين.

لم يشعر بها قَطّ، ولو شعر لما اهتمَّ.

إنه في عالمه الخاص الغارق في الخمر الرخيص لا يشعر حتى بنفسه.

كان شكله مقززا بثيابه غير النظيفة، ولحيته النامية، وغطيطه الذي يكاد يوقظ الموتى من رقادهم.

كانت قد عبرت أعراض الحمل الأولى المقززة والمليئة بالدوار والقيء، إلا أنَّ نَفس الأعراض داهمتها حينما رأت هيئة زوجها المنفرة، فاندفعت صوبَ الحمَّام لتتقيأ بعنف، حتى كادت أن تتقيأ أحشاءها ذاتها.

عادت إلى الفراش أشد إنهاكًا واستلقت على ظهرها في وضع أفقي حاولت أن تجعله مريحًا، وأخذت تتطلع إلى السقف في شرودٍ وتعبٍ، وطعم القيء المنفر مازال في فمها، يقلب معدتها ويثير غثيانها من جديدٍ.

نظرت إلى الساعة المعلقة فوجدتها لم تتجاوز الثالثة والربع صباحًا.

الليل ما زال يبسط سلطانه على الكون، ويجبر معظم المخلوقات على النوم.

كل المخلوقات تتمتع بالنوم الهني.

لقد قرأت عن الحمل وأعراضه.. ما يحدث لها أمرٌ بعيد عن ذلك.. بعيد جدًّا.

كانت قد بدأت تهدأ وتسكين وتحلم بساعات نوم بلا كوابيس، حينما انتابها ذلك الهاجس الغريب المخيف من جديد مما جعلها تتلفت حولها بحذرٍ وخوفٍ وقلقٍ.

لماذا تشعر دائمًا بأنها ليست وحدها؟!

لماذا تشعر دائمًا بأن هناك من يراقبها، ويحصي عليها أنفاسها بهذا الشكل؟!

لماذا تشعر بخطرٍ غامضٍ مُبهَمٍ يتهدَّدها ويهدد طفلها؟!

هل لزوجها الغارق في غيبوبة الخمر علاقة بالأمر؟!

خنوعه ودِعته وعدم تحمله للمسئولية، ربما يكونون السبب في تلك الكوابيس والهواجس التي تغتال السعادة من عالمها المتداعي.

إنها لا تشعر معه بالأمان، وربما انعدام الثقة، فهل تنعكس كل هذه الأمور على هيئة كوابيس ومشاعر سيئة؟!

كانت ترفض مرارًا أن تربط أيًّا من هذه الأمور بطفلها الذي لم يرَ الدنيا، ولم يملك من أمر نفسه شيئًا بعد.

وكانت تردد بينها وبين نفسها:

- "إنه ما زال جنينًا!!".

لكن عقلها الثائر كثير التفكير والذي لم يعتد تجاهل الأمور، أخبرَها بما تخشاه، فانعكس ذلك على حركتها اللا إرادية العصبية فلم

تستطع أن تتجاهل ما يحدث دون أن تُعلِّق ولو بكلمة، فهزت رأسها بعنفٍ وهي تتحدث إلى نفسها بصوت عالٍ قائلة:

- "مَن أخدع؟! إن في الأمر شيئًا مريبًا.. شيئًا يتعدَّ القدرة البشرية".

ثم بدأت الأمور تتداعى إلى عقلها، وكأنها كانت في غيبوبة، وأفاقت فجأة لتواجه حقيقة ما يحدث.

هناك من يسهر على حمايتها، وإن كان لا يمنع عنها الألم، فقط هو يحرص على سلامة الطفل وبشدة!

إنها تذكر حادث سقوطها من فوق السلم حينما تعثرت في زجاجة شراب، تركها زوجها السكير دون وعي على إحدى درجات السلم، لتصدم بها وتسقط عبر الدرجات الصلبة.

يومها شعرت أن جسدها ارتفع عن الأرض، أو فقدَ وزنه وتأثير الجاذبية عليه لتطفو حتى تصل إلى أسفل السلم بأمانٍ، في نفس الوقت وبحركة لا إرادية يصطدم ذراعها بأحد الحواف البارزة، فيتورم وتصاب فيه بكدمة زرقاء مؤلمة لم تُشفَ بسهولة.

وأيضًا حينما هبَّ في وجهها فرن الموقد الغازي، وكاد أن يحرقها.

يدٌ باردة غريبة غير مرئية جذبتها بعيدًا عن ألسنة اللهب، التي امتدت بشكلٍ رهيبٍ نحوها، وفي التوِّ واللحظة سقطَ إناءٌ ثقيلٌ فوقَ قدمها اليسرى آلمها بشدة.

وأيضًا حينما كانت متأخرة عن العمل وقادت السيارة بشكلٍ متهورٍ على الطريق السريع، مما استفز قائد سيارة آخر فحاول مطاردتها وتخطيها، وكاد أن يتسبب لها في حادثٍ رهيبٍ.

لم يقع الحادث لها، ولكنَّ السيارة الأخرى فقدَتْ توازنها، واختلت عجلة القيادة في يدِ سائقها، واصطدمت بالحواجز الإسمنتية الضخمة التي تفصل نهري الطريق.

يومها حدث لها سقوط غير مُبرَّر، والتوى كاحلها، وتورَّم ولازمت الفراش لعدة أيام أفقدتها وقتًا ثمينًا، وصفقاتٍ عديدة كانت مضمونة، والعديد والعديد من الحوادث الذي يسبِّبُها شرود الحمل، التي كانت تنجو منها لتحصل على عقاب فوري.

منذ أخذت هذه الحوادث في الوقوع، وهي تشعر بفزعٍ رهيبٍ، وأن هناك قوة ما تحميها، ولكنها لا تتأخر لحظة واحدة عن عقابها إذا ما عرَّضت نفسها، والجنين للخطر.

رويدًا رويدًا تحولت الشكوك إلى يقينٍ؛ فأصبحت تأخذ الحذر في كل أفعالها.

ولكن لا كمال لبشر، فسرعان ما تعود للقيام بأي حركة طائشة فتتلقى العقاب والمساعدة.

كثيرًا ما حاولت أن تتناسى ما يحدث، أو تتجاهله، ولكن الكدمات، والرضوض التي انتشرت في جسدها كانت تذكرها دائمًا، وتعيد إليها ذعرها، ولم يهوِّن عليها أيُّ شيءٍ وقعَ ما يحدث..

فكرت كثيرًا، ولم تجد حلًّا إلا زيارة طبيبها النفسي واستشارته.

كلام طبيبها النفسي لم يُرِحها أو يُزِح مما يثقل كاهلها، فقد أخبرها وسط سحُب الأدخنة التي كانت تنطلق من غليونه العاجي، وبكلامه الذي غرقَ وسط المصطلحات اللاتينية المعقَّدة، أن ما يحدث مجرد

أوهام وردود أفعال لا إرادية لعدم رغبتها في الطفل أولًا، ثم خوفها عليه من المجهول في ظِلٍّ وجود أبٍ لا يُعتمَد عليه ثانيًا، وخاصة بعد الحادث الأليم الذي مرت به.

كان تفسيره منطقيًّا، ولكنه لا يفسر ما يحدث لها.

استمرت في موضوع الجلسات هذا عدة أسابيع، ثم انقطعت عن جلساتها.

فعلى الأقل هي خسرت سلامها النفسي، فلا أقل من أن لا تخسر نقودها أيضًا، وتشتت نفسها بحديث الأطباء النفسيين الغامض الذي لا يمكن القبض عليه.

شعرت فجأة بأن الحضور الذي كانت تشعر به قد انتهى كما بدأ دون مقدمات، وزالت تلك القشعريرة الباردة التي كانت تشعر بها، فاستلقت من جديد على الفراش وهي تمني نفسها بالنوم.

أخذت تستمع إلى صوت تنفُّسها من جديد.

وعاد الهدوء والصمت يخيمان على الغرفة مرة أخرى.

فاستسلمت لنوم جديد.

نوم عميق.

بلا أحلام.

بلا كوابيس.

وبلا راحة.

- 4 -

مرت الأسابيع التالية على "ليندا" في هدوء نسبي، وإن كان غير تام، وأكثر ما آلمها هو شكلها الذي تغير، وجسدها الذي انتفخ كأكياس فارغة امتلأت بالمياه، حتى كادت تنفجر وتلوث كل ما حولها.

تورمت قدماها وزاد وزنها بطريقة سريعة مفزعة، مما أفقدها القوام الرشيق الذي كانت تملكه، وزاد من اكتئابها وقلقها ونفورها من نفسها، فلم تعد تتطلع إلى المرآة قط.

لم يتخلل الأمر إلا حادث بسيط حينما عاد زوجها كعادته ليلًا في أحد الأيام، وحاول أن يعتدي عليها بعد أن رفضت اقترابه منها، فلم تكن تطيق لروحها لتشاركها مع شخصٍ آخر.

يومها حدثَ أمرٌ عجيبٌ، وغير متوقع، فقد ارتفع جسد زوجُها إلى أعلى، وكأن هناك شخصًا غير مرئي مفرط القوة يحمله ويديره، ثم يلقيه بلا رحمة نحو الحائط الذي اندفع طائرًا نحوه، ليصطدم به في عنفٍ، ويسقط مهشم الأنف ينزف من عدة أماكن من جسده.

استمر تكرار الأمر عدة دقائق ثم انتهى، ويومها صرخ بها زوجها وأخبرها وسط سبابه الذي لم ينقطع لحظة واحدة، والذي يدل على امتلاكه قاموسًا كاملًا من الألفاظ المشينة، مما يوحي بأنه ليس بالرقي الذي كانت تعتقده، إنها ملعونة والأفضل لها أن تذهب إلى الجحيم.

لم يفزعها الأمر برغم غرابته وقسوته، بل استراحت له وتمنت بينها وبين نفسها للحظات لو خلصتها هذه القوى الغامضة من ذلك الزوج البغيض، ثم عادت لتلوم نفسها على ذلك الخاطر المفزع، ثم عادت وتمنته من جديد حينما استيقظت لتجد زوجها ممددًا على الأريكة كخنزير بري عجوز فقدَ وقاره واحترامه لذاته، وهو يغطُّ في النوم كضفدع بري يعاني من عُسرٍ في التنفس.

لم تكن تدري لماذا يصر دائمًا على النوم فوق الأريكة دون السرير؟

ربما كانت عقدة راسخة بداخله منذ الطفولة أو شيئًا آخر.. لم تعد تبالي بأي تفسيرات تخص كائنًا أنانيًا لا يبحث إلا عن نفسه دون أن يعبأ بغيره، أو يتحمل مسئولياته، كأنه يطبِّق المقولة الشهيرة "أنا ومِن بعدي الطوفان".

نظرت له من جديدٍ ثم قالت باشمئزاز:

- "حيوان أناني".

تغيير كبير قد حدث في مشاعرها نحوه، فلا يوجد حب يستطيع أن يتحمل مثل هذه الضغوط دون أن ينهار، وحتى مشاعر الشفقة التي كانت تحملها له تبخرت، حينما وجدت نفسها وحيدة تصارع خوفًا مجهولًا وزوجًا سكيرًا لا يكف عن الإساءة لها ولنفسه.

إنَّ الحب عطاء مُتبَادَل، ولكن لو أعطى شخصٌ واحدٌ فقط لنفد رصيد العطاء، وتحوَّل الحب إلى شيءٍ لا معنى له ولا قوة.

ومن يومها والأمور بينهما لا تبشِّر بخيرٍ قادمٍ؛ فهو أصبح يمقتها ويخشاها كالشيطان، وهي أصبحت تكرهه وتكره رؤيته وتلوم نفسها لأنها لم تستمع لكلام والدتها، التي رأت ما أخفته عنها مرآة الحب العمياء اللعينة.

استمرت في حضور تمرينات الحمل والتنفس والمشي التي أوصاها بها طبيبها الذي يتابع حملها ويعني بها، وكانت تضغط على نفسها باستمرار لممارسة رياضة المشي يوميًّا، فكانت تقطع في كل يومٍ عدة كيلومترات لتساعد في أن تكون ولادتها طبيعية.

واليوم الذي تتقاعس فيه كعادة كل النساء في شعورهم بالثقل والألم في المشي في تلك الفترات التي تسبق الحمل مباشرة، وخاصة مع تورُّم قدميها كانت القوة الغامضة تعاقبها بآلامٍ فظيعة تجتاح عقلها، فتعود من جديدٍ لاستكمال تلك التمرينات رغمًا عنها.

هل استشارت أحد المختصين في مثل هذه الأمور؟ وهم كثر كما تعرفون..!

بالطبع لم يحدث.. والسبب نفس السبب الذي يتحكم في كل أمور حياتها مؤخرًا.. القوة المبهمة الغامضة المسيطرة..!

وكعادة الحياة في سيرها الحثيث نحو الأمام، مرت الأيام بسرعة ساحبة خلفها الأسابيع القليلة المتبقية.. ليأتي اليوم الموعود.

ويبدأ الحدث الجلل بطريقة مدوية بعد منتصف الليل.

لقد أيقظتها آلامٌ عنيفة مؤلمة كادت أن تقصم ظهرها سببتها الانقباضات الشديدة التي تجتاح رحمها على فترات متقطعة، وصاحبتها تقلصات عنيفة أسفل البطن مع إحساسات متكررة بحركة الجنين، فأخذت تطلق صرخاتٍ رهيبة أيقظت زوجها من غيبوبة الخمر، وهو يسب ويلعن عليها وعلى الطفل.

ومن حُسن حظه أن تلك القوى كانت مشغولة بالأم، وآلامها المتوالية فلم تهتم بعقابه، فتركها وغادر إلى الخارج دون وعيٍ.

أخذت الآلام تتزايد حتى تكاد تُزهِق روحها، والانقباضات والتقلصات تشتد بداخل أحشائها، وكأنه أحد صنوف التعذيب التي لا تتوقف.

كان الألم كاسحًا، وكأن هناك من يحاول انتزاع روحِها من جسدها، فلم تكن تتوقف عن الصراخ، إلا لتلعن زوجها الذي تركها في محنتها وحدها، تعاني وتتألم.

استولت عليها الآلام، التي أخذت فترات الراحة التي تمر بينها تتقلص مع مضي الوقت، وأخذت آلامها تشتد أيضًا.

ودون مقدمات توالت انقباضات سريعة لا يفصل بينها إلا دقائق معدودة، ثم خرجت منها مياهٌ غزيرة أغرقت ملابسها والفراش.

وما إن حدث الأمر، حتى وجدت أمامها مسعفين يحملانها على محفة، ويتجهان بها صوب سيارة الإسعاف المجهزة، التي ما انفكت تطلق صفارتها العالية، وتنثر أضواءها الملونة في كل مكان، وهي تشق طريقها صوب المستشفى القريب، وبجوارها يجلس زوجها في سيارة

الإسعاف المجهزة حاملًا بين يديه المشعرتين الحقيبة، التي كانت قد أعدتها لهذا الموقف الطارئ، تتخلل عيناه نظرةٌ زجاجية شاردة.

يبدو الأمر واضحًا وضوح الشمس، لقد أجبرته القوى الغامضة على أن يقوم بما عليه من مسئوليات رغمًا عنه، ودون إرادته.

***

بدت حجرة العمليات كئيبة ومخيفة، إلا أنها لم تكن مخيفة أكثر من الأحداث، التي دارت بداخلها مع مرور الوقت.

تمدَّدَت ليندا على طاولة عمليات مجهزة، وحولها وقفت الممرضات يعدُّون كل شيء للولادة القادمة، وقد غطى كُلٌّ منهم وجهه بكمامة بيضاء، ووقف الطبيب معهم يشرف على العملية.

كل المؤشرات تدل على قُرب حدوث الولادة.

الانقباضات السريعة، التي كانت تجعل الأم تصرخ وكأنهم ينزعون أحدَ أطرافها دون تخدير، استدارة جسد الطفل.. اتساع فتحة عنق الرحم.

فقط عليها أن تساعدهم وتدفع الطفل للخروج.

الصرخات تتوالى من الأم في عنفٍ، الطبيب يحثها على بذل المزيد من المجهود.

ووسط صراخ الأم والجو المضطرب، وبلا مقدمات سقطت ممرضة شابة على الأرض، وسحبت معها إحدى الطاولات، لتسقط فوقها بعضُ اللفافات الطبية مما جعل الارتباك يسود غرفة العمليات، وسط صراخ الطبيب الذي أخذ يلعن الوساطة، التي تجلب لهم ممرضاتٍ غير مؤهلات لا يقدرن على رؤية عملية ولادة طبيعية.

صرخات الأم تتوالى..

أعصاب الطبيب تتوتر..

والارتباك يتزايد..

ممرضة تعيد ترتيب الطاولة، وأخرى تحضر لفافات جديدة، وثالثة ترى ما حدث لزميلتهن الساقطة أرضًا..

أمرَ الطبيب بإخراج الممرضة الممددة على الأرض، وهو يلقي أوامره للجميع في محاولة لاستعادة السيطرة على مجريات الأمور داخل غرفة العمليات من جديد.

انشغلت إحدى الممرضات، بإفاقة زميلتها الممرضة الفاقدة للوعي باستخدام النشادر نفّاذ الرائحة، إلا أنها أسقطت الزجاجة من يدها، وهي تتراجع في فزعٍ، والدموع تهطل من عينيها، وهي ما فتئت تردِّد:

- "لقد ماتت ماري.. ماتت ماري".

أبعد الطبيب ممرضة أخرى حاولت أن تتقصى أمرَ زميلتها بخشونة، وشرع في قياس النبض وسماع ضربات القلب فلما لم يجد استجابة.

حاول أن يقوم بعمل تنفس صناعيٍّ سريعٍ للممرضة الملقاة على الأرض دون حراكٍ، وسط صرخات الأم المتتالية، والارتباك الذي ساد غرفة العمليات، ولكن الأمر لم يفلح، فأمر بإخراجها وقد غزا التشاؤم وجهه وعاد بقلب كسيف إلى استئناف عمله، فالأم والطفل ما زالا بحاجة إليه.

الأمر معتاد، ولا يمكن أن يؤثر على سير عمله، إنه طبيب متمرس يرى الموت والحياة أمامه في كل لحظة، إن موتَ أحد أفراد فريق عمله، لن يعطله ولو ثانية عن الاهتمام بالأم والطفل القادم.

كانت هذه هي الأفكار التي يموج بها عقل الطبيب، والأدهى أنه يشعر بأن هذه المشاعر تسكب بداخله،، وليست نابعة عن قلقٍ أو خوفٍ حقيقيين، ولكنه يطيعها باستسلامٍ كاملٍ.

استدعى الطبيب طاقم تمريضٍ جديدٍ، بعد أن تأكد أن الصدمة لن تسعف الطاقم الأول على إنهاء الأمر كما يجب.

ووقفت ممرضة سوداء بجوار الأم تهون عليها الأمر، وتطلب منها أن تتنفس، وتدفع بكل قوتها لتساعد في عملية ولادة طبيعية، فرأس الطفل قد ظهرت وبضع دفعات أخرى، ويخرج الطفل المنتظر إلى الحياة..

كان الألم عنيفًا لا يُشبهه أيُّ ألمٍ آخر، شعرت "ليندا" للحظات، وكأن روحَها ستصعد إلى السماء عدة مرات، ولكنها واصلت الدفع في محاولة لإنهاء معاناتها.

وأخيرًا خرج الطفل من رحمها يغلفه الصمت.

ورغم استجابة جهازه التنفسي لصفعات الطبيب، إلا أنه لم يصدر صرخة واحدة كما يفعل كل الأطفال الطبيعين.

ولأنها ليلة سوداء فلم يمر الأمر بسهولة.

لقد انقطع التيار الكهربي في غرفة العمليات، وساد الظلام الدامس، ودوَّى صوت الممرضة السوداء التي كانت واقفة بجوار الأم في ذعرٍ:

- "إنه طفل ملعون.. طفل ملعون".

صرخت الأم عند سماعها هذه الكلمة في خوفٍ وهلعٍ على مصير طفلها، واختلط الأمر بصوت ارتطام جسد الممرضة بالحائط بعنف، والطبيب يصرخ في من حوله في غضبٍ، وعندما عاد الضوء من جديد لينير الغرفة.

نظر الطبيب بخوف وقلق إلى الممرضة الملقاة بجوار الحائط دون أن يصدر عنها أدنى صوتٍ، أو حركة، وتساءل وعيناه تتسعان من الخوف والرعب:

- "هل ماتت هي الأخرى؟!"

- 5 -

استيقظت "ليندا" في اليوم التالي، وهي على فراشها في المستشفى الذي شهد ولادة طفلها، على إحساس غريب، ومؤلم، ومقبض، ومخيف.

شيء ما يدوِّي في رأسها دون هوادة أو توقف يسلبها النوم والراحة، ويجبرها على فتح عينيها المنهكتين في قسوة.

صوت مؤلم يتحدث إلى عقلها بلهجة أقرب إلى الأمر منه إلى الطلب؟

يأمرها أن تستيقظ لتطعم طفلها الجائع..!

كانت تعرف أن الأطفال الطبيعيين - جميع الأطفال - يبكون بشدة عند الشعور بالجوع، فهل سيختلف صغيرها عنهم؟!

إنه لم يكن يبكي بأي حالٍ من الأحوال.. لم يبكِ مرة واحدة منذ لحظة مولده.. لم يبكِ من الجوع أو من غيره.

إنه مختلف وهي تعرف جيدًا ذلك.. إن طفلها يأمُر لا يبكي..

وأن يأمرها طفلها.. إحساس مخيف ومفزع لأقصى حد، ولكن الإحساس المدمر والمفزع هو أن تخشى الأم طفلها، طفلها الرضيع الذي لم يبلغ من العمر إلا ساعاتٍ معدودة.

إنها على يقينٍ تام بأنه ليس كالأطفال الآخرين، وعلى يقينٍ أكثر بأنه لن يكون أبدًا كالأطفال الآخرين.. أبدًا.

ظلت تتساءل، وعقلها المُرهَق يئن من زخَم الأسئلة المتدفقة إليه كالسيل الجارف!

كيف لم تلاحظ التغيرات التي تحدث من حولها؟!

كيف لم تلاحظ أثناء حملها أن القوى كانت تنبع من داخلها لا من حولها؟؟

كيف لم تلاحظ أن كُلَّ ما يحدث كان لطفلها يد فيه؟؟

ربما جالت الفكرة بعقلها..!

وربما لم تجد الصدى المناسب..!

أو ربما محاها الطفل من عقلها، ونثرها في أروقة العقل المنهك، وسط المسئوليات، والمشاكل التي لا تنتهي.

لقد شعرت في البداية بالانتهاك، لقد قام شيء ما أو شخص ما باغتصابها، ولكنها لم تصدِّق أنه حدث، أو لم ترغب في ذلك..!

ولكنها الآن متأكدة من حدوثه، ولا تملك شيئًا لوقف آثاره..!

إنها تخشى صغيرها، وفي نفس الوقت تخشى عليه من المجهول، وتخشى عليه من تلك القوى الغامضة، التي لم تعرف سببَ لسيطرتها عليه.

إن موقفها صعب جدًّا ومُعقَّد وشائك.

إن أمرها مثل الأم التي تتخذ طفلتها رهينة وتهدد بقتلها.

الكل يعرف أنها تتخذ أوهى الدروع.

والكل على يقين بأنها لن تنفذ تهديدها.

لأنه لا يوجد قلبُ أمٍّ يمكن أن يضحي بطفله بأي حالٍ من الأحوال.

فنحن بشر ولسنا قططًا نلتهم صغارنا عند الجوع.

وهكذا هو حالُها بين الخوف منه، والخوف عليه يتفتت، قلبها على فلذة كبدها، دون أن تعرف كيف تساعده وتحميه.

تعرف أن هناك شيئًا ما يسيطر على طفلها، وربما امتزج معه فصارا كيانًا واحدًا، لا تعرف كيف تخلصه من هذا الاستحواذ، ولا تملك أن تهرب من سيطرته.

لقد أصبحت تخشى طفلها بطريقة مرعبة..!!

كانت تخشى أن تنظر لعينيه الصغيرتين المحدقتين إلى الفراغ، بتلك النظرة الزجاجية التي تختلف عن النظرات الخاوية المميِّزة للأطفال حديثي الولادة.

إنها نظرة ممتلئة ثاقبة مفزعة، نظرة شخص ناضج شخص يعرف ما يريد وما يمكن أن يحصل عليه.

سرت قشعريرة باردة في جسدها، ودقَّ قلبها بعنف حينما علمت أن صغيرها سيأمرها، ولن يناديها ككل الأطفال بعد ذلك.

إلى متى سيستمر الأمر على هذا المنوال؟

إلى متى سيظل على صمته؟!

إنها تكاد تجن.

نظرت له من جديدٍ فوجدته يحدق فيها بثباتٍ، فأشاحت بوجهها عن وجهه الطفولي المخيف.

ودون وعيٍ منها ودون إرادة وجدت نفسها تحمل الطفل بين يديها في اهتمامٍ، وتلقمه ثديها وتذهب بأفكارها إلى عوالم أخرى غير مطروقة، دون أن تدري أو تعرف السبب.

وداهمتها أسئلة كثيرة بلا إجابة؟

هل تسبَّب عملية الولادة هذه الهلاوس؟

هل فقدت عقلها أم هو الإجهاد فحسب؟؟

نعم إنه الإجهاد..

إنها تشعر بإجهاد مريع..

إجهاد طاغٍ..

إجهاد مختلط بآلام غريبة تجتاح صدرها.

إنها تشعر بأنها ستفقد الوعي.

لا بل ستفقد حياتها.

الرؤية أمامها تتشوَّش، والضباب يحيط بكل الموجودات.

الدوار بدأ يهاجمها في عنفٍ.

شعور عاتٍ بالانسحاب، والضياع، والضعف، يجتاحها مع مرور

الوقت.. هناك من يمتص حيويتها، ويستنزف طاقتها كمصاصي الدماء.. إنه وحش..

وحش لا يرحم..

لا إنه طفلها الجائع..

دوَت في عقلها فكرةٌ مخيفة أخرى.

هل ممكن أن يأكلها صغيرها في نوبة جوعه؟؟

هل يتغذى على لحوم البشر ودمائهم؟!!

كانت فكرة غبية ولكنها لم تستطع طردها بسهولة.

نظرت للطفل فهالها منظره،كان يرضع من ثديها بطريقة مخيفة، ونهم غير مسبوق.

إنه السبب..!

إنه هو من يستنزفها..!!

إنه سبب شحوبها..

حاولت أن تبعده عن صدرها ولكنه أبى، حاولت أن تدفعه ولكن دون فائدة، إنه يتشبث بصدرها ككلَّابة من حديد، لم تكن تعرف ماذا تفعل؟ وبمن تستنجد؟!

كان وعيها يخور.

وقوتها تتسرب.

والرؤية تزداد تشوشًا.

ووقعت في بحر من ظلام شديد السواد، وفي رأسها برزت فكرة جديدة مخيفة، هل طفلها يحاول قتلها؟ هل سيطرت عليه تلك القوى الغامضة، حتى لم يعد يشعر بصلة الدم التي تربط بينه وبين أمه؟ هل سيحاول قتلها؟!!

انطبعت هذه الفكرة في رأسها؟ وظلت بداخلها تنهشها بلا رحمة؟

حاولت أن تفكر في شيء آخر، ولكن وعيها المنسحب لم يعطها مجالًا لأي شيء آخر، واحتواها الظلام المدلهم في عالمه البارد المخيف، وهي تسأل طفلها بصوت لم يجاوز حنجرتها أو عقلها:

- "هاااا يا صغيري!! هل ستقتل ماما "ليندا"".

- 6 -

الخامسة مساءً موعد تناولها الدواء، والكشف الدوري على الطفل للتأكد من أن كل الأمور على ما يرام.

شعرت بيدٍ تهزها فانتفضت مستيقظة وهي متحفزة كحال المُثقَل ضمائرهم بما لا يريدون الإفصاح عنه، ولخوفهم الشديد مما يوارون.

فتحت عينيها المذعورتين، لتجد ممرضة شقراء في عمر الزهور تناولها الدواء بوجهٍ متجهمٍ كالح قلق، وربما خائف أيضًا.

طلبت منها "ليندا" أن ترفع ظهر السرير لتعتدل في جلستها.

قامت الممرضة بالأمر وبسرعة، وهي تتمنى أن تخرج بأقصى سرعة من هذه الغرفة الملعونة كما يطلقون عليها في أروقة المستشفى.

ولكن "ليندا" لم تكن لتتخلى بسهولة عن الصحبة الآدمية.

إنها تشعر بأنها وحيدة منذ قرون.

وحيدة دون سندٍ أو معين.

فقط هي تتوق الآن لبعض حديث.

تريد أن تتكلم في أي شيء، وكل شيء، فقط لتشعر بأن هذه القوى لم تستحوذ عليها تمامًا هي الأخرى..

لتشعر أنها حرة ولو لدقائق.. لتشعر بآدميتها.

ولكن وجه الممرضة المتجهم المذعور أشاع اليأس بداخلها.

حاولت أن تتحدث، ولم تجد غير الممرضة التي أصيبت في غرفة العمليات لتسأل عن حالها، وكان اختيار غير موفَّق تمامًا.

فقد كسا وجه الممرضة الحزنُ والألمُ، وهي تخبرها أنها لم تمت، ولكن يا ليت هذا حدث لها!

ولما سألتها ماذا حدث لها..

لم تستطع الممرضة المذعورة أن تمسك لسانها واندفعت قائلة:

- "لقد تسبب لها ابنك الملعون في شلل رباعي، لقد كانت "شرويت" أمًا عزيزة لنا جميعًا والآن فقدناها، لقد أصبحت الآن بقايا إنسان تحتاج في كل سكنة من سكناتها إلى من يعني بها".

وزادت ثورتها، وجحظت عيناها، في غضبٍ، قالت بصوت غاضب منفطر:

- "إن لديها أطفالًا أيتها اللعينة لديها أطفال.. ما الذي جاء بك أنت وهذا الشيطان إلى هنا.. أي جحيم ألقاكم علينا؟!!"

ثم أخذت تسب وتلعن دون توقف.

ظل الطفل غافيًا، ولم يستيقظ على هذه الثورة، ولكن كان هناك من يستمع ويغضب ويتوعد بالعقاب هذا هو ما شعرت به الأم.

فصرخت في فزع:

- "أرجوك لا تفعل بها شيئًا.. إنها لم تكن تقصد.. لم تكن تقصد".

ثم استدارت إلى الممرضة، التي تجمدت في مكانها من الرعب والقلق، وقالت لها بصوت منتحب:

- "اخرجي بالله عليك اخرجي، ولا تعودي مرة أخرى، اخرجي".

تركت الممرضة وراءها كل شيء، وانطلقت هاربة، وكأنها تطاردها شياطين الجحيم، وخلفها الأم الشاحبة تبكي وتتضرع إلى الله أن ينهي غمتها، ويفك كربها.

كانت خائفة بشدة.. خائفة إلى درجة الموت رعبًا.

فالمشاعر التي انتقلت إليها في لحظة غضب هذه القوى كانت مفزعة ومخيفة وقاتلة.

إن هذه القوى شر غامض قاتل.

بل شر مستطير.

إنها كتله من الحقد والسواد والمشاعر السيئة المفزعة.

لقد رأت ذلك الكيان الذي يسيطر على طفلها!!

رأت المخلوق القابع في الظلام!

شيء شنيع ومفزع..

شيء أسود مغطى بالشعر..

كائن قاتل..

لا يعرف إلا الموت وسيلة للحياة..

شيء لا تستطيع إيقافه أو التصدي له..

لم تعزِّها المعرفة بقدر ما أشعلت خوفَها ورعبَها..

لقد امتزج عقلها بعقله للحظات وعرفت أن ما يحدث هو البداية فقط..

وما أبشعها من بداية!!

بداية كانت ممتلئة بالدماء والخوف والألم والموت..

فما عساه سيحدث بعد ذلك؟

لقد أصبح للخوف أسماء الآن.

فماري التي ماتت في غرفة العمليات لا بُدَّ أنها تلعنها الآن، و(شيرويت) التي أصيبت بشلل رباعي، وهي تساعدها لمجرد أنها قالت رأيًا انفعاليًّا، وإن كانت على حق فيه..

إن ابنها ملعونٌ ملعونٌ ولا بُدَّ من...

قطع أفكارها دخول الزوج؛ بمظهره الذي أصبح أكثر سوءًا مما يدعو للرثاء والشفقة، فأطلقت شهقة عنيفة احتوت جميع انفعالاتها المكبوتة.

لم تكن أسعد حالًا من قبل، لرؤية زوجها برغم مظهره الذي يجلب الغم.

وتساءلت بينها وبين نفسها.. كيف لم يمنعوه من الدخول، إنه أقرب إلى المشردين منه لوالد طفلٍ حديث الولادة..

نظرت له وتجمدت، وضاع الأمل في الصحبة والأمان من جديد..

كانت نظرة عينيه زجاجية شاردة..

إنه لم يأتِ من نفسه، لقد أجبرته القوى على ذلك ولسببٍ ما..

حزنت كثيرًا..

فبرغم أنها كانت تشعر بالنفور منه، إلا أنها كانت تبحث عن سببٍ لتسامحه، كانت ستسعد لو أتى من نفسه لرؤية طفله، ولكن الأمر الآن مختلف ومخيف.

لقد تسمَّر أمامها كالمسحور ولم ينطق بشيءٍ حتى سألته بجفاء عما يريد..؟

قال لها بصوت غريب لم تعتد سماعه منه من قبل:

- "أريدك أن تسامحيني".

برغم غرابة الصوت إلا أن قبضة باردة اعتصرت قلبها، وهي تلمح نبرة الخوف واليأس في صوته، وخشيت لو أنها لامته أو عنَّفته أن تعاقبه هذه القوى الملعونة، فقالت بصوت متهدج مخنوق:

- "لقد سامحتك يا داني.. سامحتك يا زوجي العزيز.. سامحتك على كل شيء."

استدار بلا مبالاة، وغادر الغرفة نحو هدفٍ يعرفه جيدًا.

أخذت تنادي عليه:

- "داني داني إلى أين أنت ذاهب؟ إلى أين أنت ذاهب؟ لا تتركني وحدي.. لا تتركني وحدي."

ولكنه استمر في طريقه، وكأنه لا يسمع نداءها المتوسِّل الباكي.

غادر داني المستشفى، ووقف بجوار الطريق الرئيسي الذي يمر من أمام المستشفى تمامًا.

ظلَّ واقفًا للحظات.

لمحها قادمة.

وكأنها قادمة من أجله هو..!!

تقترب في سرعة..

وكأنها تعرف هدفها..!!

تقدم نحوها دون تردد أو خوف..

ألقى بنفسه في طريقها..

كانت قد اقتربت، والإصطدام أصبح وشيكًا..

بل أصبح واقعًا مؤلمًا، وقاتلًا..

حدث الاصطدام..

عاد لوعيه لثانية واحدة..

كانت كافية ليشعر بالعجلات المزدوجة للشاحنة العملاقة، وهي تمر من فوقه لتهشم عظامه.. تنهي حياته..

ثم انتهى كل شيء..

وأضيف اسم داني إلى قائمة الضحايا..

القائمة السوداء.

- 7 -

فجأة وبدون مقدمات هاجمت "ليندا" رؤية مزدوجة، لقد رأت زوجها وهو يخرج من المستشفى وحيدًا شارد النظرات ليتوقف بجوار الطريق، وفي نفس الوقت رأت الممرضة التي هربت منذ قليلٍ، وهي تتراجع في خوف حتى التصقت بجدار الغرفة الصغيرة، التي تم اتخاذها مكتبًا للممرضات المناوِبات.

وأخذت المشاهد تنتقل في عقلها بسرعة، وكأنها مشاهد من فيلم رعب لمخرج مجنون..

السيارة تقترب من زوجها..

الممرضة تمسك رأسها بين يديها..

السيارة تصدم زوجها..

عيون الممرضة تجحظ وتصرخ من الآلام الشديدة التي تهاجمها، وهي تهز رأسها يمنة ويسرة..

العجلات الثقيلة تسحق جسدَ زوجها البدين، وتنثر دماءه وأشلاءه على أسفلت الطريق..

رأس الممرضة ينفجر، ويتناثر المخ والعظام على الحائط الخلفي في مشهد مروع ومفج..

لم تصرخ..

لم تبكِ..

لم تفعل أيَّ شيءٍ..

ظلت نظراتها شاردة في عالم الصدمة..

لقد كان الأمر أكبر مما يحتمله جهازها العصبي..

لقد رأت موت زوجها وحبيبها.. نعم برغم كل شيء كان حبيبها.. مات مسحوقًا مسحولًا تحت عجلات شاحنة عملاقة..

- "أكان يستحق ما فعله مثل هذا العقاب؟".

ثم هذه الممرضة الشابة الجميلة، أي ذنب اقترفته هذه المسكينة لتنال عليه الموت بمثل هذه الطريقة البشعة.

إنها لم تعرف اسمها حتى.

وإن كان هذا جيدًا كي لا تنضم إلى قائمة الأسماء التي أصبحت تخيفها وتُشعِرها بذنبٍ طاغٍ لا مثيل له..

"ماري"

"شيرويت"

"داني"

لقد صارت هذه الأسماء لعنة ستطاردها ما بقي في صدرها نفس يتردد.

وصارت هي لعنة لكل من يقترب منها، أو من طفلها، أو يحاول أن يمسسها، أو يمس طفلها بسوء، حتى ولو كان هذا السوء مجرد قول عابر انفعالي..

لقد تعلمت الدرس..

تعلمته جيدًا جدًّا..

إن هذا المخلوق لا يمزح ولا يغفر..

إنه يعاقب بشدة..

يعاقب بضراوة..

يعاقب بالموت..

إنها لن تخالفه أبدًا..

ستطيعه..

ستفعل كل ما يأمرها به حتى ولو كان الثمن حياتها..

استفاقت من صدمتها وقررت أن تغادر المستشفى، يجب أن تغادرها يكفي ما سقط من ضحايا حتى الآن..

انسكبت دموعها وأغرقت وجهها وصدر ردائها في محاولة للسيطرة على انفعالاتها.. مدت يدها إلى جرس الاستدعاء المعلَّق بجوار الوسادة ولم تتركه حتى دلفَ إليها طبيبٌ تجري خلفه ممرضتان تحاولان إثناءه عن دخول هذه الغرفة الملعونة.

ولكنه نهَرَهُم بعنفٍ، واتجه نحو "ليندا" الغارقة في دموعها، وإصبعها ما زال فوق زر الاستدعاء وقال:

- "كفى كفى لقد حضرت ها أنا ذا أمامك، هل تشتكين من شيء، هل تشعرين بالآم في منطقة معينة من جسدك؟!

نظرت إلى الطبيب نظرة الغريق الذي وجد طوق النجاة، وقالت له دون أن تجيب على أيٍّ من أسئلته:

- "أريد أن أخرج من هنا الآن، أريد أن أعود لمنزلي، لقد أصبحت لا أطيق البقاء هنا لثانية إضافية وسط هذا الجو الكئيب.. أرجوك ساعدني أن أغادر هذه المستشفى الآن.. أريد أن أعود بطفلي إلى المنزل.. أرجوك أرجوك."

وانهمرت دموعها بغزارة.

توقف الطبيب في حيره أمامها، وكأنه لا يستوعب ما تقوله، أو لم يسمعه ثم اتجه نحو الطفل، وفجأة شردت عيناه، واكتست بالنظرة الزجاجية وقال لها:

- "كما تريدين يا سيدتي.. كما تريدين".

وكتب لها على تأشيرة خروج، ثم غادر الغرفة لينهي عملًا ما.. عمل قذر!!

لم تلحظ التغيُّر الذي انتاب الطبيب، وأخذت تشكره عدة مرات، حتى بعد أن غادر؛ لأنه وقع لها تأشيرة الخروج من هذا الجحيم..

استراحت هي لفكرة مغادرتها للمستشفى، وحمدت الله على ذلك.

لحظات ثم شعرت بألمٍ في رأسها.. فأمسكته بين كفيها بقوة.. ضاق صدرَها، فشهقت بشدة، واحتبس الهواء في حلقها، وزاغت عيناها من جديد، وذهبت للعالم الجديد الذي تخشاه.. عالم الرؤى المفزعة..

كلطمة شديدة هاجمتها رؤية مخيفة جديدة.. رؤية بشعة كحال الرؤى التي يريها لها ذلك المخلوق القاتل.

الطبيب يحاصر ممرضتين لم ترَهما من قبل في ركن غرفته الخاصة..

الطبيب يحمل في يده مبضع جراحي حاد، ويقترب في إصرار..

الطبيب يعالج البدينة بضربة في رقبتها شقت حنجرتها وجعلتها تخور كثورٍ يحتضر..

الطبيب يغمد المبضع في قلب النحيلة، ويشاهد عينيها وهي تفقد بريقَ الحياة وجسدها وهو يتهاوى كدمية ماريونيت قطعت عنها كل الخيوط.

الطبيب يلقي المبضع، ويغادر المستشفى إلى مكان غير معلوم..

انتهت الرؤية فعادت لها قدرتها على الصراخ والبكاء، ونظرت للطفل الصغير ومن بين دموعها قالت:

- "لماذا؟!.. ماذا فعلوا ليستحقوا هذا الجزاء؟!"

لطمه فكرية أخرى، ثم مشهد الممرضتين المذعورتين، وهما تحاولان إثناء الطبيب عن دخول الغرفة.

شهقت.. صرخت.. ثم انفجرت في بكاء دامٍ..

ثم قامت من فورها وخلعت ثياب المستشفى، وارتدت ثيابها على عجلٍ، وعلقت الحقيبة الصغيرة التي جلبها زوجها القتيل معه من المنزل على ظهرها، وحملت الطفل بين يديها في خوفٍ واهتمامٍ، وتسللت إلى ردهة المستشفى، ومنها إلى ممر مزدوج ينتهي بممرٍّ آخر يقودها نحو باب الخروج.

اقتربت من الباب الزجاجي الذي انفتح من تلقاء نفسه مثل كل تلك الأبواب المجهزة بأجهزة استشعار الحركة، وغادرت المستشفى لتجد أمامها جماهيرَ غفيرة يلتفون حول موقع حادث أحاطته الشرطة بسياج عشوائي.. الحادث الذي أودى بحياة داني.. لا بل جريمة القتل التي قامت بها القوى الملعونة..!!

وتساءلت بداخلها بصوت مضطرب: لماذا حرمتها القوى من داني؟

تقدمت للأمام، ثم تلفت بعينيها الممتلئتين بالدموع، ورغم الرؤية المشوشة وسط فيضان الدموع، إلا أنها رأت الشاحنة الضخمة التي صدمت زوجها متوقفة على جانب الطريق، وسائقها بجوارها يقسم لأحد ضباط الشرطة، إنه غير مسئول عن الحادث، وأن الشاب المجنون هو من ألقى بنفسه تحت عجلات الشاحنة المسرعة، وعاد ليبرر موقفه، ثم أن الإشارة الضوئية كانت خضراء.

أسرعت لتغادر مكان الحادث الأليم بسرعة فهي لن تتحمل أن ترى منظر زوجها المسحوق مرة ثانية.

زوجها الذي لن تراه مرة أخرى!!

لقد كانت تحبه برغم كل مساوئه!!

قد تكون جحدت هذا الأمر من الضغوط التي كانت حولها، إلا أنها ما زالت تكن له كل العواطف النبيلة في قلبها..

إن الفراقَ صعبٌ، وفراق الموت هو الأصعب والأشد وطأةً!!

أشارت إلى إحدى سيارات الأجرة المندفعة في شلال الطريق، فلم يلتفت لها سائقها أو تجاهلها.

لم يتوقف لها، وعلى الفور اختلت عجلة القيادة من بين يديه، وفقدَ سيطرته على السيارة، التي اندفعت كوحش معدني هائجٍ، لتدهس الحشود المتجمعة حول موقع الحادث..

مما جعلها تصرخ وهي تضم ابنها إلى صدرها بحركة لا إرادية:

- "يا إلهي.. يا إلهي".

ثم قالت بتضرع وهي تنظر لعيني الطفل المحدقتين إلى المجهول بنفس النظرة الزجاجية:

- "أنا آسفة.. آسفة.. لن أتصرف من تلقاء نفسي مرة أخرى.. لن أفعل ذلك قط".

خُيِّل إليها أن ابتسامة شريرة كست وجه الطفل للحظة، ثم توارت خلف قناع الجمود الذي يكسوه..

رفعت رأسها تنظر نحو الطريق، وعلى الفور توقفت أمامها سيارة أجرة أخرى، دلفت إلى السيارة، وجلست في المقعد الخلفي، ووضعت الحقيبة بجوارها والطفل بين يديها، ولم تنبس ببنت شفة، وعلى الفور انطلق السائق بها إلى حيث أُمر..

ولم تمر دقائق إلا وكانت في المنزل، لتجد مفاجأة أخرى في انتظارها..

مفاجأة ثقيلة.



الجزء الثاني

المخلوق الشيطاني



- 1 -

هناك أشياء تحدث..

أشياء مريبة..

أشياء غامضة..

أشياء لا تفسير لها..

إنها تستيقظ من النوم عدة مرات على مدى أيام متتالية، فلا تجد صغيرها بجوارها، ولا تشعر بوجود المخلوق الملعون، أو قواه الشريرة.

بالتأكيد هناك شيءٌ ما يحدث، وهو شيء شرير دون شكٍّ، شيء لن يقل سوءًا عمّا حدث في المستشفى، شيء غارق في الدماء والألم، شيء يخيفها بشدة.

أين يذهب صغيرها، الذي لم يتجاوز عمره أيامًا معدودة؟

ما أهميته بالنسبة لذلك المخلوق القاتل؟

هل ما يحدث الآن يمهد لشرٍّ قادمٍ؟

هي لا تعرف..

ولا تملك أن تعرف..

إنها بالكاد تعيش حياتها دون أن تجن، أو تموت من الرعب والفزع مما يدور حولها ولها، داخل جدران الغرفة الشبيهة بالسجن.

إنها قد تعتاد كل شيء وأي شيء إلا هذا الغموض المحيط بها.

لا يوجد امرأة في الكون كله تستطيع أن تكبح جماح فضولها أمام أي شيء غامض يتعلق بها، فما بالكم حينما يتعلق الأمر بأقرب المخلوقات إلى قلبها.

طفلها الرضيع..!!

إنها في مثل هذه المواقف ستتحول إلى قوة عاتية ستنطلق لتبحث وتتقصي وتعرف، ولن يمكن كبح جماح هذه القوى التي انطلقت من عقالها إلا بعد أن ترتوي بماء المعرفة العذب.

ولكن كل هذا يتوقف على شيء واحد، شيء واحد فقط.. أن تتاح لها الفرصة لتحاول.

فهل ستحصل على فرصة لمساعدة نفسها وصغيرها؟ فرصة واحدة!

سؤال غامض جديد يضاف لتلك الأسئلة التي لا إجابة عليها، ولا أمل في الإجابة عليها.

وكعادة الأشياء السيئة في هذه الدنيا تأتي تباعًا أو كما يقولون إن المصائب لا تأتي فرادى أبدًا.

وهذا بالضبط ما حدث معها..

لقد عادت إلى المنزل وهي تحمل صغيرها، ودموعها تغرق وجهها وحالتها النفسية تتردى نحو الحضيض، أو ما يفوقه من درجات السوء والانهيار النفسي.

كانت قد بلغت قمة اليأس والخوف والاكتئاب، حتى إنها لتصلح كحالة تدرس في للطلبة في كليات الطب، كعينة من المرضى الذين لا أمل من شفائهم.

لم تكن ترغب في أكثر من دش ساخن، ثم الانفراد بنفسها لتفكر بهدوء لتصل إلى حلٍّ في هذه المصيبة، التي حاقت بها وبطفلها وبعالمها كله، الذي انهار أو على وشْك الانهيار.

كانت تتمنى بضع دقائق فقط بضع دقائق تخلو لنفسها، وتعيد ترتيب أوراقها، لتبحث عن حلٍّ.. عن مخرج.. عن بصيص من النور وسط هذا الظلام الشرس المدلهم.

ولكن ما إن دلفت إلى المنزل، وأغلقت الباب خلفَها حتى أطلقت صرخة عظيمة حملت كل ما يجيش به صدرها من توترات ومشاعر مكبوتة سيئة ظلت محتجزة بداخلها لفترة طويلة، وذلك بعد أن وقعت عيناها على شخصٍ ضخمٍ، يرتدي ملابسَ نسائية متواريًا خلف الدولاب الخشبي الخاص بالفضيات في الصالة.

احتبس الهواء بداخل حلقها للحظات، وشحب وجهها وأصبح أقرب لوجوه الموتى منه إلى الأحياء، إلا أنها عادت وتنفست الصعداء حينها تأكدت من هوية الشخص المتواري خلف الدولاب ويعمل على تنظيفه بجدٍّ وإخلاص.

كانت السيدة "لورا" لم تتعرف عليها لأول وهلة، ربما من شدة إرهاقها وتشوش ذهنها، أو لإنخفاض الإضاءة بالداخل عن الخارج، والتي شوَّشَت الرؤية قليلًا كما يحدث عادة عند الانتقال من مكان أشد إضاءة لآخر أقل منه وربما لأي شيء آخر..

رددت "ليندا" بينها بين نفسها:

- "سحقًا لقد أرعبتني بشدة أيتها اللعينة".

ونظرت نحوها من جديدٍ بعد أن تأكدت من ألا خطر هناك، وحين أيقنت من شخصيتها تمامًا، أخذت تنظر لها بمقت واضحٍ وشديدٍ وأجابتها السيدة "لورا" بنظرة كراهية متبادلة للحظة، ثم توارت خلف قناع من الابتسام الزائف.

والسيدة "لورا" لِمَن لا يعرفها هي والدة زوجها الفقيد "داني".. سيدة ضخمة الحجم كبيرة العظام ملامحها إنجليزية أكثر منها أمريكية..

ذات شعر قصير غير مصفف بعناية وجهها أحمر، وملامحها غليظة وتُشبِهُ ابنَها إلى حدٍّ كبيرٍ، أو ربما ابنها هو مَن يُشبِهُها.

كانت واقفة في الصالة وفي يدِها منشفة مبللة بسائلٍ ما تستخدمها في تلميع الأثاث، ولمن لا يعلم أيضًا فهي لا تطيق أن ترى أيَّ شيءٍ غير مرتب أو غير نظيف.

وربما كانت هذه هي الحسنة الوحيدة في شخصيتها الخالية من أي جاذبية.

وتساءلت "ليندا" بينها وبين نفسها من جديدٍ، ترى أي شيء جذب إليها زوجها الراحل ليتزوجها؟! إنها كتلة غليظة منفرة من الدهون يعلوها رأسٌ كبيرٌ مكلل بشعر أصهب قصير، ربما كانت ثروتها الزائلة!!

وهزَّت رأسها وكأنها وصلَتْ لحقيقةٍ كانت لا تعلمها وقالت:

- "نعم هي ثروَتُها، وإلا لظلت هذه الشمطاء عانس إلى الأبد".

والشيء الأكيد أن هذه الثروة تبخَّرت قبل أن تتعرف على داني، ولكنَّ صلف هذه المرأة وقسوتها لم يذهبا مع الثروة الذاهبة، وظلت هذه الصفات باقية كخلقتها الدميمة المنفرة.

بالطبع لم تكن "ليندا" هائمة في حبها، ولم تكن تتمنى في هذه اللحظة إلا أن تنشق أرضية الصالة الخشبية وتبتلعها، حتى ولو ذهبت بها إلى العالم السفلي حيث يسكن الشياطين.

دارت كل هذه الأفكار في عقلها ربما في ثانية واحدة، وتوقفت حين علا صوتُ السيدة "لورا" قبيحًا كملامح وجهها، وهي تتساءل بصوتها الأجش، وابتسامتها اللزجة الشبيه بابتسامة مرابٍ يهوديٍّ تغطي وجهها:

- "هل أفزعتك يا عزيزتي "ليندا"؟!! اعذريني إنني لم أتعمد ذلك".

لم تكن "ليندا" في حالة تسمح لها بإدارة حديث طويل فقالت لها:

- "لا عليك إنني مرهقة بشدة كما أن اليوم لم يكن من أفضل أيام حياتي؛ لذا تجدينني متوترة وغير متزنة".

سالت نفس الابتسامة المقيتة على وجهها، وقالت بنفس الصوت الأجش وإن ازداد خبثًا:

- "لماذا؟ هل أضاع الإنجاب عليك صفقةً أخرى؟".

كانت السخرية تشع من كل كلماتها حتى إن "ليندا" منعت نفسها بصعوبة من سبِّها أو قذفِها بالمقعَد الذي تستند إليه، فهي على يقين تام بأنَّ أم زوجها تكرهها من كل قلبها، ولم تكن مشاعرها الخاصة مختلفةً عنها، فهي تُبادِلها نفس الكراهية، بل وتفوقها بمراحل كثيرة وعميقة.

إن أم زوجها ترى أنها وضيعة وأقل شأنًا منهم بكثير، فجذورها لا تمتد لأسرة نبيلة كأسرة السيدة "لورا" أو أسرة زوجها الراحل، وكأن أسرتيهما من سلالة الملوك والأمراء.

إنها تراها من منظار التفرقة الطبقية، والتي لا تَقِلُّ حقارةً عن التفرقة العنصرية مجرد امرأة من عامة الشعب تعرف عليها ابنها في حانةٍ، وتزوجها لينتشلها من قاع المجتمع، ويعلو بشأنها عدة درجات في السلم الطبقي والاجتماعي.

وهذه كانت الرسالة التي لا تَمَلُّ من إيصالها إلى "ليندا"، كلما سنحت لها الفرصة لذلك ولسان حالها يقول لها:

- "لا تنسي نفسك وأصلك الوضيع".

كانت تتمنى أن يمتد الحديث لتخبرها أن ابنها سليل العائلات مجرد سكِّير أخرق، لم تتزوج منه طمعًا في ثروة أو رقي، ولكن لشيء لا يعرفونه يسمى الحب.

وأنها هي وزوجها الراحل مجرد مدعين، وأن عملها هو فقط ما يحافظ على تماسُك هذه الأسرة، التي ستتسول لو لم تمد إليهم يدها بالمساعدة.

أرادت أن تخبرها أيضًا أن التحويلات المالية الشهرية، التي تذهب لهم من عملها وكدها وتعبها، وأن كل قرش منهم معجون بالتعب والعرق والتنازلات الكبيرة من جانبها.

تمنت أن تخبرها كل ذلك مع علمها بأنها لا تجهله، ولكنها آثرت السلامة وآلت على نفسها الصمت، وأجابت بردٍّ مقتضبٍ، وهي تتجه نحو الطابق العلوي لتتخلص من رؤية هذه المزعجة البدينة:

- "شيء من هذا القبيل".

ولكن السيدة "لورا" لم تكن لتجد فرصةً أفضل للنكاية بزوجة ابنها المرهقة فنادتها، وهي تتساءل بلزوجة:

- ""ليندا" ألا أُقبِّل حفيدي الذي لم أرَه ولو مرة واحدة، قبل أن تصعدي به إلى الأعلى؟"

رفعت "ليند" قدمها، والتي أصبحت تزن أطنانًا من الإرهاق والتعب وعادت لتهبط الدرج متبرمة، وتوجهت بالطفل صوب جدته، والتي اتسعت بسمتها لتشبه كنج كونج لو كان أصهب الشعر، و"ليندا" تلعنها في سرها وتتمنى لها الاحتراق في جحيم لا ينتهي.

كانت "ليندا" كثيرًا ما تتساءل عن عمق الكراهية المزروعة بداخلها صوب هذه المرأة، برغم أنها لم تتعود أبدًا أن تكره أحدًا أو تقسو عليه أو تحمل له ضغينة.

ربما لغرورها وتعاليها غير المبرَّر أو مبالغتها في ارتداء رداء شخصية لا تمتلك أيًا من مقوماتها.

حملت السيدة لورا الطفل، وأخذت تهدهده وتدغدغه وهو ينظر لها بثباتٍ بنفس النظرة الزجاجية الخرساء الشاخصة.. تعجبت السيدة "لورا" من سلوك الطفل فنظرت له بعتابٍ لتأنيبه على عدم الاستجابة لدغدغات الجدة "لورا"، وفجأة وكما يأتي الشتاء بقسوته شعرت السيدة "لورا" بقشعريرة باردة تغمرها وبخوفٍ غامضٍ مُبهَمٍ يجتاحها، وأحست بصدمة عنيفة في أفكارها، وسمعت من يأمرها بأن تعيد الطفل لأمه.

لا لم تسمع.. لقد شعرت بالأمر الصارم وهو يدوي في عقلها كسوط ملتهب، وهو يحذِّرها من أن تقترب من الطفل مرة أخرى ولأي سببٍ؟

تصلبت السيدة "لورا" للحظات، فزعة، مرتجفة، متقطعة الأنفاس، غير مصدقة لما يحدث لها، وأعادت الطفل في سرعة وذعر إلى "ليندا"، حين شعرت بآلام متصاعدة تعتصرها كلما أطالت حمل الطفل، وعلى وجه ليندا ارتسمت نظرة متشفية كارهة، ونظرت نحو السيدة "لورا" بانتصار وقالت بصرامة وسخرية:

- "إنني صاعدة إلى غرفتي ولا أريد أي إزعاج."

كان قلب السيدة "لورا" يدق بعنفٍ حتى شعرت وكأنها ستُصَاب بأزمة قلبية فنظرت إلى ليندا في ضراعة، وقالت محاولة الخروج من دوامة الكراهية المتبادلة والتي تشعران بها:

- "كما تريدين كما تريدين".

نظرت لها "ليندا" بإشفاق، ومشاعر متضاربة تجتاحها من أجل هذه المرأة، ولكن طيبة قلبها غلبتها، فهي برغم كل شيء امرأة عجوز، ولا تستحق سوى الشفقة.

لانت ملامح وجه ليندا بعد أن تراجعت عن حملة الكراهية التي شنتها عليها، وقالت بصوت حاولت أن تجعله ودودًا:

- "لا عليك يا سيدة "لورا"، اذهبي إلى غرفة "داني"، واستريحي فـ"داني" لن يأتي اليوم..

ثم خفضت صوتها وهي تقول:

- "ولا في أي يوم آخر."

ودمعت عيناها في حزنٍ.

- 2 -

كان اليوم الذي عادت فيه إلى المنزل هو اليوم الأول والأخير، الذي تنام فيه نومًا عميقًا بلا أحلام أو كوابيس أو أي منغصات أخرى.

ولكنها استيقظت شاعرة بآلام عنيفة تجتاح رأسها، وتكاد تمزق عقلها تلك الآلام التي تعرف معناها جيدًا.

إن صغيرها جائع..!!

كانت تخشى تلك اللحظة، والتي ستتكرر عدة مرات يوميًا، ودون توقف وكلما جاع الصغير..!

لقد حاولت أن تجد البديل ولكن بلا فائدة تُذكَر، إنه لم يقبل الحليب الصناعي أبدًا، ولم يتوقف الأمر على ذلك، بل رفضه بشدة وعنف كبيرين، حتى إنها لم تجرؤ على تكرار الأمر مرة ثانية من شدة الخوف والألم.

كانت الهواجس قد سيطرت عليها، وقلبت حياتها جحيمًا، وأصبحت علاقتها برضيعها علاقة خوف وألم.

كانت تخشى أن تفقد حياتها ذات مرة، وهي تلقم رضيعها ثديَها؟

إنه لا يرضع مثل باقي الأطفال..

إنه يستنزفها..

يمتص حيويتها.. ويؤلمها.. ويصيبها بالدوار والغثيان في كل مرة.. حتى أصبح الأمر سلسلةً أبدية من الألم والمعاناة..

ولكنها لم تكن تجرؤ لتمتنع أو تخالف ما يريد أو حتى تُبدِي رأيها.

وبإحساسِ مَن يحمل جمرةً مشتعلةً بين يديه حملت الطفل الصغير في خوفٍ، وألقمته ثديها في تردد وبدأ الأمر.

ألم..

وهن..

ألم..

ضعف..

ألم..

هبوط..

ألم..

دوار..

ألم..

هلاوس..

عاشت في هذا الأتون المشتعل من الألم والدوار والضعف والهلاوس للحظات طويلة مستمرة لا تنقطع، ظنت معها أنها عمرٌ

كاملٌ مَديدٌ من المعاناة، وقبل أن تفقد الوعي توقف عن استنزافها، وبدأ وعيها يعود من جديدٍ وببطء شديد..

كانت متعبة مُجهَدة.. مستنزفة.. أقرب إلى المحتضرين.

أغمضت عينيها في ألمٍ وهي تتحسس صدرها الذي تورَّم قليلًا، والتهبت حلمتاه.

شردت للحظات ودموعها تغسل وجنتيها في كسل، وتساءلت دون صوت:

- "متى ينتهي هذا الأمر؟ متى ينتهي كل هذا؟ إنها لم تعد تتحمل و..".

قطع شرودها طرقات متتالية على باب الغرفة الخشبي، فانتفضت من المفاجأة وقالت بصوتٍ واهنٍ حاولت أن تجعله أقوى، ولكنه أبى:

- "مَن؟".

فُتِح الباب قليلًا ثم دلفت السيدة "لورا" وهي تحمل صينية خشبية رصت فوقها عدة أصناف من أطعمتها المفضلة، وكمية كبيرة من البيض، وقارورة حليب ضخمة.

كانت لفتة طيبة منها هكذا حدَّثَت "ليندا "نفسها، ولكنها عادت وغيَّرتْ رأيها حينما رأت تلك النظرة الزجاجية التي كست وجهها.

لم تكن لفتة كريمة من السيدة "لورا" كما اعتقدت، لقد كان فعلًا لا إراديًّ أجبرها عليه المخلوق.

دهمها خوفٌ غريبٌ وأفكار أكثر غرابة، وهي تفكِّر في حالها وذلك

المخلوق الرهيب، لقد أصبح هذا المخلوق الغامض يسيطر على عالمها بالكامل، حتى وقت الطعام هو من أصبح يحدده.

كان الأمر مخيفًا، ولكنها كانت جائعة بشدة.

أتت على كمية الطعام كلها بنهمٍ عجيبٍ، وارتشفت قارورة الحليب بالكامل لآخر قطرة، ولما امتلأت بطنها واختفى الوهن والضعف، قفزت الأفكار المخيفة من جديد إلى عقلها.

ما سبب احتفاء هذه القوى بها، وحرصها على تقديم الطعام لها؟

هل تطعمها هذه القوى لأنها بمثابة الغذاء للطفل؟

هل لو توقفت عن إرضاعه ستنتهي مهمتها؟

هل لو انتهت مهمتها ستموت هي الأخرى كما حدث للآخرين؟

لم تجد إجابة شافية فعاد الخوف ليغزوها من جديد بشكل أكبر، ولكنها عادت وفكرت، يجب أن تستعين بمن يساعدها يجب ذلك، وكان السؤال الحتمي:

هل ستحصل على فرصة حقيقية لطلب المساعدة؟

وحمدت الله كثيرًا على أن المخلوق لا يقرأ الأفكار، وإلا لأنزل بها عقابه الذي لا يتأخر أبدًا، وهذه المرة سيكون شديدًا؛ لأنه أصبح للطفل حياته واستقلاليته، ثم من قال إن السيدة ذات العظام المهشمة لا تستطيع أن ترضع؟

عقدت العزم على الأمر، ولكنها قررت ألا تتعجل الأمور؛ ففي العجلة الندامة كما يقولون.. لتختار الوقت المناسب لذلك..

أفاقت من شرودها، فوجدت "لورا" تقف بين يديها شاخصة العينين، وشكلها أقرب لخادمة منه لسيدة أرستقراطية أو كما تعتقد هي، أمرَتْها بحمل الأطباق الفارغة، وتجهيز قدحٍ من القهوة المركَّزة، ثم أشارت لها بالانصراف، وهي مستمتعة لأقصى حدٍّ بطاعتها العمياء، ولما كادت تغلق الباب خلفها نادتها، وأخبرتها أن تحضر لها الجريدة اليومية فيجب أن تتابع الأخبار أولًا بأول إن ذلك لمصلحتها..

فمعرفة أخبار العدو ذات نفعٍ كبيرٍ في التعرف على خطواته القادمة فمثله لن يهتم بإخفاء آثاره، ومثل أخباره لن تتجاهلها الصحف، ولتحيط أيضًا بما حدث لضحايا ذلك اليوم المشئوم، فربما استطاعت أن تقدِّم أيَّ عونٍ لذويهم.

تعجبت من نفسها فبرغم كل أفكارها الجيدة النابعة من قلبها الرقيق ورغبتها الصادقة في مساعدة الضحايا، والتي لم تكن لها يدٌ مباشرة فيما أصابهم إلا أنها كانت حازمة وقاسية مع السيدة "لورا" وكأنها تستمتع بإذلالها؟ بل هي تستمتع بإذلالها فعلًا..!

هل الشر معدٍ؟

ربما..

فالحزن معدٍ، والضحك كذلك، والخوف أيضًا، فلمَ لا يكون الشر كذلك أيضًا؟

إن مشاعرها بالنسبة لهذه السيدة متناقضة جدًّا، ربما هي تتحامل عليها، أو تنتقم لأيام سوداء كثيرة رأتها منها، وربما هي تحاول أن تتجه بأفكارها في اتجاه آخر بعيد عن صغيرها، وذلك المخلوق المخيف المتواري خلفه تلك الأفكار المصرة على ملاحقتها كالكابوس.

حاولت أن تبعد أي أفكار عن عقلها بلا فائدة، ورغمًا عنها وجدت نفسها تفكّر في ذلك المخلوق البشع، وتسترجع كل الأحداث التي مرت عليها عندما امتزجت عقولهما معًا في المستشفى.

حاولت أن تشرح لتلك القوى الغامضة أن الممرضة لم تكن تقصد ما قالت، وما هي إلا لحظة انفعالية أصابتها، وما كلامها إلا تفريغ لمشاعرها في محاولة يائسة منها لإنقاذها من موت محقق، حتى حدث الأمر.

فجأة وبلا مقدمات أظلم كل شيء حولها، ثم أضاء بنفس السرعة لترى مشهدً قديمًا من الماضي.

مشهدًا مخيفًا.

كأنها انتقلت في الزمان والمكان بوسيلة تجهَل كنهها..

كان المخلوق الأسود الممتلئ بالأهداب يقبع أمام الساحر، ككرة ضخمة من الشعر لها عينان واسعتان مشقوقتان بالطول كعيون الثعابين، والعينان تلتهمان مساحة كبيرة من الوجه.

كان منظره بغيضًا ومقززًا أكثر منه مرعبًا، وكان الساحر يملي عليه مهمته الجديدة بكل حزمٍ وهدوءٍ وثقةٍ، وهو ينظر نحوه، وكأنه ينظر لقطه لا لكائن خرافيٍّ بُعِثَ من الجحيم لأداء مهمة واحدة وهي القتل.

كان الساحر رجلًا أربعينيًّا وسيمَ الملامح ذا أنفٍ حادٍّ وشفاه رفيعة توحي بالقسوة يُطلِق لحيةً قصيرة تحيط بوجهه مشذبة بعناية، ويضع في عينيه كحلًا أسود مما أبرز رموش عينيه الطويلة الفاتنة.

أشياء لا تراها ولا تلاحظها إلا أنثى برغم دقة الموقف الذي هي فيه.

لقد لمحته لثوانٍ معدودة، وانحفرت في رأسها صورته الوسيمة وملامحه الباردة وشفتاه القاسيتين.

كان فاتنًا بنفس القدر الذي يبعث به على الخوف.

كان يجلس في غرفة متسعة مليئة بالطنافس والأرائك جيدة الصنع.. الجو حوله يوحي بالفخامة والثراء، وبرغم أن الإضاءة كانت بالشموع إلا أن كل شيء واضحٌ جليٌّ وكأنه في وضح النهار.

شعرت بما يبثه لذلك المخلوق الأسود من تعليمات وشرور..

كان الساحر يعده لأداء جريمته الكبرى..

لقد دفع ابن الملك الآلاف من العملات الذهبية للساحر ليتخلص من والده، وزوجته الصغيرة التي تزوجها بعد وفاة والدته الملكة برغم أن عمره تجاوز الستين عامًا، ووعدَهُ بالمثل بعدها.

عرفت كل هذه المعلومات في ثوانٍ ليغمرها الخوف لباقي عمرها الذي تأكدت من كونه قصيرًا جدًّا..

وكالعادة عصف بها إعصارٌ من الأسئلة التي تحتاج لإجاباتٍ غير متوفرة..

ما الذي ورَّطَها وسط هذه الأجواء المريبة التي لا تُصدَّق؟!

ما دخلُها هي وطفلها الرضيع بهذه الأحداث؟

كيف انتقلت هذه اللعنة التي يبلغ عمرها مئات السنين إلى صغيرها بمجرد حادثِ سَيرٍ؟

ما الذي تملكه ولا تملكه الأخريات ليتمسك بها، وبابنها هذا الشر القادم من أعماق الماضي؟

إنها ستجن حتمًا بكل تأكيد ستجن.

لم ينتشلها من ذلك المستنقع الشائك إلا الطَّرقَات المتتالية على باب الغرفة لتظهر بعدها السيدة "لورا"، وهي شاخصة البصر إلى الأمام.. نظراتها زجاجية لا حياة فيها وهي تحمل بين يديها الجريدة التي طلبتها منذ ساعات.

نظرت إلى الساعة حينما أتى لها ذلك الخاطر؛ ففوجئت أن ما مرَّ بها من وقتٍ هو مجرد دقائق فقط، وليست ساعاتٍ كما كانت تتوهم.

إنها النظرية النسبية اللعينة فالوقت يمر مع الأشياء السيئة ببطءٍ كبيرٍ حتى لتعتقد أن الساعة يومٌ كاملٌ.

هزت رأسها في نفادِ صبرٍ، وفتحت الجريدة لتتصفحها بسرعة، واتسعت عيناها في ذعر.

كان المانشيت الذي كُتِبَ بخط أحمر عريض في صدر الصفحة، يوحي بأن ما سيليه سيكون مروِّعًا!!

لعنة تصيب شارع "كوف بوليفارد" وتغرقه بالدماء.

كتب: جون ماكلين

(يبدوا أن السماء قد ألقَت بلعناتها على شارع "كوف بوليفارد"، وعلى مستشفاه الحكومي "بتوليدو"، ففي سابقة مفزعة لم تحدث من قبل في مثل هذا المكان وقعت عدة حوادث تتراوح ما بين القتل العمد والقتل الخطأ وسوء الحظ والغموض، سلسلة من الحوادث العنيفة

والتي توحي بحدوث أمرٍ خارقٍ أو شيءٍ مشئوم، وذلك حسب أحاديث لشهود العيان الذين رفضوا وبشدة أن تُذكَر أسماؤهم، أو مواقع عملهم خوفًا من أن تلاحقهم اللعنة.

بدأ الأمر بولادة أحد الأطفال بالمستشفى، والذي ما إن خرج إلى الدنيا حتى فقدت "جميلة باترسون" حياتها -وهي أمريكية من أصل عربي كانت تعمل كممرضة مع فريق العمل المشرف على عملية الولادة- نتيجة سكتة دماغية حادة وذلك حسب التقرير المبدئي، بعدها انقطع التيار الكهربي وعند عودته فوجئوا بـ "شيرويت جاكسون" ملقاة بجوار الحائط، وهي تتنفس بصعوبة وعند الكشف عليها وجد أن عمودها الفقري تضرر بشدة واحتمال إصابتها بشلل رباعي شبه مؤكدة. بعد ذلك تطوَّر الأمر لتفقد حياتها وقد نعاها الجميع لأنهم كانوا يعتبرونها كأم روحية لهم.

بعدها تم العثور على "ماري سنايبس" صريعة وقد انفجرت شعيراتها الدموية المحيطة بالمخ مما تسبب في نزفٍ حادٍ أدَّى للوفاة وتبع ذلك هجومٌ غريبٌ من الطبيب المقيم على الممرضتين "نانسي درو" و "آشلي هانكس" مما أدى لمصرعهما.

وباستجواب الطبيب أنكر أن يكون فعلَ ما فعل وهو في كامل وعيه، هناك شيء ملعون أصابه وجعله يقوم بجريمته الشنعاء. وخارج المستشفى سحقت شاحنة عملاقة جسد والد الطفل الذي بدأت به الأحداث؛ "داني ستيوارت" وفقد قائد إحدى سيارات الأجرة سيطرته على عجلة القيادة مما أوقع ثلاث ضحايا آخرين وهم: "جيمي باتريك" و "أرنولد فوكس" والطفلة الصغيرة "صوفيا

شاك"، لتنتهي هذه الليلة الدامية بعد أن كست شارع "بدفورد" بالدماء.

وقد قال أحد الوسطاء الروحانيين أن كوكب...)

ألقت ليندا الجريدة في غضب ويأس، وأخذت ضربات قلبها تسارع وتنفسها يزداد وخوفها يتصاعد، وهي تراجع في رأسها كُلَّ سطرٍ لا بل كل كلمة قرأتها.

كان انفعالها قد وصل لذروته بعد قراءتها للمقال المنشور في الجريدة اليومية.

لقد أضيفت للقائمة السوداء أسماء جديدة.

لم تعد "جميلة" و "شيرويت" و "داني" فقط، لقد صار هناك "ماري" و "نانسي" و "آشلي" و"جيمي" و"أرنولد" و "صوفيا".

وما زال هناك متسع لاسمها بجوارهم.

لقد بدأت اللعنة ولن يوقفها إلا الموت.

والموت فقط.

- 3 -

مرت فترة الظهيرة عليها وعقلها يدور في دوامة بلا نهاية، وأسماء القتلى تتردد في أذنيها دون توقف كسيمفونية مزعجه لا تنتهي.

كانت قد انتهت للتو من إرضاع طفلها ودارت في الدوامة الكبرى..

دوامة الألم والمعاناة..

وما حدث معها في الصباح حدث في الظهيرة..

ألم..

وهن..

ضعف..

هلاوس..

ثم طرقات الباب ودخول السيدة "لورا" بالطعام والحليب،كانت السيدة "لورا" قد أعدَّت لها كمية ضخمة من الطعام المختلف، وبنهم فائق التهمت الطعام كله وجرعت قنينة الحليب لآخرها كهرة جائعة.

أجهد جسدها لأخر مدي فسقطت في النوم حتى الرابعة،

واستيقظت على هزات عنيفة من يد السيدة "لورا"، والتي عادت نظراتها تصطبغ بالحياة من جديد مما أسعدها للحظات وهي تسألها:

- "ماذا هناك؟".

قالت بلهجة محايدة هادئة وإن شوَّهها صوتها الأجش:

- "هناك شُرطي في الخارج يرغب في لقائك؟".

قالت ليندا "في توتر:

- "ألم يخبرك لماذا يريدني؟".

قالت السيدة لورا:

- "لم أسأله، ولم يخبرني بشيء".

وجدت "ليندا" أنه لا مجال أمامها إلا أن تذهب للقاء الشرطي لعلَّ الأمر يكون شيئًا آخر غير اتهامها بارتكاب جريمة ما.

ارتدت الروب المنزلي فوق ثياب النوم، وتوجهت إلى المرآة فبرغم كل شيء هي ما زالت أنثى، ولا تقبل أن يراها شخص غريب إلا في حالة جيدة.

اقتربت من المرآة وهالها ما رأت.

لقد شحبَ وجهها وغاضت وجنتاها وبرزت عظام فكها وانطفأت نظرة عينيها فكأنها عيونُ سمكة ميتة.

إن التغيرات التي تحدث لها ليست هينة أو بسيطة أو مقبولة.

فمع هذا المعدَّل من الاستنزاف، والذي يمارسه الطفل معها بإخلاص لن تصمد إلا لأيام قليلة وستنهار بعد ذلك.

زادها الأمر قلقًا وتصميمًا فوقر في قلبها أمرًا أخفته بشدة.

أضافت إلى وجهها الشاحب بعضَ مساحيق التجميل، والتي لم تصنع فرقًا واضحًا واتجهت صوب الباب، ومنه إلى الرواق، فالردهة فالطابق الأرضي، لتجد شرطيًا وسيمًا بردائه المميز تظهر على وجهه علامات الأسى والحزن العميقين، كان في حالة من القلق والتوتر وكأنه يحمل على كتفيه حملًا يبغي إلقاءه والانصراف.

وحين رآها مقبلة عليه ابتدرها قائلاً:

- "السيدة "ليندا ستيوارت""؟"

وقرن اسمها باسم عائلة زوجها كعادة الأمريكيين في تغيير أسمائهم بعد الزواج.

قالت بصوت مرهق:

- "نعم أيها الشرطي هي أنا".

زاد التوتر على وجه الشرطي إلا أنه تماسك وقال بلهجة شبه رسمية:

- "تقبلي تعازي الحارة يا سيدتي فقد وقع حادث أليم لزوجك، ولم ينجُ منه مع الأسف".

ألقى عبارته السابقة ثم سحب نفسًا عميقًا، وأكمل بنفس اللهجة:

- "وأنتِ مطلوبة الآن لتأتي معي للتعرف على الجثة، وإنهاء الإجراءات الرسمية للإفراج عن الجثة ودفنها".

ازداد وجهها شحوبًا وغزا بشرتها سوادٌ عجيبٌ، فبرغم عِلمها بما حدث لزوجها مسبقًا إلا أن الأمر كان أليمًا وكأنها كانت تتمنى أن

يكون كل ما سبق حلمًا أو هلوسة وانتهت، ولكن ما حدث أصبح بزيارة الشرطي واقعًا أليمًا ومؤكدًا ولا فكاك منه، مما يحيلها إلى الشيء الأكثر رعبًا وسوءًا، والذي سيحدث لها الآن برغم كل شيء.

إنها مُجبَرة الآن على رؤية جثة زوجها من جديد بعد أن رأتها سلفًا تُسحَق وتسحل تحت إطارات تلك الشاحنة، في رؤيا سابقة لإنهاء الإجراءات الرسمية.

تماسكت بشيء من الصعوبة، ولكن دموعها هطلت من جديد مما جعل الشرطي ينظر لها بشفقة ويقول:

- "هوني عليك يا سيدتي فمصير كل كائن حي هو الموت".

لم تكن على استعداد لترى الشفقة في عينيه، فأخبرته من وسط دموعها أن ينتظرها عدة دقائق حتى ترتدي ثيابًا لائقة وتأتي معه.

عادت إلى غرفتها حزينة كسيرة الفؤاد، وعلى عجل انتقت ثوبًا داكنًا وارتدته في سرعة، وحملت حقيبتها الشخصية الصغيرة وخرجت إلى الردهة فالرواق ثم هبطت السلالم في بطءٍ شديدٍ فقد عاودها الإرهاق من جديدٍ، ولكنها لم تستسلم له.

وقبل أن تغلق الباب خلفها سمعت صوت "لورا" الأجش يدوي خلفها، فنظرت إليها كي تكرر ما قالته وصدمها أن وجدت النظرة الزجاجية تكسو وجهها ولكن "لورا" أكملت:

- "إن السيد يخبرك بأن تتصرفي بعقلٍ ودون تهور، لأن عقابه هذه المرة لن يكون هينًا.. لن يكون هينًا بأي حال من الأحوال".

كانت المرة الأولى التي يستخدم فيها وسيطًا بينهما لينقل لها ما يريد.

هل أصبح الاتصال بها خطرًا ويكشفه لها؟

هل لطفلها علاقة بما عرفته من قبل؟

إن الأمور تتطور، ويجب أن تجد حلًا حاسمًا، وفي أسرع وقتٍ قبل أن يفلت زمام الأمور من بين يديها نهائيًا.

أغلقت الباب خلفها في عنفٍ، ثم خرجت صوبَ الشارع، وغشت الإضاءة عينيها للحظاتٍ.

مما جعلها تتساءل عن سِرٍّ ضعف هذه الإضاءة داخل المنزل.

هل لهذا علاقة بالمخلوق الشرير؟

ثم عادت وأكملت طريقَها نحو سيارة الشرطي وهي تغمغم:

- "بالتأكيد كل شيء له علاقة بذلك الشيطان".

أقلها الشرطي بسيارته إلى حيث المستشفى التي دارت بداخلها الأحداث المؤسفة الأخيرة، والتي كانت قد أقسمت ألا تطأها بقدميها ما ظلَّ في صدرها نفسٌ يتردَّد، ولكنها الآن مجبرة فلا بأس بهذه المرة فقط وقد لا يسنح لها عمرها القصير - وهي فكرة تلح عليها وبإصرارٍ - بدخولها مرة أخرى.

دارت السيارة حول المستشفى وتجاهَل الشرطي المدخل الأمامي الرئيس ودلفا من باب خلفي بعد أن تجاوزا حاجز الأمن المفتوح دائمًا، إلى مكان لم تتخيل يومًا أن تدخله إلا جثة هامدة.

إلى المشرحة..

وكانت المشرحة كعادتها، مكانًا باردًا، مُقبِضًا، مخيفًا.

كان المكان حولها مكتظًا بأهالي الضحايا الذين لم يتوقفوا لحظةً عن البكاء والنحيب. أخفت وجهها عن الجميع، وإن كانت تؤمن بأنه لا أحد يدرك حقيقة شخصيتها، أو علاقتها بهذه الأحداث المؤسفة، ولكنه خوفٌ غيرُ مبرَّر استسلمت له..

كان المكان يفوح برائحة المطهرات القوية، ورائحة أخرى أصبحت تعرفها جيدًا.. رائحة الموت..

تقدَّم بها الشرطي إلى داخل المكان ليباغتها منظر الجثث المتراصة على الطاولات والمغطاة بملاءات بيضاء غير نظيفة..

كانت الروائح بالداخل تدير العقل.. امتزج هذا كله في عقلها فأطلقت صرخة رفيعة أحتبست في حلقها، وأغمضت عينها وهي تتراجع للخلف في ذعر لتصطدم بالشرطي الواقف خلفها؟

مما أجبر الشرطي على أن يسألها بخشونة ناتجة عن المفاجأة:

- "ماذا حدث يا سيدتي، لماذا أنت شاحبة هكذا وكأنك رأيتِ شبحًا؟".

هزت رأسها في عدم تصديق، ثم فتحت عينيها لتطالع الشرطي الذي ينظر لها بدهشة شديدة فنظرت حولها من جديد في ذهولٍ، لم يكن هناك جثث ممددة على الطاولات، لم يكن هناك أي شيء بل كان هذا ما خيل لها عقلها.. إنه انطباع قاسٍ سيطر على عقلها للحظات، ثم ذاب كما يذوب كل شيءٍ آخر.

إنَّ عقلَها الآن على حافة الجنون، فالأمور تبدأ هكذا دائمًا، ثم تنتهي بالجنون المطبق، والغرفة المبطنة من كل جانب مع القميص

مغلق الكمين.. هل سيأتي اليوم الذي تصبح فيه مجرد رقم في مصحة عقلية؟

انزعج الشرطي من سلوكها وتجاهُلَها لسؤاله وأعزى الأمر إلى الصدمة فألقى الأمر كله خلف ظهره واقترب من الطبيب المسئول عن المشرحة وقال له بلهجة مقتضبة:

- "داني ستيوارت".

قام الطبيب الشاب بمراجعة سجلًا يحمله مثبتًا على حامل للأوراق بمشبك معدني أسود، ثم نحاه جانبًا وقام بتثبيت نظارته الطبية على قصبة أنفه، وجرَّ جسده البدين إلى حيث تقبع مجموعة من الأدراج المعدنية الضخمة، والتي تتسع كل منها لشخص ناضج، وقام بسحب درجًا معدنيًّا كبير فظهر بداخله جسد مسجى، ومغطى بملاءة بيضاء حال لونها فأصبح أقرب إلى الاصفرار منه إلى اللون الأبيض، وأسفل منها ظهر ما يبدو كأنه كتل غير متناسقة.

شهقت حتى قبل أن يرفع الطبيب الغطاء ليكشف وجه الجثة.

في هذه الأثناء اقترب منها الشرطي المحنَّك لأنه كان يتوقع ما سيحدث بعد لحظات.

باعتيادٍ شديدٍ ولا مبالاة أورثتها كثرة تعامله مع الجثث رفع الطبيب الغطاء حائل اللون عن وجه الجثة، وكان لحسن الحظ من جانب الوجه الذي لم يتهشم في الحادث، ولكن نظرها وقع أيضًا على الجزء الآخر المهشم، والذي تشوَّه واختلطت فيه الدماء بالعظام بجلد الوجه.

وسقطت من فورها بين ذراعيّ الشرطي فاقدة الوعي.

- 4 -

لا أحلام أو كوابيس أو رؤى من أي نوعٍ.

هكذا حدَّثَت نفسها بعد أن أفاقتك من دنيا الغيبوبة المظلمة، التي احتوتها لدقائق معدودة دون إرادتها، بعد أن وقع بصرها على حالة الجثة التي كانت ذات يوم زوجها.

لقد انهارت على الفور، وكأنها دمية قطعت كل خيوطها..

كان الموقف شنيعًا ومرعبًا لأقصى حدٍّ، فما رأته كان يفوق احتمال جهازها العصبي على التحمل أو الصمود، وعلى الرغم من أنها تخوض أهوالًا متتالية منذ أنجبت طفلها إلا أن الشيء العجيب أنها تواجه كل هذه الأهوال بنفس الضعف والتخاذل في كل مرة، فتخوض غمار كل تجربة بكامل آلامها، ومعاناتها دون أن تستفيد شيئًا من التجربة السابقة.

كانت صورة زوجها ماثلة أمامها كذنبٍ لا يُغتفَر، وكأنها التصقت بعينيها بلاصقٍ قويٍّ أو نحتت فوق القرنية.. صورة ستظل تزورها في كوابيسها مدى الحياة..هذا لو كُتِبَ لها أن تبقى في هذه الحياة لوقتٍ أطول، فالأمور لا تُبشر بأي خير!

هزت رأسها مراتٍ ومراتٍ لتطرد هذه الصورة المفزعة من مخيلتها ولكن بلا فائدة.

لقد انحفرت الصورة في وجدانها وكأنها هناك منذ الأزل..

أزاحت خصلات شعرها الأشقر التي تهدلت وفقدت انتظامها، ثم تطلعت حولها للغرفة الصغيرة الفقيرة، التي تتمدد بداخلها على فراشٍ غير مريح نسبيًا.

حاولَت أن تعرف كنه المكان الذي تستلقي بداخله فدارت بعينيها في كل اتجاه، حتى وقعت عيناها على لوحة بلاستيكية طُبع عليها "الطبيب المناوب" فأدركت أنها في الغرفة الملحَقَة بالمشرحة، والتي يستريح فيها الطبيب من عناء العمل.

سرَتْ في جسدها رعدة سريعة حينما جال في فكرها أنها ترقد على بُعدِ قاب قوسين من الموتى، وعلى فراش شخص كل تعاملاته مع الموتى.

أغمضت عينيها قليلًا حتى يصفو ذهنها المكدود، ولكنَّ الأمر لم يكن بهذه السهولة فدون إرادةٍ منها تدفقت التساؤلات إلى عقلها كالقذائف، التي تنهمر دون توقف وأخذت تتساءل في حزنٍ وقَهرٍ:

- هل هذا هو "داني" الذي كان يملأ الدنيا ضجيجًا وإزعاجًا؟ هل هذا هو الرجل الذي أحبَّتْه يومًا وكرهته أيامًا وأشفقت عليه شهورًا طويلة؟ هل هذه الكومة المهشمة التي هرست تحت عجلات الشاحنة، هي إنسان كان يفرح ويحزن ويحب ويحلم؟

- هل انتزاع الحياة يتم بمثل هذه السهولة؟ هل الموت بهذه البساطة ؟ ولو كان بهذه البساطة!!؟ فلماذا نخشاه؟

دارت في دوامة التساؤلات حتى أيقظتها رائحة القهوة المركزة التي أحضرها الشرطي الوسيم من مقهى "ستار باكس" القريب، نظرت له بامتنانٍ وعرفانٍ بالجميل، وهي تتناول منه الكوب الورقي الساخن الذي يحتوي على القهوة منزوعة الكافيين، العلاج الوحيد لما أصابها من قلة تركيز.

رشفت رشفة سريعة من الكوب ثم استدارت للشرطي مرة أخرى وقالت له:

- "أشكرك كثيرًا يا سيد".

ثم توقفت واحمرَّ وجهها خجلًا، فهي لا تعرف اسمه برغم أنه لازمَها لعدة ساعات.

أسرع هو يشير إلى نفسه يقول بلهجة مبتسمة كي يكفيها مئونة الإحراج من عدم معرفتها اسمه:

- "هاري".. النقيب هاري.

كانت ابتسامته رائعةً وودود فشرحت صدرها، وجعلتها تفكر في طلب المساعدة منه، فابتسمت بدورها ابتسامة مجهدة وقالت وهي تتطلع في عينيه الزرقاوين الداكنتين:

- "أشكرك مرة أخرى يا سيد هاري على كل شيء، وعلى تحمُّلك لي في هذه الفترة العصيبة".

ابتسم من جديدٍ وقال بنفس اللهجة الودود الواثقة:

- "لا عليك يا سيدتي.. فأنا لم أفعل سوى ما يمليه على واجبي".

ابتسمت مرة أخرى، وتعجبت من طعم الفرح بعد كل هذا الوقت العصيب، وارتشفت عدة رشفات من قهوتها في نشوة واستمتاع، ثم رفعت عينيها إليه فوجدته يتطلع إليها في إشفاق وفي عينيه نظرة حنان غريبة.

عرفت على الفور نوع شخصيته.

إنه من ذلك النوع الذي يعد نفسه مسئولًا مسئولية تامة عن مساعدة كل من يحتاج لمساعدته، وبرغم وسامته والتي قد تورثه الغرور، وبرغم ضعف موقفها والذي قد يجعلها لقمة سائغة لأي فكرٍ شاذٍ، إلا أنه لم يستغل وهنها أو ضعفها أو هشاشتها النفسية لتحقيق أي غرض خبيث.

لقد احتواها نفسيًا وكأنه طبيب نفسي محنك ونفض عنها غبار القلق وسحب التوتر، فقط ابتسامته الرجولية هي ما أشعرتها بأنها تحررت أخيرًا من قيدها النفسي الثقيل.

أرادت أن تقص عليه قصتها الغريبة ولكنها توجست خيفة من أن تقابل شهامته ورجولته بتوريطه في الأمر أكثر.

ولكن ماذا يفعل الغريق إلا أن يتعلق بالقشة الوحيدة المتوفرة؟! إنه لا يتركها إلا بعد أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، وربما لا يتركها أبدًا!!

ترددت عدة مرات، ولكن ابتسامته الودود شجعتها على الخوض في الأمر فقصت عليه كل شيء من البداية، مرورًا بالحادث وشعورها بالاعتداء والانتهاك، ثم تأكدها من استحواذ المخلوق الشرير على

طفلها، وكيف يستنزفها الصغير، والجرائم التي حدثت، وحتى مشاعرها المضطربة باتجاه السيدة "لورا" والدة زوجها، وعيناه تتسعان ذهولًا ودهشة وتكتسي بعدم التصديق.

كانت تعرف أن قصتها مستحيلة ومخيفة وغير مقنعة.

ولكن في لحظة واحدة جاءها الإلهام.

فقامت من مكانها وسوت ثيابها وقالت له:

- "أتبعني".

تراقصت الحيرة في عينه القلقة وأردف متسائلًا:

- "إلى أين؟".

قالت بصرامة وحزم غير متوقعين مخلوطين بلهجة توسُّل ألا يكثر الأسئلة:

- "أتبعني فحسب".

تبعها دون أن يدرك ما الذي تنتويه، أو لأي مكانٍ ستقوده إليه، وعقله يقلب القصة في رأسه على كافة الجوانب.

كانت القصة مخيفة برغم أحداثها التي لا تُصدَّق.

لقد رأى الصدق في عينيها، وهو بخبرته يستطيع أن يميزه بسهولة كما يستطيع أن يفضح كذبها لو أنها كانت تكذب.

إن الأمر غريبٌ ومُحيِّر فإما إنها صادقة أو مؤمنة بما تقول تمامًا!!!

أشارت له أن يتوقف على الرصيف المقابل، والذي يغص بالبشر الآخرين واتجهت هي إلى الصندوق العام، والذي تُوضَع بداخله

الصحف، وانتزعت منه الجريدة المحليَّة بعد أن ألقمته دولارًا معدنيًا، وفتحت الصفحة الأولى على المانشيت الرئيس وقالت له:

- "الطفل الملعون الذي يتحدثون عنه هو طفلي، والأم الملعونة التي يتحدثون عنها هي أنا، واسم زوجي موجود في المقال، هل تريد أدلة أكثر من ذلك".

وزفرت في قنوط!!.

تطلَّع إلى حيث تشير باهتمام فراعه أن وجد الاسم مطبوعًا هناك، ويذكر كاتب المقال بالفعل اسم والد الطفل "داني ستيوارت" الجثة التي تعرَّفَت عليها الزوجة المكلومة منذ دقائق.

كان الأمر مفاجئًا ومُقلِقًا ومحيِّرًا.. إن للقصة جانبًا حقيقيًا إذًا، ولكن هل جميعها حقيقي؟. إن الأمر يورث الجنون فعلًا..

لم يكن قد قرأ الجريدة ولم يكن مُلِمًّا بما حدث في الأمس القريب فقط هو سمعَ بوقوع مجموعة من الحوادث والجرائم إلا أنه لم يتعمَّق في الأمر أكثر، وكان تكليفه مقصورًا على تعرُّف "ليندا" على جثة زوجها، وإنهاء الإجراءات الرسمية لدفن الجثة لا أكثر ولا أقل.

ولكن القصة كاملة جاءت إليه الآن وعلى طبقٍ من ذهب، والأدهى من ذلك أنه خبر ما لم يخبره شخص آخر غيره، والمطلوب منه الآن أن يتخلى عن قناعته السابقة بأن القصة لا تُصدَّق، ويستعد للصعود على مسرح الرعب المخيف هذا.

ثم ما قدرته للتصدي لهذه القوة الملعونة؟.. إنها تقول إنه قاتل غامض خرج من قلب تعويذة سحرية كان يسيطر عليه ساحر منذ

مئات السنين، وكان يستخدمه كأداة جهنمية ينهي بها أعماله الدموية القذرة.

إنه لا يبالي لو تصدَّى للعصابات أو لمجرمين عتاة، إنه يستطيع أن يمسك بهم ويوقعهم في براثن القانون ويقتص منهم.. إنَّ لهم إطارًا وحيزًا معروفًا ويستطيع التحرك فيه، ولكن أي سلاح يستطيع أن يتحدى هذه القوى الغاشمة القادمة من قلب الجحيم.

وكيف يمسك بشيء لا يستطيع عقله استيعابه؟

دارت الأفكار في رأسه كطاحونة هوائية في مهبّ ريحٍ عاصفٍ، فألهته حتى عن استيعاب المقال، فعاد لقراءته من جديد وهو ما انفك يردِّد:

- "يا إلهي.. يا إلهي".

وقفت هي تتطلع إليه، وقد أصابها الغَمُّ لحالته، ولامت نفسها لأنها أخبرته بكل شيء، وزجت به إلى دائرة الموت المنصوبة.

انتهى من قراءة المقال، وخفض الجريدة من أمام وجهه، وتطلع لها طويلًا في صمت، وأخذت هي أيضًا تبادله النظرات الصامتة المتضرعة.

كان واضحًا أنه غارق في تفكيرٍ عميقٍ، وأن هناك صراعًا رهيبًا بداخله يدور في محاولة منه ليقرر الطريق السليم الذي سيسلكه في هذه القصة.

وأخيرًا فتح فمه، وتحدَّث وكان ما أخبرها به هامًا وخطيرًا.

بعد أن أنهى حديثه الخاص معها، والذي استغرق عدة دقائق أراد أن يوصلها إلى المنزل بنفسه كي يطمئن عليها، ولكنها أبت وأخبرته بأنها تفضِّل أن تستقل سيارة أجرى لأسبابٍ خاصة بها.

لم يعترض أو يتمسك بالأمر فقد كان عقله مشحونًا بالأفكار، فتركها خلفه وانصرف، ولكنه حينما انصرف هذه المرة كان يحمل على عاتقه همومًا تنوء بحملها الجبال.

ولكنه لم يكن معتادًا أن يخذل مَن يطلب منه مدَّ يدَ المساعدة والعون.

إنها مبادئ نشأ عليها، غرسها والده الراحل بكيانه، والذي مات من أجلها.

كان الأمر مخيفًا ولكنه عزم على الخوض فيه بكل قوته.

أخذت تتطلع إلى ظهره المشدود حتى ركب سيارته، وانطلق بها حتى تواري عن ناظريها فتنفست هي الصعداء، وغزت بسمة مضيئة وجهها بعد أن فقد القدرة على الابتسام من كثرة ما واجه في الشهور الماضية.

ونظرت حولها إلى الشارع الممتلئ بالمارة والذين لا يعرفون أي شيء من قصتها، وربما اعتبرها بعضهم فتاة خالية البال تتنسم الهواء بالقرب من الحديقة العامة.

بعد حديثها مع هاري شعرت بشعور غريب يغزوها، وربما للمرة الأولى منذ شهور طويلة.. لقد خبرت تمامًا شعور المسجون الذي يُطلَق سراحه لأول مرة بعد سنين طويلة قضاها خلف القضبان دون أمل في الخروج.

حان الوقت الآن لتشعر بشعور مختلف.. الحرية..

شعرت بالحرية تجتاحها كنسيم عليل وجال في فكرها خاطرة مبهمة وهي تردد بصوت خفيض:

- "إن الإنسان لا يشعر بقيمة الشيء إلا حينما يفقده، وأغلى ما يحوزه الإنسان هو خصوصيته وحريته".

وهي قد فقدت الاثنين تباعًا، ولكن وقوف هاري بجانبها الآن، برغم أنها لا تعرف حدود قدرته في التصدي لمثل هذه الشرور أعاد إليها بعضًا من أحاسيسها الغائبة، وطيَّب بعضًا من مشاعرها الممزقة.

كان شعور الحرية رائعًا ومذهلًا.

ولكن هذا الشعور لم يكن صافيًا كان يخالطه قلقٌ مُبهَمٌ، لم يكفِ ليزيل حالة الابتهاج، التي أصابتها بعد شعورها بوجود من سيسهر على حمايتها.

كانت تشعر بالحرية، ولكنها في نفس الوقت قلقة، فلو كان الأمر يتعلق بها وحدها لما ذعرت إلى هذه الدرجة، ولكن هناك حياة أخرى على المحك.

حياة طفلها الرضيع.

ظهر التصميم في عينيها وهي تشير لسيارة أجرة توقفت لها على الفور فأخبرت سائقها بعنوان المكان الذي تريد الذهاب إليه قبل عودتها، إلى المنزل وشردت مع أفكارها.

ورويدًا رويدًا بدأت في عقلها خيوطٌ جديدة تتشابك، وتتعقَّد لتكون نسيج خطة خطيرة.

خطة المقاومة!

- 5 -

عادت إلى المنزل ففاجأتها من جديد الإضاءة المنخفضة فأغمضت عينيها للحظات، كي يتلاشى التشويش الذي أصابها مع انخفاض حدة الإضاءة داخل المنزل عن خارجه، وهي تتساءل من جديد عن سرّ ذلك الظلام الذي يغمر المنزل.

ربما كان الضوء يخيف المخلوق كمصاصي الدماء.

تمنت ذلك بشدة، ولكنها تساءلت من جديد وهل يؤذي طفلها أيضًا؟!!

إن تشابُك مصير طفلها مع ذلك المخلوق يبعث على اليأس والكآبة، ويوحي بانعدام الأمل في نجاة طفلها في آخر الأمر.

نفضت أفكارها السيئة وهي تتمتم:

- "لقد بدأت أعراض الجنون، إنني أتحدث إلى نفسي كثيرًا، ولا يحدِّث نفسه إلا المجنون أو المشرف على ذلك".

تجاهلت كل شيء وهي تتطلع حولها باحثة عن السيدة "لورا" وما إن دلفت إلى الصالة المكتظة بالأثاث حتى وضعت رزمة الكتب

الضخمة التي استعارتها من المكتبة، وهي في طريق عودتها إلى البيت، وابتسمت بداخلها؛ فهذه الكتب هي أحد الأسلحة التي ستستخدمها في المقاومة لقد أدخلتها إلى البيت تحت أعين الأعداء، وكما توقعت كانت السيدة "لورا" بانتظارها.

لا تعرف لماذا عادت من جديد مشاعر الكراهية إليها حينما رأت تلك النظرة الزجاجية تكسو عينيها من جديد؟

لم تكن مشاعر الكراهية هي التي غزت قلبها فحسب.

بل مشاعر مختلطة أخرى أفسدت عليها حالتها النفسية الجيدة، التي وصلت لها منذ قليل.

فالقلق والخوف أنشبوا مخالبهم الحادة في أعماقها، حينما وجدت نفسها وقد عادت وحيدة مع طفلها والسيدة لورا والمخلوق الشيطاني.

إن ثلاثة إلى واحد نسبة عالية جدًّا من الخطورة تهدد الواحد، خاصة لو كان هذا الواحد بهشاشة ليندا وبشريتها.

برغم المشاعر السيئة التي انتابتها كان هناك بذرة ضئيلة تنمو بداخلها.. بذرة اسمها الأمل، وتتمثل في شرطي وسيم يدعى هاري..

تجاهلت السيدة "لورا" بنظراتها الجاحظة غير البشرية وقررت أن تصعد إلى غرفتها لتطمئن على صغيرها، فهو برغم كل شيء طفلها الذي أنجبته بعد تسعة أشهر من المعاناة والألم..

طفلها الذي لم تتعلم بعد كيف تحبه دون أن تخشاه وترهبه..

إنه ليس له يد فيما يحدث له، إنه لم يملك من أمر نفسه شيئًا بعد،

لقد استحوذ على جسده شيطان جهنمي خرج من قلب عالم سفلي شنيع على يد ساحرٍ لعين يحمل قلبًا مظلمًا.

ولكن رغم كل شيء هي تخشاه وترهبه..

فالشيء الذي يخيفها يربض في أعماقه ويقتل بيده.

حاولت أن تهدِّئ من نفسها وتسيطر على اضطرابها وجعلت صورة هاري أمامها لتشد من أزرها وتدعمها في محنتها، وعادت لتتحدث، مع نفسها من جديد ولكن هذه المرة بكامل إرادتها.

أخذت تراجع الأحداث، التي وقعت لها منذ الحادث، وحتى الآن ووصلت إلى نتيجة أثلجت قلبها وجعلته يعود للنبض بحماسٍ وقوة.. إنه مخلوق شيطاني وقاتل، ولكن برغم كل شيء يمكن مقاومته..

حديثُها مع هاري أورثها ثقةً مفرطةً، وأعطاها أملًا خاصًا ولَّد بداخلها قدرة كبيرة على المقاومة، حتى إن خلايا عقلها بدأت تتفاعل معها بنشاط وحيوية وهي تدير الأمر على كل جوانبه، وتستخلص منه نقاطا هامة.

وبالفعل كانت ما توصلت إليه مفيدًا جدًّا، لقد أدركت الآن أمرًا هامًا وخطيرًا ومشجِّعًا.. أمرًا سيصنع فارقًا ضخمًا دون شكٍّ في الأيام السوداء القادمة.

لقد كشفت أحد نقاط ضعف ذلك المخلوق الشيطاني، إنه لم يعد ضخمًا كما كان في عينيها، لم تعد ترهبه بنفس الدرجة، إنه ليس خارقًا وقدراته ليست بلا حدود كما كانت تظن.

لقد كانت المسافة هي إحدى نقاط ضعفه، إن المسافة عاملٌ هامٌّ في

قوة سيطرة المخلوق على الضحية، فكلما ابتعدت الضحية عنه، كلما وهنت هذه السيطرة، وقلَّ تأثيرُها المباشر عليها.

سجلت في عقلها الملاحظة، وأكملت صعودها السلم فالردهة فالرواق فالغرفة، كان كل شيء كما تركته ولكنها تشعر بأن هناك شيئًا تغيَّر، ودون أن تدري ابتسمت.

فقد كانت تعرف أن التغيُّر لم يُصِب أي شيء من حولها، لقد أصاب أعماقها وجعلها أكثر قوة وقدرة على المقاومة.

إن التغيُّر نابع من داخلها هي.

أخذت نفسًا عميقًا كي تستطيع أن تداري انفعالاتها، وتعيد الهدوء إلى روحها القلقة، ثم نظرت للصغير والذي لم يتغير من شكله شيء منذ وُلِدَ.

الملامح الملائكية الدقيقة، والتي تشوِّهُها تلك النظرة الخرساء الزجاجية، والصمت الذي ينثر الكآبة على كل شيء.

كل شيء كما هو، وكأنها لم تغادر الغرفة للحظة واحدة.

تجاهلت الأمر ثم اتجهت صوب حاجز خشبي يستعمل لتغيير الملابس، وبدأت في نزع ثيابها ببطء وهدوء، وهي تحرص على أن لا يظهر أي جزء من جسدها أمام عيون الطفل الشاخصة.

إن حياءها كأنثى يمنعها من أن تنزع ثيابها أمام أي مخلوقٍ غريبٍ عنها، حتى ولو كان وحشًا شَيطانيًا لا يدري أي قيمة لأنوثتها.

انتهت من ارتداء ثيابها المنزلية المريحة، ونظرت للساعة المعلَّقة، التي لم تَكُف لحظة واحدة عن التهام الوقت ثم نظرت للصغير بيأسٍ،

فما هي إلا دقائق معدودة، ويشتعل جوعُ هذا الصغير الشَّرِه ويرغب في طعامه..

كانت ممزَّقَة المشاعر صوب هذا الأمر..

إنها لا تستطيع أن تتخلى عن طفلها، وهو لا يقبل بدائل غير صدرها.

نظرت له في خوفٍ وقلقٍ ونفسُها تنازعها على أن تترك كل شيء وتهرب إلى أي مكانٍ آمنٍ، لكنها استسلمت في آخر الأمر إلى مصيرِها الأسود، وقبل حتى أن يأتيها الأمر بإطعامه حملَته بين يديها في رهبة، وكشفت عن صدرها في بطءٍ، وألقمته ثديها المتورم وهي تغمض عينيها في انتظار الموجة..

موجة الألم..

كان الأمر مؤلمًا في البداية ثم أخذ الألم يتزايد باطراد وعنف مع مرور الوقت..

وفجأة وشعرت بالانسحاق.. وبأن روحها تنسحب من جسدها..

تخيلت أنها سترى النفق المضيء الذي يراه المحتضرين كلما اقتربوا من الموت، ولكن كل ما رأته كان السواد الأعظم بعد اختفاء الرؤية.

تشبثت قبضتها في الفراش، وأخذت تضغط عليه حتى تمزق وخرجت حاشيته، في مشهد مرعب.

كان الألم عاتيًا، ومختلفًا، وتمنت من شدة الألم لو يكون مميتًا فتنتهي هذه المعاناة.

أخذت تجز على أسنانها حتى كادت تحطمها، وهي تردد بينها وبين نفسها:

- "يا ويلي إلى متى يستمر هذا العذاب؟".

إن الأمر يزداد ألمًا يومًا بعدَ يومٍ.. إنها تشعر بأنياب الطفل الحادة تخترق لحمَ صدرها دون أن يحتوي فمه على أية أسنان؟

إنها تشعر بأن هناك تغيُّرًا مخيف يحدث، تغيُّرًا لا يبشر بأي خير لكل شيء تواجهه الآن..

إن طفلها لا يمتص الحليب من صدرها فقط.. إنه يمتص دماءها كذلك..

كانت فكرة مريعة ولكنها رفضت أن تصدقها برغم شعورها بها..

كانت منهكة لا تستطيع حتى منعه..

إنها تشعر بأنها ضعيفة من جديد..

اليأس يغزوها..

والخوف يكبلها..

والوهن يكسو عينيها بالسواد..

ماذا يحدث هذه المرة..

هل شعر بشيءٍ مريبٍ من جهتها فقرر أن ينهي حياتها؟

هل يستطيع أن يقرأ أفكارها؟

إن الألم ساحقٌ..

والوهن شامل..

وفجأة هدأ كل شيء، وبرغم ذلك ظلَّ وعيُها يتسرب منها، والألم يتواصل لكن بحدة أقل.

وداهمها شعورٌ مخيفٌ، إنها تشعر بشيءٍ دافئ لزج يلطخ ثوبها المنزلي، ويتسلل عبر ملابسها ليغرق صدرها وبطنها، مدت يدها في وهنٍ وتحسسته.. أي سائل هذا الذي يمتاز بالدفء واللزوجة؟ هل هو الحليب الذي يتساقط من صدرها؟ أم هو شيء آخر تخشى الاعتراف به وبحقيقته؟

حدثت نفسها في ذعر وعدم تصديق وصدر صوتها واهنًا وكأنه صوتُ تنفُّس بطيء:

- "لا يوجد غير سائل واحد له هذا القوام، وهذا الدفء المقزز وهذه اللزوجة".

إنه الدم.

لقد كان طفلها يمتص دماءها بالفعل، إنه سيقتلها في نهاية الأمر، هل أصبح الاستحواذ كاملاً الآن؟؟

هل تحوَّل الطفل هو الآخر لوحش دموي يتغذى على الدماء؟ إنها تفضل له الموت على أن يعيش كمصاص دماء قاتل؟

وقطع أفكارها من جديد قبضةٌ قويةٌ انتزعت الطفل من بين يديها فلم تملك الوقت لتمنعها أو لم ترغب في ذلك.

كانت خلايا عقلها تئن، والأفكار تمزق عقلها دون هوادة ليطغي على آلام صدرها.

إن طفلها الصغير لم يعد ملكها..

لقد أصبح ملكًا لتلك القوى السوداء التي وُلِدَت معه، إنه يتحول مع الوقت لشيءٍ مرعبٍ، شيء لا هَم له إلا استنزافها و التهامها و...

قطع خيط أفكارها من جديد نفس القبضة القوية التي مسكت كتفيها دون رفق، وأجبرتها على التمدد فوق الفراش..

انهمرت دموعها وفقدت ثقتها في نفسها مع شعورها بالعجز الشديد، واختفى من داخلها ذلك الأمل الضئيل بنجاتها وفكَّرَت في مرارة. إن كل ما فعلته باستعانتها بهاري هو أن أضافت ضحية جاهزة للقائمة السوداء.

إنها تؤمن الآن بقوة المخلوق، التي لا تُقهَر، وبأنه لا يوجد أي كائن على سطح هذه الأرض سيستطيع مساعدتها..

إن المخلوق ينمو ويتطور على حسابها، وعلى حساب جسدها، إن الأمور تسوء من جديد، ورددت في يأس شديد:

- "يا إلهي الرحيم ألا تقبض روحي لأرتاح من هذا العذاب المتواصل؟".

شهقت بعنف، وانتفضت حينما شعرت بالألم الحارق المفاجئ الذي غشي صدرها، وشعرت بسائل بارد يسكب بغزارة على جراحها فصرخت بشدة وارتفعت روائح المطهر لتؤذي أنفها، وتعيد لها بعضًا من وعيها المسلوب.

وفي آلية أخذت السيدة "لورا" تضمد لها جراحها بعد أن طهَّرته بالمطهر نفاذ الرائحة..

نظرت نحو السيدة لورا في ضراعة والآلام تمحو وعيها بسرعة مخيفة، وقالت في ضعفٍ وخوفٍ وعيناها معلقتان بعيون السيدة "لورا" الشاخصة:

- "اقتليني يا سيدة لورا اقتليني، وأريحيني من هذا العذاب".

استمرت لورا في عملها دون أن تبالي بحديث "ليندا" أو تعبه،
ولما انتهت من تضميد صدر لورا انصرفت وأغلقت خلفها الباب،
وتركت خلفها ليندا تئنّ حتى فقدت الوعي.

وسكنت حركاتها تمامًا.

- 6 -

استيقظت "ليندا" وهي تشعر بجوع وحشي متزايد يفوق كل الآلام التي كانت تشعر بها، ونظرت حولها فلم تجد الصغير ولم تسمع أي صوت آخر يوحي بوجود أحياء في الجوار.

كان الصمت يغمر المكان بشكل مريب وكأنها بداخل قبر.

دارت بعينيها المنهكتين من كثرة البكاء حولها، فوقع بصرها على الصينية الخشبية المكتظة بأصناف الطعام المختلفة، والتي تركتها لها السيدة "لورا" بجوار الفراش فلمعت عيناها في جشع..

كانت الأبخرة تتصاعد من الأطباق الكثيرة، ودلت حالة الطعام على أنه طازج وأن السيدة لورا ربما تركته في موضعه منذ دقائق قليلة فقط.

لم تكن في حالة تسمح لها بطرح الأسئلة حتى على نفسها، كما أن رائحة الطعام كانت تؤجج ثورتها ورغبتها في تناول الطعام وبسرعة.

شرعت في التهام الطعام بشراهة مخيفة، وكأنها تحولت إلى آلة لالتهام الطعام، أو تحولت لكائن وحشي لا هم له إلا التهام أكبر كمية

ممكنة من الطعام، وإسكات ذلك الجوع البدائي الوحشي الرهيب الذي يحرق معدتها.

كانت تأكل بطريقة تثير الاشمئزاز والتقزز..

لم تكن تلتهم قطعة، إلا وتلحق بها القطعة الأخرى في سرعة ولهفة وعشوائية، وكأنها تخشى أن يختفي الطعام من أمامها فجأة.

كان الطعام يتناثر على وجهها وصدرها وعلى ملابسها في مشهد يُرثَى له.

التهمت في دقيقتين، ما لا تستطيع أن تلتهمه أسرة كاملة في نصف ساعة، وكأنها إعصار عاتٍ لا يُبقِي ولا يذر.

وبعد أن انتهت نظرت للأطباق، التي خلت من الطعام ثم توقفت مذهولة وعلت وجهها علامات الدهشة والصدمة الشديدتين.

لم تكن مصدقة بأنها التهمت كل هذه الكمية من الطعام، ونظرت لحالتها وقطع الطعام المتناثرة هنا وهناك بعد أن انتهت وحزنت بشدة على نفسها وعلى ما وصل إليه حالها.

بدأ الاكتئاب يغزوها واليأس يبسط أذرعته القاتمة على حالتها النفسية وداهمتها حالة التساؤل التي لا تنقطع:

- "هل بدأت تتحول هي الأخرى لكائن متوحش؟ ماذا يحدث لها؟ هل هناك تغيرات أخرى ستحدث لها؟ ثم أين الطفل؟ أين ذهب؟"

تحاملت على نفسها ودفعت جسدها لحافة الفراش، وأسقطت قدميها الحافيتين على الأرض الباردة فسرت قشعريرة مباغتة في جسدها.

حاولت الانتصاب فآلمها صدرها، وعادت لها الذكرى المرعبة من جديد ، ولكنها تجاهلت الأمر وهي تبحث حولها عن طفلها الذي اختفى دون أثر..

إن الأمومة غريزة فطرية، شيء كالتنفس ودقات القلب وهذه الأمومة هي التي تخطت بها حاجز الخوف إلى ميادين القلق والحيرة واليأس.

أين اختفى الطفل؟

لم تجده في أي مكان في الغرفة فغادرتها إلى باقي المنزل..

و لم يكن في أي مكان آخر..

ولم تكن السيدة "لورا" موجودة أيضًا..

انقبض قلبها وشحب وجهها أكثر وتسارع النبض في أذنيها، وكأنه قرعات طبل مجوف مما تستعمله القبائل البدائية في إرسال الرسائل عبر المسافات البعيدة، وأخذت تصرخ وتنادي:

- "لورا" "لورا".

ولكن لا أحد يجيب، إنها وحيدة في المنزل، ولكن هل هي آمنة وحرة؟

نظرت حولها فشعرت باختلاف.. هناك شيءٌ متغيِّر..

حاول عقلها أن يصل لكنهه وجاءت الإجابة إليه بسرعة عجيبة:

- "إنها الإضاءة".

الإضاءة شديدة ومتألقة على عكس السابق، لقد اختفت الإضاءة

الخافتة المظلمة، التي تشعر معها وكأن هناك من يجثم على صدرك ويكتم أنفاسك؟

التقطت أنفاسها عدة مرات، وكأنها تمارس تمارين التنفس الخاصة بلاعبي اليوجا المحترفين، فأخذ الهدوء يتسلل إليها وبدأت ترتب أفكارها نقطة نقطة.

إنها الآن في وضع استثنائي، فإنها المرة الأولى التي يغادر فيها الجميع المنزل وقد لا تكون هناك مرة أخرى.

فصغيرها ليس هنا، ولورا ليست هنا، والإضاءة شديدة والهدوء والصفاء يغمران عقلها.

إذًا لا وجود الآن للمخلوق ولا لقوى الشر التي يبثها.

إنها فرصتها الوحيدة لطلب النجدة والمساعدة، ويجب عليها أن تستغلها لأقصى مدى وبأقصى سرعة..

إن حسن الحظ لا يطرق الباب إلا مرة واحدة بعدها يعطيك ظهره، ولو لم تستغل الفرصة المواتية لما منحك فرصة أخرى.

فكرت أن تتصل بهاري، ولكن هاري الآن خارج البلدة يجلب المساعدة كما اتفقا ولا داعي لتشتيته.. لا بديل إلا أن تتصل بوالدها وتخبره بالأمر كله وتطلب منه أن يُحضِر الأب "نيقولا".

والأب "نيقولا" هو قس الكنسية التي كانت ترتادها في بلدتها وتحضر بها قداس الأحد، وهي بعد في سن المراهقة قبل أن تنفصل عن المنزل، وتبدأ حياتها الخاصة.

والأب "نيقولا" أكثر من تعرفه إيمانًا وورعًا وتقى وثقة في الرب.

وعلى الفور قرنت التفكير بالفعل، وطلبت الرقم الذي تحفظه عن ظهر قلب، وانطلق صوت النغمة المميزة لحدوث الاتصال، ثم جاء صوت والدها الحاني القوي كطوق النجاة:

- "روبرت ستامفورد" من المتحدث؟".

كانت تهيم بصوته ونبراته الخشنة العميقة المميزة، والتي تشعر معها بأنه يضمها ويهدهدها ويسكب في كيانها مشاعر الحنان والأمان.. كانت تعشق والدها.. ذلك الرجل الصلب رقيق القلب بلحيته البيضاء المعتني بها ومنظاره الطبي، ورائحة الأرض التي تخرج من مسامه مختلطة بعرقه.

لقد مرَّ وقتٌ طويلٌ من آخر مرة تحدثت فيها إليه واستمعت لصوته الشجي.

كان هو والدها ومعلمها وصديقها المقرَّب، هو من علمها كيف تتعامل مع الشخصيات المختلفة للبشر، هو من شجعها على أن تخوض في مهنتها، هو من علمها كيف تؤدي صلواتها، هو من علمها كيف تنصت للموسيقى وكيف تذوب مع صوت "نات كنج كول" الشجي.

باختصار هو من علمها كل شيء.

على النقيض من الأحاسيس التي شملتها عند سماع صوته راعه هو ما استشفه من صوتها وبكائها، والذي لم تستطع أن تحبسه فقهرها وهطلَ كالمطر، ولم ينقطع لحظة واحدة طوال محادثتها مع أبيها..

أنصت لها بكل جوارحه وهو يستمع بفزعٍ لقصتها ووقع الكلمات القاسية يظهر على وجهه المنحوت، والذي شحب واسودَّ وتحول إلى وجه أقرب لوجه جثة متوفاة حديثًا من الهم والقلق.

راحت قبضته القوية الخشنة تعتصر سماعة الهاتف، حتى كادت أن تهشمها والأفكار تتصارع في رأسه كالحيوانات البرية، التي كان يقوم بتربيتها وترويضها دائمًا..

وقع الأمر على مسامعه كالصاعقة أو أشد وقعًا..

كان الأمر مريعًا..

ومفاجئًا..

ولكنه لم يكن غريبًا..

لم يكن الخطر يتهدده هو وحده هذه المرة لقد تمدد هذه المرة ليشمل صغيرته، التي يحيا من أجلها، ومن أجل سعادتها وحفيده الوحيد.

يجب أن يتحرك على الفور ودون إبطاء.

أنهى المكالمة وهو يحاول تهدئتها، ومؤازرتها، وأخبرها بأنه سيأتي إليها خلال ساعات، ولكنه طوال النصف ساعة التالية لم يتحرك من مقعده وقد غرق في تفكير عميق..

كانت أفكاره مخيفة لأقصي حد..

لقد عادت اللعنة من جديد لتطارده وتطارد أقرب الناس إليه..

واللعنة الآن تستحوذ على حفيده الطفل الذي لم يرَه ولا يعرف إن كُتِبَ له أن يراه أبدًا.

كانت قبضته اليمنى تسحق أصابع اليد اليسرى من التوتر والمفاجأة وهو يتساءل:

- "هل مرَّ ثلاثون عامًا بهذه السرعة؟ من يعرف بأمر التعويذة والمخلوق؟ مَن الذي حرر هذا الشر من عقاله بعد كل هذه السنين؟

- "يا إلهي".

رددها في قلق، ثم أخذ يردد تلك المقولة الموجودة بالإنجيل:

"تَخْرُجُ رُوحُهُ فَيَعُودُ إِلَى تُرَابِهِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَفْسِهِ تَهْلِكُ أَفْكَارُهُ") سفر المزامير 146.

ثم رفع سماعة الهاتف وأجرى مكالمة هاتفية طويلة مع طرف آخر، وحين أنهاها بدأ يعد للأمر عدته.

في نفس الوقت قتلت "ليندا" البيت بحثًا عن كتبها التي أحضرتها معها من المكتبة ولكنها كالعادة لم تجدها..

هل فطن المخلوق الشيطاني لحقيقة هذه الكتب، هل استغل "لورا" لمعرفة محتواها؟ ما الذي يخطط له هذا المخلوق؟ لماذا استحوذ على جسد ابنها العاجز، ولم يستحوذ على جسدها اليافع؟ هل أتم المهمة التي أرادها منه الساحر تلك المهمة التي رأتها في الاتصال العقلي الوحيد الذي تم بينهما؟

ما الذي يحدث؟ إنَّ كلَّ شيءٍ حولها يكتسي بالغموض، ويثير قلقها إلى أقصى حدٍّ.

قطع أفكارها صوتُ صرير الباب الذي يفتح بحذر..

استدارت لترى القادم، وشهقت من الرعب.

فمن دخل من الباب..

كان آخر شخص تتوقع حضوره وخاصة وهو بهذه الهيئة..

آخِر شخص تمامًا.



الجزء الثالث

طقوس شيطانية

ثم إنها كيف ستعود للمنزل وجثة الطبيب بالداخل مصدر رعب آخر يهددها، وجاءت في رأسها الفكرة، وكأنما انبثقت من العدم..

لما لا تستعين بالشرطة؟ وتساءلت في تعجب:

لماذا لم تأتِ هذه الفكرة إلى عقلها من البداية؟

اتجهت لأقرب هاتف عملة عمومي، وطلبت رقم الطوارئ (911).

وضعت منديلها أمام فمها إمعانًا في التخفي وتغيير الصوت، وحينما ردت المسئولة عن استقبال الحالات الطارئة تحدثت بسرعة كبيرة، وكأنها تخشى أن تهرب منها الكلمات فقالت بصوتها المتحشرج:

- "أريد الإبلاغ عن جريمة قتل كبرى حدثت منذ دقائق".

جاء صوت المسئولة تقريري محايد:

"مَن المتحدث؟!".

قالت ليندا في سخط:

- "لا مجال لهذا اللغو الآن".

وتابعت بنفس الصوت الساخط:

- "لقد وقعت جريمة القتل في هذا العنوان".

وأخذت تبلغها بالعنوان كاملاً، ثم أخبرتها أن من في المنزل مسلَّحُون وربما هناك رهان، ولن تكفي سيارة واحدة للاقتحام، ثم أغلقت السماعة في سرعة، وكأنها كانت تخشى أن تطالها يدُ الشرطية المسئولة عبر أسلاك الهاتف، وبعدها لم تتوقف عن اللهاث لحظة واحدة، وكأنها لم تنتهِ من العدو بعد.

استردت أنفاسها بسرعة، وتصدَّرت صورة طفلها الرضيع أفكارها، وقررت أن تعود إلى المنزل لتشاهد بنفسها ما سيحدث.

استدارت لتعود إلى منزلها، من نفس الطريق الذي سلكته، وهي كاسفة البال منقبضة القلب، وعقدة ذنب كبيرة تعتصر قلبها، وفكرة مريعة تجتاح عقلها المنهك، لم تكن فكرة بمقدار ما كان يقيناً.

يقيناً قاتلاً.

فقد وقر بداخلها أن ما سيحدث، لن يقل عن كونه مجزرة.

مجزرة دموية لرجال الشرطة.

جحظت عينيه أكثر، وإرتعش جسده من كثرة ما يفقد من دماء، فتمنت بداخلها أن يحدث الأمر سريعًا، ولكن ما جاء كان صوته اللاهث الغاضب وهو يقول:

- "للمرة الأخيرة أسألك أين ذهب ذلك الملعون؟!".

نظرت للماسورة المعدنية التي يلوح بها بخوف كاسح، وارتجفت أطرافها بعد أن أيقنت من دنو النهاية مع الماسورة، التي ارتفعت كسيف الجلاد استعدادًا لانتزاع الحياة منها بأبشع صورة ممكنة..

وكما تتعقد الأمور دائمًا.

تنفرج بأسرع ما يكون.

وانقلب الموقف، أصبح الطبيب المسكين هو الضحية بعد أن كان الجلاد..

ما حدث له لا تصلح الكلمات لسرده أو التعبير عن مدى فظاعته، يحتاج الأمر إلى كاميرا سينمائية ذات سرعة عالية في التقاط الكادرات تلتقط ما حدث ثم تعيده بالسرعة البطيئة جدًّا، حتى نستطيع مشاهدة ما حدث بصورة جيدة، فما حدث كان مروعًا ومخيفًا بكل المقاييس..

لقد عبر إعصار يسمى السيدة "لورا" الباب، وفي لمح البصر كانت قبضتها الغليظة تتصدى للماسورة المعدنية، ثم تنتزعها من يد الطبيب الذي لم يجد أيَّ وقت للذهول أو الدهشة، وبضربات عنيفة متتالية حطمت له وجهه ورأسه حتى اختلط عظمه بمخه بجلد رأسه بشعره، في مشهد يشيب له الوليد في بطن أمه.

وبكامل هدوئها عادت إلى الخارج، وأحضرت الطفل الذي تركته

على الممشى الأمامي، وبكل ثقة دلفت إلى الصالة فالدرج فالردهة ثم إلى الغرفة ليختفي صوتُ خطواتها.

وخلفها أفرغت "ليندا" ما في جوفها، وأخذت تلهث، وتبكي من المعاناة، والموقف الرهيب الذي حدث أمامها منذ لحظات معدودة..

برغم أن الطبيب كان يهدد حياتها، إلا أنها أشفقت عليه من مثل هذه الطريقة البشعة في الموت، وهو الذي لم يفعل شيئًا إلا مساعدتها.

لم تتحمل "ليندا" الأمر وانطلقت خارج المنزل تعدو دون وِجهة أو هدف..

كان عقلها قد توقف عن التفكير من هول ما حدث.

أخذت تعدو بطول ممشى قريب يمتد لعدة كيلومترات، حتى خانتها قدماها فسقطت من التعب، وجلست على الأرض المتربة تلهث بقوة ودموعها لم تجف بعد.

كانت خائفة مذعورة، لا تعرف ماذا تفعل ولمن تلجأ!!

إن جميع من استعانت بهم خارج البلدة، وأمامهم ساعات طويلة قبل أن يأتوا، فما عساها تفعل؟! إن المصائب تحدث في ثوانٍ معدودة، فما بالها بالساعات!! مشاعر كثيرة تضاربت بداخلها، وكادت أن تفقدها عقلها، وهي تفكر دون هوادة.

هل تهرب بجلدها وتترك صغيرها يواجه مصيره المظلم، أم تعود وتحاول إنقاذه من تلك القوى الغاشمة التي لا ترحم..!

كانت ممزقة بين خوفها وأمومتها.. بين حياتها وحياة طفلها..

كانت المفاجأة قد حصرت نظرتها، وجعلتها أضيق من ثقب الإبرة فلم تستوعب حالته أو ربما ألجمها الرعب فلم ترَ إلا عينيه المخيفتين، رغبتها في الحياة أعادت إليها صوابها فرأت حالته المزرية، والتي لم تُقلّل من خطورته، ولو درجة واحدة وإن أعطتها أملاً ضئيلاً في النجاة..

كان مصابًا في كتفه الأيسر إصابة بالغة، ويتحرك نحوها في سرعة متوسطة وكأنه زومبي خرج من قبره في التو..

كان يحمل في يده غير المصابة ماسورة معدنية ملوثة ببقايا سوداء غريبة الشكل، مما يدل على أنه قد حصل عليها من القمامة، أو أي مكان آخر شبيه.

تابع تقدُّمه نحوها ثم رفع الماسورة المعدنية في تهديد واضح، وقال بصوت متحشرج منفعل، وهو ما زال يلوح بالماسورة المعدنية:

- "أين الطفل؟! أين ذلك الملعون؟!!"

أخذت تسير بمحاذاة الحائط في بطءٍ وعيناها معلقتان بتلك الماسورة المعدنية التي تمثل لها عمق التهديد والشر، كانت ترغب في أن تصل إلى الأسياخ المعدنية التي تستخدمها في تقليب المدفأة في ليالي الشتاء الباردة..

حاولت أن تصل لها ولكن المسافة كانت كبيرة فلا يمكن أن تصل لها إلا لو تحركت بسرعة أكبر وخفة لا تملكها حاليًا، وهو ما لم تكن واثقة من قدرتها على فعله أو من قدرتها أساسًا على استعمالها كسلاح تقتل به كائنًا حيًّا آخر؛ لذا قررت أن تماطل لتطيل الوقت الباقي لها في الحياة.

لعل الشرطة تكون قريبة أو في طريقها نحو المنزل الآن فتفك أسرها فتلعثمت وهو ترد على سؤاله وقالت بتوتر وخوف:

- "إن الطفل ليس هنا".

زمجر في غضب عاتٍ وهو يلوح بالماسورة من مسافة أقرب، حتى إنها شعرت بها تشق الهواء بالقرب من خدها، فجفلت وهي تستمع لصوته المخيف من جديدٍ:

- "أخبِريني أين الطفل وإلا قتلتك دون رحمة؟!".

بلعت ريقها في توتر وقالت: صدقني يا سيدي إنه ليس هنا. وأرادت أن تحبك القصة أكثر فكذبت كذبة صغيرة فتابعت:

- "لقد ذهبت به والدة زوجي إلى الكنيسة لتعميده".

كان الغضب قد أفقده كل روية وتعقل واتزان، وظهر ذلك في تلك الضربة التي وجهها إلى ليندا بماسورته المعدنية الملوثة، فأصابت بطنها وكأنها لكمة ساحقة.. كانت الضربة عنيفة حتى إنها دفعتها دفعة جانبية عنيفة قطعت فيها عدة أمتار، لتصطدم ببعض قطع الأثاث المتناثرة في صالة المنزل في عنفٍ وعشوائية..

مما وصل برعبها وسخطها إلى ذروة جعلتها تؤمن كم هي هشة..! وكم هي في خطر عظيم..!!

كانت تحاول التقاط أنفاسها بصعوبة، ودموعها تهطل من القهر والألم وصم أذنيها صوتُه الغاضب وهو يقول:

- "أي كذبة لعينة تلفقين أيتها الملعونة، فمَن هي الأم التي تترك طفلها لامرأة غريبة لتعمده، وتجلس هي في المنزل لتشاهد برامجها المفضلة؟".

- 7 -

دلف إلى الصالة وعيناه تشتعلان من الغضب، وجحوظ غريب يكلل نظراته الزائغة المضطربة، ومظهره العام يدل على الثورة العمياء والضياع..

لقد أتى من أجل هدفٍ ما!!

النظرات الجنونية المرتسمة فوق حدقتيه كانت تدل على تصميم غير عادي، ورغبة عارمة في تنفيذ هدفه غير الخفي على أحد.

تصميم قاتل ومخيف بشكل مفزع..

تراجعت "ليندا" إلى الخلف في اضطراب وفزع، حتى إنها اصطدمت بأحد المقاعد المتراصة حول مائدة الطعام فتعثرت، وسقطت، ولكنها نهضت من سقطتها على الفور بعد أن ألقت بالكرسي بعيدًا في توتر، وتابعت التقهقر بظهرها إلى الخلف حتى اصطدمت بالحائط المقابل فكتمت أنفاسها، وأخذت تتطلع له في ذعر ووجها مسلط على عينيه الثائرتين الجاحظتين..

كان يقترب منها وفي عينيه اشتعل الجنون كأوضح ما يكون، من

يدخل عقله لن يجد إلا الأدخنة المتصاعدة وحُممًا من الحقد والكراهية المتقدة والرغبة العارمة في الانتقام..

إنه يكرهها ويكره ما أوصلته إليه هي وابنها الملعون.

لقد دمروا مستقبله، وشوهوا سمعته، وجعلوه متهمًا بجريمة قتل راح ضحيتها فتاتان في عمر الزهور.

لقد انتهى تمامًا.

سيسجن ويشطب اسمه من سجل النقابة، ولن تقبل أي امرأة الارتباط به، لقد انتهى تمامًا، ثم مَن هذا المجنون الذي سيرجع طبيبًا كان متهمًا بجريمة قتل لو قرر قاضٍ أن يأخذ الأمور الاستثنائية الرهيبة التي حدثت وأخلى سبيله..

لقد انتهى بالفعل ويجب أن تنتهي الملعونة وابنها..

كانت نظراته متوحشة، ولكنها كانت بشرية أي لا صلة لها بالمخلوق الشيطاني، وهذا لم يمنع من أن تكون مخيفة..

دق قلبها في عنف واندفع الأدرينالين في سرعة ليمتزج بدمائها، التي كادت تتجمد في عروقها ليرفع درجة التحفز لديها إلى الدرجة القصوى..

كانت أنفاسها تتسارع، وعقلها قد شُلَّ من كثرة الأسئلة، التي اجتاحته مختلطة بالذعر الطبيعي، الذي ينتاب كلَّ مَن يمر بموقفها العصيب هذا..

هل هرب الطبيب من الشرطة؟ أم هم مَن أخلوا سبيله؟

أسئلة بلا إجابة ولا حاجة لها الآن.



- 1 -

كان الطقس خارج الدير عاصفًا وثائرًا، وكأن الطبيعة الأم غاضبة، فقررت أن تصلي الأرض بجحيمها المائي.

الأمطار تغرق كل شيء وتلهب بسياطها الأرض في عنفٍ ودون هوادة، وكأن السماء قد تَعِبَت من هذا الحمل فقررت أن تفرغ أحشاءها.

البرق والرعد يمارسان ألعابهما العنيفة في قلب السماء المكفهرة من كثرة الغيوم القاتمة، ليصنعا جوًّا كابوسيًّا مُقبِضًا لا يجرؤ أي عاقل على الخروج فيه، أو ممارسة أي نشاط.

خارج الدير لم يكن ثمة إنسان أو حيوان أو حتى طائر الكل يبحث عن مأوى، وتوارى بعيدًا عن هذا الجو المقبض الشيطاني، الذي لا يوحي إلا بشرٍّ مستطير.

وبداخل الدير وتحديدًا في القبو المظلم الرطب عطن الرائحة، وقف الساحر الوسيم، ومساعده الوحيد في منتصف دائرة مركزية، تم رسمها بالجير على الأرضية الحجرية تحوطها دوائر أخرى مرسومة بدقة أيضًا..

- 2 -

انطلقت السيارة التي تقل الشرطي "هاري" كالصاروخ، تقطع الأميال الكثيرة المتبقية في سرعة رهيبة، لا يماثلها إلا ضجيج الأفكار التي تكتسح عقله دون هوادة.

لقد اختلطت الأمور في عقله الآن وتعقدت بشدة، مما أفقده الثقة في جدوى ما سيقوم به خلال رحلته الطويلة، التي بدأ في سلوك دروبها الوعرة الآن.

فبعد أن ترك "ليندا" بالقرب من المستشفى بعد أن تعرفت على جثة زوجها المسحوقة، توجَّه من فوره إلى قسم الشرطة وأنهى الإجراءات الرسمية الخاصة بدفن الجثة، ثم شرع في تقصي الأمور حول ما وقع من حوادث وجرائم في شارع "بدفورد"..

وبعد أن اطلع على المحاضر الرسمية، وأقوال شهود العيان، وتفاصيل كل جريمة على حدة.. غمره خوفٌ شديدٌ وشعور بالعجز وقلة الحيلة..

إن الأمر ليس بالسهل ولا بالبسيط الآن..

هناك جزء كبير من الحقيقة في الأمر..

توجد بالفعل قوة غاشمة عشوائية تقوم بتنفيذ جرائم القتل هذه بقلب باردٍ، وكل الشواهد تدل على أن لها علاقة بـ "ليندا" وصغيرها..

إن في الأمر شيئًا خارقًا.. شيئًا خارج قوانين الاحتواء البشرية..

إنه لم يكن يعتقد أن الأمور بمثل هذا التعقيد الشديد..

لقد حاول أن يشدّ من أزر "ليندا"، لم يكن يكذب حينما أخبرها بأنه يعرف أحدَ الأشخاص القادرين على مساعدتها، وهو وسيطٌ روحاني عالَج من قبل حالات شاذة مشابهة من المس والاستحواذ الشيطاني..

لكنه بدأ يشك في قدرات هذا الشخص بعد أن ألمّ بكافة التفاصيل الأخرى المحيطة بالجرائم..

كان يعتقد أن الأمور أبسط من أن يكون وراءها خطرٌ أو تهديدٌ بمثل هذا الحجم كما هو حادث الآن..

إنه لن يتخلى عنها بالطبع؛ فهذا ليس من شيمه، ولكن هل يستطيع فعلاً أن يكون ذا فائدة في هذا الأمر، أم تنتهي حياته بطريقة مروعة كما حدث لأبيه.

هل يستطيع أن يمد لها يد العون التي تنتشلها من مستنقع الرعب هذا الذي غاصت فيه حتى رأسها؟!

إن أكثر شعور يكرهه في حياته هو الشعور بالعجز أو قلة الحيلة..

لقد أصبح شرطيًا ليساعد الآخرين.. على عكس الكثيرين مما دخلوها ليمتلكوا السلطة والنفوذ ليخرجوا بهم عُقَدهم النفسية

قاتَل مع رجاله قطاع طرق، وحارب لصوص، ومرتزقة، ومات العديد منهم بيديه وحوله.

كان الموت يفرد أجنحته السوداء طوال طريق الرحلة..

ولكن الرحلة استمرت..

كان المكان بعيدًا ومخيفًا..

ولكن الرحلة استمرت..

إنه هناك حيث يسكن المتوحشون قصار القامة ذوو الأعين الضيقة..

إنه هناك..

حيث يقطن المغول..

كان الكتاب يقبع هناك في عمق أحد الأديرة التي تقع في عمق الهضبة..

هضبة التبت..

ولكن بعزيمة وإصرار وصل ورجاله إلى الدير..

وما حدث بعد ذلك كان فظيعًا..

لقد ذبح رجاله الرهبان دون شفقة أو رحمة.

رجال الدين الذين اثبتوا شجاعة وثبات في القتال من أجل مبادئهم وأسرارهم، ولكن ماذا يفعل الإيمان واليد الخالية أمام الرماح والسيوف..

والسحر الأسود..

كان الأمر محسومًا من قبل أن يبدأ..

لقد انتصر الشر..

وامتلك الساحر الكتاب الملعون..

وغادر الدير بعد أن أضرم فيه النيران..

وكانت البداية..

وكأنها جثة طازجة لم يمضِ على تحنيطها عدة قرون، ورغم أن الأمر هزَّ الساحر في البداية إلا أنه اعتبره أمرًا مقبولاً؛ فليس أقل من ذلك مع جثة ساحر مثل "القلب الأسود".

كان ما يحدث أمرًا خارقًا يتحدى كل نواميس السحر والطبيعة، ولكنه لم يتوقف أو يتردد.

وفي النهاية، أرشدته تلك الأرواح المظلمة إلى مكان الكتاب الخاص "بالقلب الأسود".. أرشدته إلى الكنز الذي كان يبحث عنه، والذي من أجله قام بكل هذه الطقوس البشعة معرِّضًا حياته للخطر.

لقد حاور الأرواح التي راوغته كثيرًا، وسألها مئات المرات عن المكان، ولما استوثق منها.. كان قد أنهك إلا أنه ردد تعويذة إنهاء الأمر، فاختفت الأسود السوداء، وذابت وسط دوامة من النيران تلاشت في العدم كما بدأت..

وهدأ كل شيء..

إلا دقات قلب الساحر التي أخذت ترقص طربًا من فرط السعادة بالكنز الذي عثر عليه..

لم تكن الأمور متساوية عند مساعده، والذي فقدَ سيطرته على نفسه فسقط وسط الدائرة فاقدًا للوعي، ومن منخاريه أخذ يتردد صوت خنفره عالية وصوت تنفس مقزز يختلط بخوار غريب يدوي في المكان.

كان الساحر في قمة سعادته ونشوته إلا أن موقف مساعده الضعيف جعل الساحر يتمتم بعدة كلمات ساخطة، وهو يتجه صوب الأشلاء المتناثرة في كل مكان والغارقة في الدماء.

وبكل دقة وإخلاص قام بتجميع جميع الأشلاء الخاصة بالجثة الممزقة ولفها بعناية في رداء خشن، وقام بمسح الدماء برداء آخر، وجمع الجميع في لفة واحدة. واتجه بعد ذلك إلى حفرة جاهزة كان قد أعدها مسبقًا بمساعدة مساعده الأحمق، ووضع فيها اللفافة بعناية، ثم أهال فوقها التراب، وما إن انتهى حتى بدأ في ترديد التعاويذ الخاصة بإعادة الميت إلى عالمه.

وأنهاها موجهًا أوامره إلى الجثة كي لا تطارده بعد ذلك:

(يا من خرجت من عالمٍ لا يدَ لنا فيه..

عُد من جديد إليه، ولا تذكرنا أبدًا..

لقد انتهت مهمتك، ولن يجدي انتقامك شيئًا..

ما حدث كان قدرك..

وقدرك ألا تعود من جديد..).

أنهى التعويذة ثم أيقظ خادمه الأحمق في عنفٍ، وغادرا الدير لتبدأ رحلته إلى المكان الذي يوجد به الكتاب ليبدأ الجزء الشاق من الأمر..

قطع الفيافي والقفار، وعبر الصحراء، والبحار، وهو يصطحب معه جيشًا جرارًا من المرتزقة..

رأى الموت أكثر من مرة في رحلته الملعونة..

فتارة ينجوا بالحظ، وتارة بعلمه وسحره، وتارة بفضل رجاله القساة..

كان الطريق طويلاً، وبعيدًا، وشاقًا، ولكنه لم ييأس لحظة واحدة..

إن طموحه يمنحه طاقة تكفي جيشًا من المتحمسين..

وقف الساحر ومعه مساعده المرتجف قليل الخبرة في مركز الدائرة الثانية، وأمامها تمددت الجثة المحنطة والملفوفة في لفافات مهترئة من الكتان الذي اصطبغ بلون بني صدئ..

أخذ الساحر نفسًا عميقًا وردد التعاويذ النهائية لبدأ الأمر، وعن طريق منجل حاد غريب الشكل بدأ في تمزيق صدر الجثة والعبث بها بطريقة تنم على إجادته لمثل هذه الأمور وإتقانه لها..

كان الأمر مخيفًا وبشعًا ومقززًا ومنفرًا ويبعث عن الاشمئزاز.

فأن تعبث بجثة ما.. شيء مرعب ومخيف، وأن تعبث بجثة ساحر من ممارسي السحر الأسود شيء مفزع، ولكن أن تنبثق نافورة من الدماء من صدر هذه الجثة لتُغرِق كل شيء رغم مرور قرون على موتها وتحنيطها كان أمرًا مروِّعًا أمرًا لا يُصدَّق أبدًا.

ولكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، لقد كان ما حدثَ هو بداية الهول في هذه الليلة السوداء.

لقد أحاطت بالدائرة المرسومة على الأرض مجموعة مخيفة من الأسود السوداء التي تنفث اللهب، والتي ظهرت فجأة وكأنها نبتت من العدم..

نعم، مجموعة من الأسود الضارية، التي حاولت أن تشتت تركيز الساحر لتسيطر عليه بحركاتها السريعة وألسنة اللهب التي تطلقها نحوه لتتوقف على حدود الدائرة الخارجية المرسومة على الأرض الصخرية..

كان ما يحدث أفظع من الكابوس أو أشد وقعًا..

ولكنه كان متوقعًا "فالقلب الأسود" لم يكن بالساحر العادي.. لقد كان يتصل بشياطين الجحيم وبينه وبينهم معاهدات.

لذا فإنه ظل على ثباته وهدوئه، وكأن ما يحدث من حوله بعيد عنه، ولا يمت لما يقوم به من صلة..

إنه خبير في مثل هذه الأمور، ولم يحظَ بمكانته عبثًا، ومن واقع خبرته كان يعرف أن هذا سيحدث، ولكنه لم يتصور أن يكون بمثل هذه القوة والضراوة، وبرغم الهول لم يستسلم، أو يضعف، أو يتخاذل، إنه على بُعد قوسين أو أدنى من هدفه؛ لذا فلم يكن هناك أي مجال للتراجع أو التردد أو الهلع..

وقف كالتمثال في منتصف الدائرة، لم يرتجف أو يتأثر.. فقط أغمض عينيه وأخذ يُردِّد عددًا من التعاويذ الجهنمية دون هوادة، وبحماسة وإصرار شديدين حتى هدأت تلك الأسود واستكانت كحيوانات أليفة.

كل هذا الصراع كان يتم ومُساعِدُه يكاد يقضي رعبًا حتى إنه بال في سرواله، وكاد يفقد الوعي لولا كلمات الساحر الصارمة التي أعادته لرشده..

ورغم خوفه الشديد إلا أنه نكس رأسه وثبت نظره على النقوش التي سجَّلها الساحر على الأرض الصخرية، وتجاهل عامدًا تلك العيون المشتعلة المخيفة التي تلمع في وجوه الأسود السوداء.

كان الساحر يبدو كالمارد وهو يحاور هذه الأرواح الخبيثة الشرسة وهو مستمر في تمزيق الجثة، والتي أخذت الدماء تنزف منها في غزارة،

في مكان سِرِّيٍّ يقع في آخر الأرض، وظلَّ الأمر ينتقل من جيلٍ إلى جيلٍ عبر الصدور دون أن يدوَّن مرة أخرى.

وتمر القرون وتليها قرون وتنتقل هذه المعلومات إلى الساحر "كوارك"، والذي لم يكتفِ بحفظها ونقلها كمعلومة مقدسة إلى من يليه من السحرة، ولكنه قام بعمل متهور وغاية بالخطورة والشجاعة في نفس الوقت..

قام باستخراج المخطوطة من مكانها السري بعد أن استطاع بعلمه وخبرته قهر اللعنة، التي وضعها عليها السحرة الآخرين، ومع تأكده من صحة هذه المخطوطة الثمينة لم يضيع الوقت، واقتنص الفرصة، وقام باستخراج الجثة وإحضارها إلى الدير في سرية تامة بمعاونة بعض معاونيه شديدي الإخلاص والوفاء والذي تأكد من سكوتهم بتسميمهم جميعًا..

ولم يكن ليفوِّت الفرصة ولم يكن ليسمح بفشلها قط، لم يكن بهذا الحمق ليدعها تفلت من يده ولم يكن ليترك أيَّ أمرٍ للظروف.

إنه كأمهَر آكل للموتى، وأفضل مستجوب للجثث وأعظم نكرومانسي هذا العصر لم يكن ليترك الفرصة تمر دون أن يستفيد بها لأقصى مدي.

إن المعرفة التي تحتويها هذه الجثة تُعادِل معرفة عشرات القرون. إنها التي ستمنحه القوة المُطلَقَة ليصبح أعظم ساحر في هذا العصر..

لم يكن الأمر سهلاً، ولن يكون القادم سهلاً أيضًا..

إنها معركة بينه وبين هذه الأرواح التي سيقوم باستدعائها

واستجوابها واستنطاقها وإجبارها على قول الحقيقة، فمعظم هذه الأرواح كاذبة وتحاول السيطرة على الساحر، ويجب عليه بقوته وخبرته أن يُخضِعها ويسيطر عليها وينتزع منها الحقيقة والحقيقة فقط..

وهو كان مستعدًا، مستعدًا لكل شيء.. مستعدًا تمامًا.

وهذا السبب أيضًا هو ما جعله يختار هذا الجو المخيف الثائر، ليبدأ فيه هذه الطقوس الملعونة، فما من جو ملائم أكثر منه برغم رداءته وسوئه.

كان كل شيء جاهزًا.

حتى مساعده الشاب الوحيد الذي بقي على قيد الحياة بعد المذبحة الأخيرة، كان على أتم استعداد للقيام بدوره في إجهاض الأمر بالكامل في حالة فشله، أو عدم قدرة الساحر على ردع هذه الأرواح الشريرة بالتعويذة التي يحفظها عن ظهر قلب.

أتم كل الأمور بدقة بالغة، وفي هدوء يُحسَد عليه ثم رفع رأسه وتطلع إلى جدران القبو حالكة السواد، والتي تم طلاؤها جميعها بالقار الأسود فلم تبدُ بهيجة برغم المشاعل التي تناثرت على مسافات متساوية، والتي كانت تشتعل بأضواء عجيبة متراقصة وكأن لها إرادتها الخاصة.

لم تكن مشاعل عادية، ولكنها مشاعل سحرية اشتعلت جذوتها نتيجة عمل سحري وليس كأمرٍ طبيعيٍّ، كل شيء في هذه اللحظة سيخضع للسحر.. السحر الأسود فقط، ألعن أنواع السحر وأشدها خطورة، وهو شيء آخر يدل على مهارة الساحر وحنكته.

وبعد أن انتهى الساحر من رسم الدائرة، التي تمثّل مركز الأرض، والدائرة الأخرى التي سيقف في مركزها مع مساعده، وبعد أن تأكد من حساباته جيدًا، فمثل هذه الأمور لا تتحمل أي خطأ مهما كان ضئيلاً، فالعبث مع الشيطان يكلف كثيرًا، بل وكثيرًا جدًّا.

بدأ في تطهير هذه المساحة المستخدمة في إجراء الطقوس بالماء المقدس وبعض التعاويذ شديدة التعقيد، والتي تنتمي بالطبع لأبشع مجموعة من تعاويذ السحر الأسود شديد الخطورة والتحريم والصعوبة، وهو يدرك ذلك تمامًا، ويدرك خطورة ما يقوم به هو ومساعده الذي بدأ في الارتجاف، ولم تبدأ الأمور الأشنع في الحدوث بعد.

لذا فإنه قام بنفسه بعد ذلك بكتابة أسماء الآلهة الوثنية، التي يعتقد أن لها صلة بالسيطرة على أرواح الموتى الذين سيتم استدعاؤهم، وبذلك يضمن وجودها في هذا المكان المقدس في الوقت الذي يريده من أجل أن يعرف.

نعم، فكل هذه الطقوس الجهنمية شديدة الخطورة تتم من أجل شيءٍ واحدٍ..

المعرفة..

وهي ليست أي معرفة، إنها المعرفة التي تمنح القوة والسيطرة.

لقد عثر أخيرًا على جثة أقوى السحرة، وأشرِّهم طرا الذين عرفتهم الأرض في تاريخها المظلم كله.

كانوا جميعًا يعتبرونه المعلم، ويؤمنون بأنه يستقي كل علومه من الشيطان مباشرة، ودون حجاب.

كان أسطورة وحجة في فنون السحر الأسود والكيانات السوداء.

وكانوا يطلقون عليه اسم "القلب الأسود"، لأنه أكثر قلبٍ مُظلمٍ خُلِقَ في هذه الدنيا.

لم يعرف أحدٌ اسمه الحقيقي أو بلدته أو تاريخ نشأته، ولم يحاول أحد ذلك أبدًا، ليظل إلى الأبد سيد الغموض.

حينما مات هذا الساحر لم يصدق تابعوه أو تلاميذه أنه مات مثلما يحدث لأي بشريٍّ عادي، وظنوا أنها خدعة أو اختبار ما من اختباراته القاتلة، للتأكد من ولاء أتباعه.

لم يصدق أحد أن كل هذه القوة والجبروت يمكن أن تموت، وتدفن في التراب، وتصبح غذاء لديدان الأرض..

لم يصدق أحدٌ أن هذا العهد المظلم انتهى، وفي النهاية صدقوا.

لذا واروا جثته في مكانٍ سِريٍّ بعد أن قاموا بتحنيطها وأداء الطقوس الخاصة بالموت، والتي شابت شعورهم وهم يقومون بها، فلم يكملوها من هول ما واجهوا.

مخلوقات نارية تهاجمهم، ومخلوقات من دخان تحاول الاستحواذ على أجسادهم ومخلوق أسود ذو شعر كثيف أطاح بالعديدين في ثورةٍ، وحصد عدة أرواح، قبل أن تسيطر تعويذات الحماية على هذه الأرواح الثائرة وتعيدها مدحورة إلى أعماق الجحيم.

وعلى الفور قاموا بدفن الجثة في المكان الذي أوصى الساحر بدفنها فيه، ولم يذكروا هذا المكان إلا في مخطوطة واحدة تم إخفاؤها بمهارة

على الضعفاء.. لقد مات أبوه أمام ناظريه في سبيل مبادئه وعقائده التي يؤمن بها والتي رسخها في قلب ابنه "هاري"، وجاء عمله البطولي الأخير كدليل مادي وملموس على شدة إيمانه بهذه المبادئ وعشقه لمساعدة الآخرين..

ذلك العشق الذي أورده مورد التهلكة..

نعم مات والده أمام ناظريه..

مات في سبيل ما يؤمن به..

دمعت عيناه حينما تذكَّر الأمر واختنق الهواء في حلقِه فشهق، ثم أخذ نفسًا عميقًا وهو يضيء الأضواء الأمامية للسيارة فقد غابت الشمس، ولم يتبقَّ من ضيائها إلا النذر اليسير والذي لا يساعد على القيادة بصورة جيدة.

كانت الإضاءة في البداية باهتة، ومع هجوم الليل أصبحت أكثر لمعانًا وقوة، فأخذت تشق قلب الظلام الجاثم على صدر الطريق، ومع سلاسة القيادة وخلوِّ الطريق من السيارات عادت الذكريات لتنهمر على عقله من جديد، وعادت به لسن السادسة عشر أي منذ خمسة عشر عامًا كاملة..

في هذا الوقت لم يكن قد مرَّ على وفاة والدته أكثر من عامين زاد خلالهم تعلُّقه بوالده إلى درجة كبيرة، وأصبح ينظر له على أنه أفضل رجل في العالم، وفي المقابل كان والده يعتبره أفضل ابن في العالم..

ورغم حب والده له بل هيامه به، إلا أنه لم يدلله حتى لا يفسده، وأنشأه نشأة معتدلة، وغرس بداخله كل المبادئ الصالحة وحب الآخرين..

وكانت مقولته التي ما كان يفتأ يردِّدها:

- "مهما كانت درجة سوء الآخرين فلنريهم كيف أننا الأفضل".

ولكنَّ أباه لم يعتقد أن مساعدة الآخرين قد تكون أحيانًا كثيرة وبالًا على من يقوم بها، وخاصة لو كان يقوم بها بحماسٍ أعمى يدفعه رد فعل مبالغ فيه..

في ذلك اليوم البعيد استيقظ "هاري" ووالده على صوت صراخ عالٍ ورائحة شياط ودخان مكتوم يفعم كل شيء تبعه صوت انفجار مدوٍّ.

في البداية ظن هو ووالده أن منزلهم هو من يحترق، ولكنهما تأكدا من خطئهما بالفحص السريع للمنزل من، ثم خرجا إلى الشارع ليفاجئهما مشهدٌ رهيبٌ ومفجعٌ.

لقد كان المنزل المقابل منزل السيدة "روزالي" هو من يحترق بل يشتعل كالجحيم.. فقد وصلت النيران إلى القبو، والذي كان يحتوي على صندوقي نبيذ معتَّق كانت تعتز بهم مدام "روزالي" لأنهم يعودون لخمسين عامًا مضت.

ولكنهم كانوا بمثابة القنابل، التي ساعدت في سرعة انتشار النيران في المنزل ذي الطابقين لتلتهم الدور الأرضي دون رحمة.

كانت السيدة "روزالي" تعتني بالحديقة حينما حدثَ ما حدثَ، فلم تستطع إخراج ابنها الوحيد والمصاب بحالة متقدمة من التوحد، ولم يستطع أحدٌ أن يمد للصبي يدَ العون، وخاصة بعد أن تحوَّل الطابق السفلي إلى جحيم

ارتفع صراخ السيدة "روزالي" يمزق نياط القلوب، وهي تبكي صغيرها الذي ظل يتطلع من النافذة في خوف وذهول وهو يبكي.

بالطبع لم يكن أي إنسان عاقل سيقوم بما قام به والد "هاري" بأي حالٍ من الأحوال..

فالنيران كانت مشتعلة بشدة، وألسنتُها تتماوج بالغضب في كل مكانٍ؛ مع انتظار الجميع لانفجار أسطوانة الغاز حينما تصل لها النيران..

فوجئ الجميع كما فوجئ "هاري" بوالده يتدثر ببطانية مبللة يخفي بها كامل جسده، ثم يندفع في تهور وسرعة وسط النيران، التي أخذت تأكل في خشب المنزل، والذي أخذ يئن ويصدر طقطقات عالية غاضبة..

لم يستطع أحدٌ أن يوقفه، وشخصت العيون الذاهلة صوب المنزل الذي تحوَّل في لحظات إلى جحيم مستعر، وهم لا يتوقعون عودته سالمًا..

حتى "هاري" ألجمه الذهول فلم يحرك ساكنًا..

ومرت الثواني ثقيلة ومعها تسرب الأمل من قلب الجميع في إمكانية خروجهم أحياء من هذا الجحيم المشتعل، وبعد مرور دقيقة ونصف خرج والد "هاري" يحمل الصبي الصغير بعد أن لفه جيدًا بالبطانية المبللة، والنيران تلتهم ظهره وشعره.

وضع الصبي على الأرض ثم سقط يتلوى من الألم الحارق.

اندفع نحوه الجميع ليطفئوا النيران العالقة بجسده، وحملوه هو والطفل إلى المستشفى القريب في سيارة أحد الجيران، التي كانت متأهبة لذلك.

لم يمت على الفور.

ولكنه ظلَّ يعاني من الآلام الناتجة عن الاحتراق ليومين كاملين.

يومان قضاهم "هاري" وهو يتطلع لوجه والده الذي امتلأ بالحروق.

يومان ظلَّ يبكي فيهما دون توقف حتى جفت عيناه تمامًا.

وقبل أن يلفظ والده أنفاسه الأخيرة.. أخبره أنه غير نادم، ولو تكرر الأمر لقام بمثل ما قام به، حتى لو كان يعرف أن هذا هو ما سيجري له، وأوصاه أن يسلك سلك الشرطة فعن طريقه يستطيع أن يساعد الآخرين..

كم بكى عليه لم يَعُد يَذكُر؟؟

هل نسيه لحظة؟؟

لم يحدث ذلك أبدًا..

كانت وصيته والده واضحة أن يساعد الآخرين مهما كان الثمن، ومن أكثر من "ليندا" بحاجة إلى المساعدة الآن..

كان قد قطع من رحلته ما يزيد على ثلاثمائة كيلومتر؛ لذا فإنه عرج على أقرب محطة وقود وقام بتعبئة السيارة بالبنزين حتى امتلأ خزانها تمامًا.

كان الجوع قد قرص أحشاءه، فقام بشراء بسكويت وماء من نفس المكان، وعاد ليقود سيارته من جديد عبر الطريق المظلم المشرف على الانتهاء.

كان قد قطعَ معظم المسافة حتى حدود المدينة، وخلال ساعة أو نيف سيكون أمام المنزل الذي يوجد به "جايكوب" المعالج الشاب الذي أخذ على عاتقه إراحة البشر من كل هذه الأرواح الشريرة..

أخذ يفكر في أنه في الغد لن يكون في عمله، لقد حصل على إجازة لمدة ثلاثة أيام، يعتقد أنها كافية لإنهاء الأمر، أو للقضاء عليه هو شخصيًّا.

فهذه المرة سيلعب في ملعب لم يخض فيه من قبل، وسيحترق بنيران تختلف عما نعرفها من نيران.

فأن تواجه شيطانًا قادمًا من قلب الجحيم وظيفته الوحيدة هي القتل، شيءٌ لا يوحي بأي نصر قادم أو نجاة..

كان اليأس قد غزا قلبه فعاد يحدِّث نفسه من جديد، لقد ألزم نفسه بمساعدة هذه المرأة الضعيفة المغلوبة على أمرها، وهو لن يتراجع بعد أن قطع كل هذه المسافة..

أخذ يحدث نفسه كالمجنون:

- "ما هذا الذي تشعر به."

- "أهو الخوف؟"

- "نعم هو الخوف.."

- "هل ستتراجع الآن؟".

- "هل ستترك امرأة ضعيفة وطفلها في مواجهة الشيطان، والراجع لأنك خائفٌ؟!".

- "هل أصبحتَ جبانًا وأنت لم تواجه الخطر بعد؟!".

كان يلوم نفسه بشدة في محاولة للتغلب على ذلك الخوف المجهول الذي داهمه، وحين أدار الأمر في رأسه شعر بمدى ضعفه أمام هذه القوة العاتية التي سيتحداها؟!، ولم يوقف هذه الهستيرية إلا الأضواء الملونة التي يقترب منها في سرعة، فعمل على إبطاء سرعة السيارة لدخوله على حاجز مروري أمني.

أشار له الشرطي أن يركن سيارته خارج الطريق، وطلبَ منه رخصته ورخصة السيارة، وسجَّل عليه مخالفة لتجاوزه السرعة المسموح بها برغم كونه شرطيًّا أيضًا.

لم يبالِ "هاري" وأعاد سيارته إلى الطريق، ودخل في نهر السيارات التي تغص بها المدينة وهو في قمة الضيق.

كان يكره الزحام بشدة، ولكنه في هذه المرة لم يعلق التعليقات المعتادة، بل قاد السيارة في صمتٍ وهدوءٍ، حتى أتى المخرج الذي يهدف إليه فانفصل عن الزحام الشديد لزحام أقل وطأة ومنه اتجه إلى قلب المدينة التي لا تنام.

عبر مجموعة من الطرق الجانبية واستطاع عن طريقها أن يصل إلى الحي المنشود، ورغم مرور عدة سنوات إلا أن الحي الهادئ لم يتغير أو يتطور اللهم إلا آثار الزمن على واجهات المباني، والتي أحالت الطلاء إلى الدرجات الأقل لمعانًا وبهجة.

دلف إلى شارع هادئ خالٍ من السيارات ومنه إلى شارع جانبي آخر، وقطع عدة أمتار أخرى حتى وجد المنزل أمامه.

أوقف السيارة مباشرة أمام باب المنزل المشتعلة أضواؤه دليلاً على استيقاظ قاطنيه.

أغلق السيارة عن بعد ثم ارتقى الدرج..

وما إن اقتربت يده من زر الجرس حتى انطلقت من داخل المنزل صرخة عاتية عالية أفزعته.

صرخة إنسان يعاني من الآلام.

آلام الاحتضار..

- 3 -

استغرق الأمر من "روبرت ستامفورد" والد ليندا عدة ساعات قبل أن ينتهي، لم يكن الأمر بالسهولة المتوقعة، لقد استغرق منه الحفر وقتًا أطول من المعتاد، وكأن الأمور تتحمل ضياع مثل هذا الوقت الثمين.

تنهد بعنف.

كان قانطًا من ضياع الوقت، فأخذ يلوم نفسه على ضعفها وانحاذُها، ورغم أنه كَرِهَ هذه الفكرة بعنفٍ، إلا أنه عرف سبب ضياع هذا الوقت!

ربما هو من أصبح أوهن من المعتاد، لماذا يكابر؟ هو بالفعل أضعف من المعتاد.. إنّ ثلاثين عامًا ليست بالشيء الهين إنه عمرٌ آخر عمر يكفي لهدم وبناء إنسان جديد..

جزَّ على أسنانه وهز رأسه التي علاها بعضُ الغبار من أثر الحفر، وهو يحث نفسه على التجلد والصمود، إنه لن يترك نفسه فريسة لهذه الأفكار المحبطة الباعثة على اليأس..

زمجر في إحباطٍ وهو يردِّد بينه وبين نفسه بصوت مكتوم:

- "اللعنة.. إن تجاهل الأمر لا يعني عدم وجوده".

إن عظامه تئن بالفعل فهو لم يعد شابًا بَعد، وكل هذا المجهود يرهق قلبه المريض بشدة، حتى إنه يخشى أن يتوقف من الانفعال أو الخوف على مصير ابنته وحفيده، قبل أن يخطو خطوة واحدة نحو نجدتهم.

فقد حضر منذ ساعات إلى الكوخ المهجور في الغابة القريبة من المنزل، والتي زحف عليها العمران، فلم تعد أكثر من ظِلٍّ باهتٍ لغابة عظيمة بعد أن عبر المجرى المائي الفاصل بقارب مطاطي صغيرٍ.

توقَّع أن ينجز المهمة في وقتٍ أقل، ولكنه السن وأحكامه.. كانت الثواني تلتهم عقله وعقارب الساعة تعدو لتهرب من مصيدة الزمن المستحيلة، وبعد دقائق مرهِقة مملة وصل أخيرًا إلى بغيته، وعلم ذلك من صوت اصطدام الرفش بالجسم الصلب المتواري أسفل التراب.

تنفس في ارتياحٍ ثم أخَذ يزيح بيده التي توارت بداخل قفاز جلدي خشن بالٍ تظهر عليه آثار الزمن وكثرة الاستعمال، ما تبقى من الأتربة المتراكمة فوق الصندوق المعدني المدفون.

جذب الصندوق بقوة عدة مرات، ولكنه لم يستجِب لجذباته الواهنة، فقرَّر متبرمًا أن يعاود الحفر من حول الصندوق، واستغرق ذلك الأمر عدة دقائق أخرى، حتى استطاع خلخلة التربة من حول الصندوق الثقيل، ثم استجمع قوته وسحبه إلى أعلى، وما إن خرج من الحفرة حتى جلس بجواره يلهث وهو يردد بصوتٍ مجهدٍ:

- "إنك أسوأ مما كنت تعتقد.. أسوأ بكثير!!! كيف ستتولى زمام الأمور بهذا الضعف كما كنت تفعل سابقاً؟".

ركن ظهره إلى الحائط، ثم أخرج علبة سجائره المحلية التي تجعدت وعلبة ثقاب لا تحتوي إلا على ثلاثة أعواد أشعل بأحدهم السيجارة، التي اتسخت بالأتربة التي كانت تلوث يديه، ولكنه لم يُعِر الأمر أيَّ انتباه، وهو يسحب نفسًا مختنقًا من السيجارة، ويطلقه في زفرة عالية، وكأنه يخرج مع سحب الدخان توتره وانفعاله.

قرر أن ينهي السيجارة، ثم يقوم بعد ذلك بإفراغ الصندوق من محتوياته، ثم يبدأ رحلته الرهيبة.

مرت لحظات وعقله حائر ثم جذبته قبضة الذكريات إلى الخلف..

إلى ثلاثين عامًا مضت..

لم تكن هيئته كما هو الآن..

لقد كان وسيمًا قويًا صلبًا قليل الخبرة، لم يملك بعد تلك الخبرات التي تحفر آثارها مع الزمن على وجهه بمعاولها الحادة.

وككل الشباب كان يمتلك طاقة زائدة وجموحًا غير مُحبَّب..

هل كان وغدًا؟ ربما..

ولكنها كانت السمة الرئيسية لكل الشباب في مثل سنه..

لم يكن الأمر عيبًا، ولم يكن ميزة خاصة في بلدة مثل (سيلفر سبرينج) القريبة من مدينة (شارلستون)..

كان نزقًا مستهترًا لا يأبه بشيءٍ أكثر من تدخين الممنوعات ومرافقة

الفتيات، ولكن اللعنة الكبرى كانت بحثه عن الإثارة، لإفراغ كل الطاقات الزائدة بداخله.

هل كان وحده من يبحث عن هذا؟ بالطبع لا.

هل كان له رفاق آخرون يسيرون على نفس النهج؟ نعم.

كانوا خمسة وكان الملل سادسهم.

وذات يوم كئيب ممل ككل الأيام، التي ينتهي فيها الجميع من أداء كل شيء قد يوحي بالبهجة أو الإثارة، ولكنه لا يصل إليها أبدًا.

اجتمعوا ليلاً بعد أن رحلت عنهم الفتيات، وساد بينهم صمت ثقيل لبرهة من الوقت، وكان كل منهم يتطلع حوله بلا هدف، والبعض انهمك في تدخين "الماريجونا" كسبيل لإنهاء هذه الليلة الراكدة.

وقطع الصمت "كونال" قائلاً في ضيقٍ، وعينه الزائغة الزجاجية بفعل المخدر تدور عليهم:

- "أما من نهاية لهذه الليلة المضجرة؟ إنني أشعر بملل بلا حدود هل من أفكار جديدة جيدة؟!".

تطلعوا إليه بصمتٍ وهم يرمقونه بنظرة خاوية لا تدل على شيء دون أن يجيب أحدهم، وقد بدا أنهم يديرون الأمر بداخل رؤوسهم مما دفعه للاستطراد قائلاً:

- "أنا مستعدٌ للموت ولو على سبيل التسلية كي تمر هذه الليلة".

كانت كلماته مفزعة وفاجأتهم فنظروا له بدهشة وردد "روبرت" بغير وعيٍ:

- "الموت؟!!".

وانطلقوا يقهقهون دون وعيٍ، وكأن الكلمة المفزعة أعجبتهم فجأة!!

كانوا يصنعون ضجيجًا هائلاً مزعجًا، ولكن في مثل هذا المكان النائي، لم يكن ليتواجد إلا ضائع مثلهم أو شخص يتدبر أمرًا شريرًا في الخفاء..

كان المكان الذي تجمعوا فيه بالقرب من منزل "روبرت" النائي.

صامتًا.. هادئًا كعادته دائمًا منذ خلق ذلك الهدوء الذي يوحي بالشر..

كان "روبرت" منذ الصغر يخشى ولوج الغابة القريبة المتشابكة.

هل يسأل الجميع لماذا؟؟!!

بالطبع سنجيب لأن الأمر ليس سرًا أبدًا..

فكل فرد في المنطقة يعلم بأمره، ولكنهم توقفوا عن تداوله منذ زمنٍ بعيدٍ، حتى حينما كانوا يجتمعون حول النار في الليالي الصيفية الهادئة، ويأخذ كل واحد منهم في سرد قصة مخيفة تسجيه للوقت، كانوا يتجاهلون ذِكر هذا الأمر المخيف تمامًا وكأنه قانون مفروض.

لقد تحول الأمر إلى تابو مخيف، و نسيه الجميع تقريبا أو تناسوه.

ولكن الأمر حفر في وجدان "روبرت" وزرع بداخله خوفٌ كامن لم يكن ليفارقه قط.

فذات يوم وهو بعد لم يتجاوز الحادية عشرة مساءً، قرر بفضول الأطفال المعتاد والقاتل الولوج إلى الغابة.

هل كان يبحث عن سنوايت والأقزام السبعة؟!

هل كان يبحث عن أليس في بلاد العجائب؟!

أم أنها كانت ذات الرداء الأحمر ؟!

لم يعد يذكر، ولكن ما يذكره بشدة هو تلك الجثة الممزقة الأطراف مبقورة البطن مهشمة الرأس، التي وجدها ملقاة بإهمالٍ بجوار جذع شجرة ضخم..

كان هذا هو الحدث الأساسي الذي صنع الكوابيس في حياته طوال السنوات التالية..

هل نسي ما رأى؟

هل عرف لمن هذه الجثة؟

هل توصلوا للقاتل؟

كلها أسئلة لها إجابة واحدة فقط لا تشفي ولا تهوِّن الأمر وهي: "لا"...

وحينما ذكرَ "كونال" الموت عادت له الذكرى المخيفة لتقضي على كل أثرٍ للمخدر بعقله، فجذب كم "كارل" الطويل وقال له:

- "هيَّا لنغادر هذا المكان فإني لا أشعر براحة في تواجُدي هنا في مثل هذا الوقت!!".

سمعه الجميع، وانطلقوا يسخرون من الدجاجة الصفراء، وصديقهم الجبان الذي يخشى مجموعة الأشجار المتراصة، وكأنها غولٌ بالرغم من إقامته بجوارها طوال حياته.

هل كان الأمر يترتب؟!

هل شعر الجميع بالعيون التي تراقبهم؟!

هل شعروا بأن هناك يدًا خفية تدفعهم للولوج بين الأشجار الباسقة الواقفة كحرس أسود بين الظلال؟!

هل كان "روبرت" على حقٍّ عندما رفض الدخول معهم إلى عمق الغابة المظلم؟

بالطبع نعم..

هل تجاهلوها؟!!

نعم..

هل كان روبرت على حقٍّ؟!!

بالطبع كان روبرت على حقٍّ، وإلا لماذا انطلقت الصرخات المفزعة تغتال صمتَ الغابة بعد لحظات من ولوجهم إليها..

هل كانت الصرخة الأولى صرخة "جوي" أم "كارل"؟؟!!

هل كان الصراخ الشنيع المتتالي هو صوت أصدقائه الذين ضج بهم المكان منذ دقائق قليلة؟!!

تسمر في مكانه لدقائق غير مستوعب ما يحدث..

هل قابلتهم عشيرة من الأُسُود أو الدببة المتوحشة؟؟!!

هل انقضت عليهم الثعابين؟!!

ماذا يحدث بداخل الغابة؟!!

هل يمازحه أصدقاؤه؟!!

كاد أن يجن وتسمر في مكانه دون أن يجرؤ على استكشاف الأمر، أو مد يد المساعدة لهم..

أخذ الصراخ يتوالى وهو كالتمثال في وقفته لا يتحرك أو ينفعل..
كانت الصدمة عاتية ومروعة..
فأسوأ كوابيسه يتحقق أمام عينيه..
ها هو وحش الغابة يكشر عن أنيابه، ويلتهم أصدقاءه، واحدًا تلو الآخر دون أن يملك أي وسيلة لمساعدتهم..
كان يريد أن يتحرك أن يهرب، ولكنه عجز عن ذلك، وكأنما التصقت قدماه بالأرض..
لقد كانت الصدمة عنيفة..
ولكن الأمر لم يستمر على سكونه معه إلى الأبد وأفاق من جموده مفزوعًا خائفًا متوترًا..
وانطلق يعدو هلعًا بين الأشجار المتراصة في الناحية الأخرى من الغابة..
الناحية البعيدة عن الخطر..
حينما رآه قادمًا نحوه..
مغطى بالدماء، وعيناه المتسعتان تصرخان بالموت..
كان يشعر بوقع خطوات من يطارده فيزيد من سرعته..
كانت الفروع تمزق بشرة وجهه دون أن يبالي..
خوفه جعله آلة للعدو..
ولكنَّ وَقْعَ الخطوات أخذ يقترب..
ويقترب..

ويزداد قُربًا أكثر مع مرور الوقت..
تعثَّر في غصن شجرة جاف..
سقطَ على وجه..
وحينما استدار كان من يطارده يجثم على صدره بقوة..
تعلقت عيناه بالعيون المتسعة التي المليئة بالجنون..
والوجه المغطى بالدماء المتخثرة..
واحتبست الصرخة في حلقه..
وأغمض عينيه في انتظار الموت..

- 4 -

كانت رحلة العودة مرهقة، ولكنها أقل إرهاقا ودماءً من رحلة الذهاب، وأكثر بهجة وأعظم ربحًا.

كان الساحر "كوراك" يجلس في هودجه المحمول على أعناق العبيد وهو في كامل نشوته وسروره.. كان يتمنى لو عثر على تعويذة تختصر الوقت والمسافة حتى يعود لقصره ويبدأ في تنفيذ ما سعي إليه من البداية.

كان الكتاب في حوزته ومعه شعر بأنه امتلك العالم والقوة المطلقة..

سيصبح هو "القلب الأسود" الجديد..

سيحكم عالم السحر والسحرة..

سيصبح الملك المتوج..

لقد تصفَّح الكتاب وقرأ بداخله ما كاد يشيب له شعره الأشقر، وجعل الرعب يزحف على عموده الفقري وترك بداخله صدى عنيفًا أسود..

ولكن أكثر ما شدَّه بالكتاب، هو تعويذة استحضار والتحكم في الكائنات السحرية القديمة.

كان الكتاب يحكي عن كيانٍ أسود جهنمي يستطيع السيطرة على الأعداء والتخلص منهم، كما أن له القدرة على دفع الآخرين لعمل ما ينافي طبيعتهم، فتصل الأمور بهم في بعض الأحيان إلى قتل ذويهم وأطفالهم ونسائهم، استجابة للأوامر الملقاة إلى عقولهم مباشرة.

سلاح خارق خرج من قلب الجحيم ليهب له القوة المطلقة، والوسيلة المثلى للقضاء على أعدائه، وما أكثرهم..!

استمر يدرس في الكتاب طوال رحلة العودة، حتى انحفر كل ما فيه في كيانه، وما إن وصل إلى قصره حتى أحضر مساعده، وشرع في إعداد كافة المتطلبات التي يحتاجها الأمر.

كانت التعويذة تحتاج لوقتٍ طويلٍ، ولكنه لم يمل، أو يعلن تبرُّمه، فالأمر بالفعل يستحق، وسيستحق كل التضحيات والقسوة التي ستتم بها.

ففي غرفته المعزولة المليئة بالأرائك والطنافس، التي تقع في سرداب سِرِّيٍّ هائلٍ بداخل القصر القريب من الغابة الجديدة، كما يطلقون عليها بدأ الأمر.

رسم على أرضية الغرفة الحجرية بالجير الأبيض كافة التعاويذ الخاصة بعملية الاستدعاء، وامتلأ قلب النجمة الخماسية الشهيرة بالنقوش غير المفهومة وأسماء ملوك القوي، وأعدَّ يد المجد.

وإعدادها هو الذي استغرق بعضَ الوقت، فهي تتكون لمن لا يعرف من اليد اليسرى لرجل مات مشنوقًا، تقبض أصابعها على شمعة سوداء صنعت من دهون جسد هذا الرجل.

وهي من أشهر الأدوات التي تستخدم في دروب السحر الأسود الملعونة، وكانت أهمية يد المجد الشديدة تقع في سيطرتها على تلك المخلوقات الغامضة الشريرة، التي لا يعرف أحدٌ مدى قوتها وقدرتها على إيذاء الساحر ومَن معه؛ لذا فهي مهمة إلى أقصى مدى في هذا الطقس الشيطاني، كما أن لها القدرة على فتح أي باب؛ لذا كان اللصوص يستخدمونها قديمًا في السطو على المنازل.

وما لا لايعرفه الكثيرون أنها قادرة على فتح وإغلاق أبواب أخرى، أكثر إفزاعًا، وتقود لأماكن لا تقِلّ سوادًا.

سجل الساحر "كوراك" التعاويذ المطلوبة بنفسه كما هي موجودة بالكتاب، ونقلها إلى داخل النجمة الخماسية الملعونة، ثم وضع بقلبها يد المجد بعد أن ثبتها على حامل خاص، وأشعل الشمعة السوداء، فشاعت في المكان رائحة منفرة مع ضوء باهت مقبض أزاح بعض العتمة من المكان.

لم يظهر وكأن الرائحة قد آذت أنف الساحر أو مساعده، ودلت على كثرة استخدامهم لها، أو أن أحاسيسهم البشرية قد ماتت منذ زمنٍ من كثرة ممارسة هذه الأعمال الشريرة.

تأكد الساحر من كافة الأمور للمرة الأخيرة، واطمأن إلى أن كل شيء دقيق وفي مكانه المفترض.

وبعد أن تأكد من استعداد مساعده، انتصب جسده وتوترت عضلاته، وبدأ يتمتم هو ومساعده بالتعاويذ السوداء المحرمة، والتي ستفتح المنفذ إلى ذلك العالم الرهيب الذي يحتوي المخلوق المروع.

كان قلب الساحر "كوارك" ينبض من الخوف والحماسة معًا..

فهي المرة الأولى التي يمارس فيها طقسًا على هذا القدر من الخطورة والقسوة والقوة..

فالتعويذة ستخرج مخلوقًا قاتلاً من عالمه وتحضره هنا إلى الأرض ليعيث فيها الفساد، وحسب رغبات الساحر تلك الرغبات التي لن تكون بريئة بأي حال من الأحوال..

وتتضح القسوة الشديدة في الأمر إلى أن التعويذة تتطلب، وكشرط أساسي أيضًا ذبحُ أم ووليدها على المذبح ليتجسد المخلوق، ويملك القوة على النفاذ عبر الثغرة.

لم يكن الساحر يعرف السبب تحديدًا؛ فدائمًا طقوس السحر الأسود تمتلئ بالدماء وتغرق فيها، ولم يكن الأمر عسيرًا عليه، فأحضر له رجاله عبدة إفريقية سوداء، وصغيرها الذي لا يعرف أحدٌ من أين أنجبته، وأعدهم للأمر دون أن يدرك أي منهم مصيره الأسود.

طقس مدنس، يستخدم أدوات مدنسة، لهدف ملعون..

أغمض الساحر "كوارك" عينيه، وحاذاه مساعده في نفس التوقيت، وبدآ في نفس اللحظة ترديد الكلمات الملعونة، والتي ستخرج هذا الشيطان من مملكته وتحضره إلى الأرض خاضعًا وذليلاً، ليكون مجرد خادم لسيده الساحر.

خادم يمتلك من القوة ما ترتجف من هولها قلوب الشجعان..

كل هذا يتم، والعبدة السوداء تكاد تقضي من الرعب والخوف، وتتشبث بصغيرها بقوة، وكأنها تحميه من خطر مجهول يتهددهم.

كان الرعب يغزوها في كل لحظة أكثر من التي تسبقها، وعيناها مسلطتان على الملامح الحجرية للساحر ومساعده.

ومع استمرارية ترديد التعاويذ، بدأ الجو بداخل الغرفة يزداد حرارة مع شعور عام بشحنات كهربائية تشحن الهواء.

وبدأت العبدة السوداء ترتجف وتبكي وصغيرها يصرخ من الخوف أو الجوع أو كليهما..

وما إن توهجت شعلةُ يدِ المجد، حتى تحرر كل من الساحر ومساعده من ترديد التعاويذ، واستل كل منهم خنجره واتجه نحو هدفه.

قام الساحر دون أن يطرف له جفن بطعن الأم في قلبها مباشرة، وقام المساعد بنحر الطفل بدم بارد، ثم جذبوهم لقلب الدائرة وسالت دماؤهم لتغرق النقوش المسجلة وسط النجمة الخماسية. في نفس اللحظة حدث صوت فرقعة عالية في المكان تبعه صوت شفط وانسحاب للهواء من كامل الغرفة، مما جعل الساحر ومساعده يشهقان التماسًا للهواء، ثم انبثقت من العدم دوامة ضوئية عكست بداخلها نيران مستعرة ظلت تتوهج لثوانٍ ثم اختفت ومعها اختفت الأصوات.

وعاد الهواء يتدفق من جديدٍ وعبَّ منه الساحر ومساعده بشراهة ثم ظهر المخلوق الشيطاني ككرة هائلة من الشعر تتوسطها أعين زجاجية هائلة وتبرز من أسفل كتلة الشعر مخالب حادة هائلة.

توقفت كتلة الشر، والتي تتمثل في المخلوق الشيطاني في منتصف الغرفة تتطلع إليهم بثبات، ثم انطلق منها خوار عجيب ممتزج بزمجرة غاضبة حادة..

وفي لحظات تحول القبو الهادئ إلى جحيم.

فقد حاول المخلوق الغاضب أن يتحرك.. أن يهاجم.. أن يقتل.. ولكن الساحر تناول يد المجد المتوهجة من فوق الحامل وأشار بها نحوه في قوة، فأخذ المخلوق الشيطاني يزوم ويزمجر في ألم، وهو يدور حول نفسه في غضب عارم في كافة أرجاء الغرفة الحجرية، ومخالبه تخدش الأرض الصلدة في عنف كليث غاضب، وزئيره يدوي في المكان صانعًا ضجة عنيفة مروعة، وكأنه يمتلك حنجرة مخلوق ضخم من مخلوقات ما قبل التاريخ المنقرضة..

وفي لحظة واحدة.. تحوَّل القبو إلى ساحة قتال، لن يحسمها إلا الأكثر ثباتًا وحنكة..

ولم يكن الساحر تنقصه أيٌّ منهما، وهو الذي ذبحَ أمًّا ووليدها منذ قليلٍ بدم بارد.

كان صراعًا جهنميًّا، ولكن الساحر الطموح ربحه بجدارة، و مع مرور الوقت بدأ المخلوق يهدأ ويُظهِر الطاعة..

وفي هذه اللحظة فقط تنفَّس الساحر الصعداء، وغزت وجهه ابتسامة ظافرة شريرة، وفي عقله بدأت تتكون خطة دموية رهيبة.. خطة كانت كامنة وحان الوقت لتبعث من جديد.. خطة ظهرت نتائجها في الأيام السوداء التالية..

فالأيام التالية شهدت سلسلة من المجازر والدماء التي لا تنتهي.. القتلى والضحايا في كل مكان..

عالم السِّحر والسَّحَرة شعر بوجود خطب ما وخطر غامض..

كل السحرة المشهورين الطموحين يلقون مصرعهم على يد مساعديهم أو تنفجر رؤوسهم..

الخوف يعم كل شيء وكل شخص..

وليل الرعب الأسود قد سطعَ قمرُه الشاحب ليبارك خطوات الشر.. وظل قاتمًا مخيفًا بدأ يبسط سلطانه على كل البلدان وقاطنيها..

إن موت السحرة شيء مبهج، ولكنه أيضًا مفزع بخاصة لو كان السبب غامضًا والطريقة بهذه الشناعة..

إن الأمر وقتها يوحي بشرٍّ مجهولٍ قادمٍ ليجتث كلَّ شيءٍ ويضع علامات استفهام كبيرة..

الدماء تغرق كلَّ مكانٍ، والساحر مستمرٌّ في استكمال خطته الرهيبة، والتي ستمنحه عرشَ السحر والسحرة..

المخلوق يؤدي مهامه دون إخفاق أو معارضة وبكل قسوة..

الخوف بدأ يسيطر على كل مَن له علاقة بهذا العالم..

الإشاعات ملأت أنحاء هذا العالم، الذي أصبح جاهزًا لتصديق أي شيء، والرضوخ لسطوته..

الكل يتحدث عن عودة شبح "القلب الأسود" للانتقام منهم دون أن يفسر أحدهم السبب..

وبعد مرور أيام عديدة قضى فيها المخلوق على العشرات، وبطرق

سريعة كانت الساحة مهيأة لظهور "كوراك" الأسطوري، وفَرْض سلطته وقوته وممارسة طموحه الذي لا ينتهي..

الخوف كان ينشب مخالبه في قلوب العامة والخاصة..

ومع تفاقم الأمر..

أعلن "كوراك" عن نفسه وأطلق على نفسه لقب "الوريث"..

وأقسم له مجتمع السحرة على الولاء.. وبايعه الجميع.. وحقق أول أهدافه بجدارة ولكن الأمر لم ينتهِ بعد، فلم يتوقف الأمر مع الساحر "كوراك" عند مجتمع السحرة.. أراد أن يسيطر على مجتمع السحرة ويحكم العامة أيضًا.

كان يحلم بالسيطرة المطلَقَة وكان له ما تمنى.. ولكن الأمر احتاج إلى تخطيط ومجهود أكبر..

كان الأمر هذه المرة مختلفًا..

فلن يسمح له أحد باعتلاء عرش البلاد طالما إنه لا يحمل تلك الدماء الزرقاء اللعينة التي تدل على انتمائه إلى أسرة عريقة ذات تاريخ ونفوذ، ولم يكن يستطع أن يفني كُلَّ هذه الجماهير؛ لذا قرر أن يسيطر على من يحكم..

أراد أن يستخدم المخلوق للسيطرة على الملك..

ولكن للمرة الأولى أخفق المخلوق الجهنمي، وعاد مدحورًا يلملم أطراف الهزيمة.. فالملك كان ساحرًا قديمًا، وهو ما كان يجهله الوريث، كما أنه كان رجلَ عِلم مُحنَّك يتقن الفنون السوداء، ولم يكن للمخلوق سيطرة عليه، برغم أنه قد طَعِنَ في السن.

لم ييأس الساحر، ولم يغضب، ولم يهزه الأمر، فالأمور لم تكن لتسير دائمًا بسهولة، وهو قد اعتاد على بذل المجهود للوصول لهدفه ولم يتوقف..

لقد حور خطته واتجه إلى ولي العهد، والذي كان شبِقًا للحكم، ولديه طموح لا يأبه إلى أي مدى سيذهب به..

كان كريهًا خبيثًا، ولكنه كان ذكيًا وداهية وطماعًا..

وحينما رأى الفرصة أمامه اقتنصها، وبمساعدة الساحر، والمخلوق مات الملك بسهم غادر في الغابة القريبة أثناء قيامهم برحلة صيد خاصة..

لقد سيطر المخلوق على عقلِ أحد المقربين من الملك، وجعله يغتال الملك العجوز دون شفقة وهو يمارس رياضته المفضلة، التي لم يثنِه عنها سنه الكبير..

لم يحمه علمه أو خبراته حينما حان أجله..

لأنه واجه هذه المرة الموت الصريح المحمول على نصل الرمح المسموم..

واعتلى الوريث مقعد الحكم بعد أن قتل قاتل أبيه بيديه، وعلّق جسده على باب المدينة عبرة لغيره..

وهكذا امتلك "كوراك" زمام الأمور في العالمين..

وبدأ عهد أسود من عهود الظلام..

عهد الوريث و..

المخلوق الشيطاني..

عهد الخوف..

- 5 -

توقف "هاري" مفزوعًا أمام الباب الخارجي لمنزل المعالج الروحي "جايكوب" القريب من كنيسة "هايد بارك" بشيكاجو، بعد سماعه للصرخة العالية التي دوت بداخله في عنف، وكأن هناك إنسانًا يذبح بسكين غير حاد.

وقد تجمد عقله للحظاتٍ فعجز عن التفكير وحسن التصرف، ولكنه بعد أن استعاد سيطرته على جسده وسيطر على الرعشة التي اجتاحته، وبغريزة الشرطي المحنك انقض على الباب الذي لم يكن لحسن الحظ مغلقًا، واندفع داخلاً إلى حيث مصدر الصراخ، وهو يعتقد بحدوث شرٍّ ما لـ "جايكوب" وهاله ما رأى في الصالة الداخلية للمنزل.

كانت هناك فتاة صغيرة السن ترتدي رداءً زهريًّا بسيطًا، مقيدة إلى مقعد خشبي أسود ثقيل، وقد انتفش شعرها الأشقر وتناثر على جبهتها في غير نظام، وظهر وجهها شاحبًا ووجناتها غائرة وعيناها شاخصتين إلى السماء، وقد بدأ منظرها مرعبًا للناظرين ومفاجئًا لـ "هاري"..

فقد تحول بياض عينيها الزرقاوين الجاحظتين إلى لون أسود أقرب إلى عيون سمكة القرش، وأخذت تردد دون وعي كلمات غير مفهومة بلغات مختلفة وأصوات مختلفة، وأمامها وقف "جايكوب" في رداء أسود أقرب إلى القساوسة، وهو يرشها بماء مقدس من طاسة نحاسية صغيرة يحملها في يده ويردد كلمات مبهمة.

لقد كان "جايكوب" يؤدي طقسًا ما على الفتاة.

أفزع دخوله المفاجئ المندفع أهل الفتاة، وكاد الاضطراب والارتباك أن يصيبا الجلسة لولا أن "جايكوب" أشار لهم جميعًا بالتزام الصمت والهدوء.

وبإشارة من يده ونظرة صارمة من عينيه عاد النظام من جديد للمكان، وأشار إلى "هاري" إشارة خفية بالجلوس على مقعد خشبي قريب، مشابه للمقعد المقيدة إليه الفتاة وعاد من فوره إلى استكمال ما كان يقوم به من طقوس.

تمالَك "هاري" نفسه سريعًا، وإن لامها على الاندفاع وقلة الاتزان، ولكنه عاد وعذرها فمنذ خاض في هذا الأمر، وأعصابه متوترة بشكلٍ عجيبٍ.

نظر حوله في أرجاء الصالة التي امتلأت بالصلبان الخشبية الكبيرة وتماثيل القديسين وكتابات من الإنجيل معلقة في كل مكان كتعويذات حماية، ثم جلس على مقعدٍ ليس ببعيد عن الزمرة المتجمعة حول الفتاة المصابة بالمس الشيطاني، وبدأ يتابع الأمر في شك، ثم في فضول، ثم بشغف وانبهار اختلط بخوف غامض.

فهو يرى أمامه أحد تلك الأمور الخارقة التي لم يكن يصدق من قبل بحدوثها، وإن كان يستمتع بالقراءة عنها أو مشاهدة المعالجات المختلفة لها في الأفلام الشنيعة التي تقدمها هوليوود..

فالفتاة المقيدة أمامه واقعة تحت استحواذ شيطاني كامل، و "جايكوب" يحاور الروح الشريرة تارة، ويهددها تارة، ويقرأ عليها اسم يسوع تارة.

كان قد سمع عن هذه الأمور، وإن لم يشاهدها بعينه من قبل، وكانت خبرته الوحيدة مستقاة من مشاهدة فيلم "طارد الأرواح الشريرة" لوليم بيتر بلاتي لبناني الأصل أمريكي الجنسية إنتاج سنة 1973 م، والمستوحاة قصته من عملية طرد أرواح موثقة حصلت عام 1949 لصبي بعمر 14 سنة.

كان الفيلم شنيعًا، ولو كان ما حدث فيه هو ما سيحدث الآن، فإنهم في خطرٍ عظيمٍ..

نفض عن رأسه هذه الأفكار السيئة، وأعاد نظره إلى الفتاة، التي تحولت ملامحها إلى ملامح شيطانية مخيفة، وأخذ يتابع ما يحدث من جديد، وقد تسلَّل خوفٌ غامضٌ إلى قلبه..

ظلت الفتاة تصرخ وتهمهم بكلمات غامضة غير مفهومة، وبأصواتٍ من المستحيل أن تصدر عن حنجرة بشرية، و "جايكوب" المستغرق في الأمر يأمرها أن تتحدث معه بلغة مفهومة، في حين كانت الروح ترفض وتزمجر وتزوم، وتحاول مرات ومرات أن تمزق القيود المكبلة للفتاة.

ولكن "جايكوب" كان يقوم برشها بالماء المقدس، فتعود للهدوء مرة أخرى، والذي سرعان ما يتبدَّد وتعود إلى ثورتها مجددًا.

استمرت المحاولات قرابة الساعة، والروح الشريرة ترفض أي تعاون، أو إفصاح عن غرضها، أو حتى التحدث بلغة مفهومة، و"جايكوب" مستغرق في محاولاته.

مرَّ الوقت ثقيلاً، ومع مروره بدأت الروح الشريرة تستجيب لمحاولات المعالج، وتبدأ في التحدث بلغة إنجليزية واضحة ولكنها ذات لهجة قديمة جدًّا، وأخذت معها تصب اللعنات على رأس المعالج، وتهدده بالويل والثبور والانتقام.

ثم بدأت الأحداث المفزعة تتوالى في عنفٍ مخيفٍ.

أصوات خدش مستمر قادمة من نقطة ما خلف جدران المنزل، وكأن هناك قطيعًا من حيوانات قارضة تسعى لثقب الجدران للولوج عبرها إلى الداخل.

المقاعد أخذت تتحرك من تلقاءِ ذاتها وكأن لها حياة خاصة، بعض قطع الأثاث تطير في الهواء فجأة ودون سابق إنذار لتتهشم مخلفة حالة من الذهول والفزع أصابت الجميع، حتى إنهم انتفضوا من أماكنهم وأخذوا يصرخون ويقفزون بعيدًا عن مسار الهجوم.

وفي وقتٍ قصيرٍ، تحول المكان لبيت رعب جهنمي، ومع تواصل الأمر بلغت القلوب الحناجر.

وانطلقت أم الفتاة تبكي وتنتحب، وقلبها يكاد يتوقف من الخوف.

أخذ هاري يتنفس بصعوبة، وهو مذهول مما يحدث حوله، ونظراته غير المصدقة ترصد ما يحدث في دهشة شديدة امتزجت بخوف زائد، إنه يقضي الآن أسوَد أيام حياته وأسوأها، وكان ينظر نحو "جايكوب" ويحسده على هدوئه وثباته ورابطة جأشه وسط هذا الجنون الشامل..

رش "جايكوب" الفتاة بالماء المقدس، وأخرج من جيب معطفه صليبًا معدنيًّا، وألصقه بجبهة الفتاة الثائرة، فأطلقت صرخة مدوِّية رهيبة، وكأنها تحترق في قلب الجحيم، ثم هدأ كل شيء فجأة كما بدأ فجأة..

لتبدأ مرحلة جديدة من الرعب..

ما حدث بعد ذلك كان سريعًا وعنيفًا ومقززًا، تابعه هاري بصعوبة، وهو يكافح نفسه كي لا يتقيأ ويفسد الأمر..

نوبات هائلة من القيء الذي اختلط بالدماء أصابت الفتاة، ومحاولات مستميتة من الروح الشريرة لتمزيق القيود التي أدمت معصمي الفتاة بشدة، وتركت آثارًا قد لا تُمحَى.

كان الجنون هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يصف ما يحدث..

اختلطت صرخات الفتاة بدموع الأم المكلومة، التي لم تتحمل ما يحدث أمامها لابنتها الشابة، فسقطت بين ذراعي زوجها البدينتين، فحملَها وهو يلهث إلى أقرب أريكة.

أرقدها فوقها بوجهٍ يكاد ينفجر من الهلع، وجلس بجوارها، وصدره يعلو ويهبط من المجهود الذي قام به منذ لحظات..

في حين أخذ "جايكوب" يعيد إلصاق الصليب المعدني برأس الفتاة ويردِّد كلماتٍ مُبهَمَة بلهجة صارمة، ثم فجأة ودون سابق إنذار صرخت الفتاة صرخة مريعة، ثم سقط رأسها على صدرها بزاوية غريبة، ودويٌّ هائلٍ أشبه بالقذيفة انفجر في المكان.

ولولا أن "جايكوب" كان قد أعلم جيرانه بما سيقوم به، وهم مجموعة من تلاميذه ومريديه، لكانت الشرطة قد ملأت المكان في لحظات.

انتهى "جايكوب" من الأمر، ثم اندفع نحو الهاتف وطلب رقم الطوارئ، وخلال دقائق كانت سيارة الإسعاف تحمل الفتاة النحيلة إلى المستشفى وتحيطها بعناية فائقة.

كان "جايكوب" ماهرًا..

وهذا ما أخبر به "هاري" "جايكوب" نفسَه بعد أن انفضَّ السيرك الذي كان منعقدًا في منزله، وجلسا سويًّا في غرفة أخرى يتناولان مشروبًا ساخنًا.

ابتدر "هاري" "جايكوب" البادي عليه الإنهاك والإرهاق قائلاً بصوت غير مُصدِّق:

- "هل ما حدث منذ قليل حقيقي؟!" هل تستحوذ الشياطين على أجساد البشر بالفعل؟ إنَّ هذا جنون يا صديقي.. جنون مطبق..!!"

ابتسم "جايكوب" ابتسامة شاحبة وقال لـ "هاري" بصوت مجهد مبحوح:

- "نعم يا صديقي إنَّ كل ما رأيته هنا كان حقيقيًّا، وأنت من القلة

سعداء الحظ الذين وقفوا على أمر مثل هذا دون أن يكون الأمر في النهاية مجرد نصب أو وراءه خدعة متقنة. إن هذه الحالة التي رأيتها ورأيت الجلسة الأخيرة معها هي..."

قاطعه "هاري" قائلاً بذهولٍ:

- "هل كانت هناك جلسات سابقة؟"

قال "جايكوب":

- "نعم وهي تتم جميعها بمباركة الكنيسة، إنَّ المَسَّ والاستحواذ الشيطاني معترَف بهم في كافة الديانات، وإن كان أشهر من يقومون بعمليات التطهير هذه هم الهندوس والمسيحيون والمسلمون، وتختلف طُرق طرد هذه الأرواح الشريرة، باختلاف العقائد والثقافات ولكنها تشترك في أن الرموز الدينية تقضي عليها وتتوقف على قوة إيمان من يقوم بها".

صمت قليلاً ثم استطرد:

- "ثم إن هذه الأمور ليست شائعة وكثيرة الحدوث، ونادرًا ما يكون هناك حالة استحواذ حقيقة تقابل المعالج، فمعظمها يكون مجرد مرض نفسي يحتاج إلى طبيب أكثر منه إلى معالج روحاني".

أنهى كلامه، ثم ربت على كتف "هاري" الذي كان عدم التصديق والذهول ملتصقًا بعينيه وقال:

- "ولكن ما سر هذه الزيارة المفاجئة التي جعلتك تقطع مئات الأميال لرؤية صديقك المسكين أي رياح طيبة ألقت بك اليوم، لا تخبرني أنني أوحشتك أو أي هراء من هذا القبيل، إنني أرى المعاناة محفورة على وجهك هل هناك مشكلة ما؟"

التقط هاري أنفاسَه عدة مرات وأغمض عينيه، وهو يحاول أن يستجمع شتات نفسه بعد هذه التجربة السيئة وقال:

- "بالفعل يا صديقي هناك أمرٌ خطيرٌ، ومخيفٌ إنك لا تنقصك الحصافة يا "جايكوب"".

أمال جايكوب جسدَهُ باتجاه هاري وقال له في اهتمامٍ:

- "هات ما عندك إنني مصغٍ لك".

ابتلع هاري ريقه بصعوبة، ثم تجرع جرعة صغيرة من المشروب الساخن وقال:

- "هناك صديقة تحتاج إلى مساعدتك السريعة".

نظر "جايكوب" لـ "هاري" نظرة معابثة وقال:

- "صديقة فقط؟!!".

انفجر "هاري" غاضبًا وقال لـ "جايكوب" بصوتٍ حادٍ ولَّده الضغط النفسي الشديد الذي يشعر به:

- "دَعك من هذه السخافات يا "جايكوب"، واستمع إليَّ جيدًا فالأمر جد خطير".

شدت العبارة انتباهَ "جايكوب" وراعه غضبُ صديقه فتوقف عن المعابثة وقال له بصوت جاد:

- "أخبرني بما يحدث، فيبدو أن الأمر خطيرٌ بالفعل كما تدعي..!"

عاد "هاري" إلى هدوئه وبدأ يقص قصة "ليندا" وصغيرها على مسامع "جايكوب" الذي أخذت عيناه تتسعان ذهولاً ودهشة مع مواصلة هاري الحديث.

وما إن انتهى "هاري" من روايته حتى ساد الغرفة صمت مطبق لم يشأ "هاري" أن يقطعه، وترك "جايكوب" ليدير الأمر في رأسه كما يشاء.

داوم "جايكوب" على التطلع إلى وجه هاري بثبات وكأنه تمثال من شمع ثم رويدا رويدا بدأت ملامح الحياة تغزو وجهه، وقال بصوت هادئ يختلف عما توقع هاري:

- "لو كان ما تخبرني به صحيح فإن ما يحدث شيءٌ رهيبٌ، شيء لا قِبل لبشري به، إنني من قراءاتي العديدة وبحكم تخصصي أعلم جيدًا بهذا الدرب من السحر الأسود الملعون، ولكنني لم أتخيل يومًا أنه يوجد بعد من يمارسه وقادر عليه، إن تحضير مخلوقات الظلام السوداء والكيانات القديمة شيءٌ بالغ الصعوبة والخطورة، ولا يقوم به إلا ساحر فذ لم يعد مثله موجودين في عصرنا هذا".

أحبط هذا الكلام "هاري" وهد عزيمته قليلاً فنظر إلى عين صديقه مباشرة وقال بصوت راجٍ متسائلٍ:

- "إذًا ما الحل؟ إن ما أخبرتك به صحيح ويحتاج إلى علاج حاسم وسريع، إن "ليندا" والطفل في خطر عظيم، ويشاركهما هذا الخطر الكثير من الأبرياء الذين قد يوقعهم حظهم العاثر في طريق قوى الشر السوداء هذه، لا بُدَّ من وجود مَن يساعدنا، لا بُدَّ من وجود حلٍّ.. لا بُدَّ..!".

ظهر العزم والتصميم على وجه "جايكوب"، وقد ظهر أن التحدي قد راق له بالفعل، فقال بصوت هادئ يشوبه بعض الحماس:

- "لا بأس يا "هاري" سآتي معك، وإن فشلنا كان الرب في عوننا لأنه لن يوجد على وجه هذه الأرض من سيفعل أكثر مما سأقوم به".

ظهر البِشر على وجه "هاري" وقال:

- "لنذهب على الفور.. فالطريق أمامنا طويل حتى "توليدو" وأنت لا تجيد القيادة، وهذا هو السبب الرئيس لقدومي بنفسي إليك، وعدم اتصالي هاتفيًّا ودعوتك للقدوم إنني أريد اختصار الوقت".

استوقفه جايكوب بإشارة من يده وقال:

-"إن الأمور لا تؤخَذ بمثل هذه السرعة كما أنني يجب أن أذهب لأطمئن على الفتاة الراقدة بالمستشفى أولاً وأطلب بركات الأب "بشوي" وحكمته، إن للنهار عيونًا، ومع أول خيط للنهار سنمضي أنا وأنت في طريقنا نحو مصيرنا المحتوم".

صمت هاري ولم ينبس ببنت شفة.

فقد حسمت كلمات "جايكوب" الأمر.

وإلى الغد.

- 6 -

امتدت اليد اللزجة الملوثة بالدماء لتهز "روبرت ستامفورد" الشاب بعنفٍ، مع صوت مضطرب مشوش مذعور يحثه على النهوض بسرعة والفرار.

فتح "روبرت" عينيه في ذعر، وخوف عظيم يجتاحه مع يقين تام بأنه مشرف على الموت، وأن هذه اللحظات هي لحظاته الأخيرة في هذه الحياة، وقد أخذ يتخيل صورة الوحش التي سيجدها ماثلة أمامه بمجرد أن يفتح عينيه المغلقتين استجابة للنداء.

ولكن ما وجده أمامه كان وجهًا مألوفًا، ولكنه لم يكن في حالته الطبيعية أبدًا.

كان وجه صديقه "ألبرت" والذي دلف للغابة منذ دقائق مع باقي الأصدقاء مختلفًا عن الوجه الذي رآه آخر مرة.

وكان الاختلاف المخيف هو الدماء المتخثرة، التي أغرقت وجهه وامتزجت بشعره فمنحته منظرًا مريعًا، وكأنه بالفعل وحشٌ دمَويٌّ خرجَ من قلب الظلام ليحقق أسوأ مخاوفه.

لم تكن الدماء تخص "ألبرت" فوجهه الملطخ بالدماء خالٍ من الإصابات تمامًا برغم كمية الدماء الكبيرة التي تلوثه، وجسده أيضًا كان خاليًا من الإصابات.

إنها بكل تأكيد دماءُ شخصٍ آخَر.. صديق آخر لن يراه مرة أخرى، والدليل الآخر على أن الدماء لا تخص "ألبرت" هو أنه يقف أمامه الآن حيًّا يرزق يتحدث ويتحرك بمثل هذه السرعة.

لقد كانت تخص شخصًا آخر بالفعل دارت هذه الأفكار في عقل "روبرت" وإن لم تقلل من رعبه.

ورعبه هذا هو الذي جعله يتصرَّف بعدم منطقية، والذي أغراه ليقوم بدفع "ألبرت" بقوة وهو يتراجع زحفًا إلى الخلف قائلاً:

- "ابتعد عني أيها الوحش ابتعد لا أريد أن أموت.. لا أريد أن أموت..".

كانت حالته صعبة فاضَّطرَّ "ألبرت" لينقضّ عليه ويهزه بعنف وهو يقول:

-"لتفق أيها المعتوه إنني "ألبرت" صديقك، لو لم تفق سأتركك هنا وحدك لتموت".

استولى الذعر على "روبرت" عند سماعه للفظة الموت، فقام من فوره يعدو وخلفه "ألبرت"، حتى وصلا إلى ساحة منزل "روبرت"، وهناك سقطا على الأرض العشبية في إنهاك شديد، وهما يلهثان في عنف، ويعبان من الهواء البارد في جشع، وقد أخذت صدورهما تعلو وتهبط وكأنها ستنفجر..

كان الأمر مروعًا بالنسبة لهما..

فمنذ ساعات كانا يلهوان ويصخبان، ولا يفكران إلا في طريقة لإهدار ليلة جديدة من عمرهم..

والآن كم يبدو بقاؤهما ليلة أخرى على قيد الحياة أمنية صعبة التحقيق صعبة جدًّا.. إن لم تكن مستحيلة..

انفجر روبرت في بكاء عنيف متواصل، وهو يتساءل من وسط دموعه بصوت مختنق موجهًا حديثه لـ "ألبرت":

- "ماذا حدث هناك هل هاجمتكم الثعابين أم الأُسُود؟؟"

نظر له "ألبرت" في تخاذل، وقال بصوت مبحوح مختنق:

- "بل هاجمنا وحش أسود له عيون ضخمة ومخالب حادة مسننة كالحراب".

شهق "روبرت" واتسعت عيناه في جزعٍ دون أن ينطق فاستطرد "ألبرت" قائلاً:

- "لقد مزق "جوي" إربًا قبل أن نتحرك خطوة واحدة وبعثر أشلاءه في كل مكان".

أغمض "ألبرت" عينيه في قوة، وأخذ يتنفس في عمقٍ عدة مرات ليسيطر على أعصابه، وعلى جسده الذي أخذ يرتعش كذيل عقرب تم قطعه من هول الذكرى، وبصوته المرهق المرتعش أكمل القصة المشئومة:

- "ثم فجَّر رأس "كونال" دون أن يمسه ليغرق مخه وشظايا عظامه الأشجار من حولنا كان يرانا جيدًا، وكنا نحن نتخبط ونموت، ولم نكن نراه من سرعته ولونه الأسود الممتزج بالظلام".

ابتلع ريقه في صعوبة ثم أكمل:

- "لقد رايته للحظة واحدة وانحفرت صورته البشعة في خيالي إلى الأبد".

كان روبرت لا يُصدِّق أذنيه فظل يردد بينه وبين نفسه، في محاولة منه لخداع نفسه وعدم الاستسلام لهواجسه القديمة:

- "أنت واهمٌ يا "ألبرت" أنت واهمٌ".

وعاد يستمع من جديد لـ "ألبرت" الذي كان يلهث بعنفٍ، وهو يمسح بقميصه آثارَ الدماء التي لطخت وجهه بعد أن التصقت به وبدأت تضايقه، واستطرد "ألبرت" قائلاً وصوته يتقطع من الانفعال:

- "لم أعرف ماذا حدث لـ "كارل" لأني لم أتوقف لأشاهد ما حدثَ لقد أسلمت قدمي للرياح، وها أنا ذا أمامك ودماء جوي تغرق وجهي وثيابي".

حاول "روبرت" أن يتماسك، ولكن الخوف أحكم قبضته عليه فقال بصوت مهتز منكرٍ:

- "أي سخفٍ هذا الذي تقصه على وحش أسود له مخالب وعيون ضخمة، هل أنت متأكد من ذلك؟ إنك لم ترَه إلا لحظة خاطفة ربما كان شيئًا آخر".

ربما كان فهدًا أسود اللون، ولكنك لم ترَ جيدًا في الظلام، وتخيلت أنه وحش ضخم له مخالب..

حاول "روبرت" أن يحصر الخطر في شيء معروف.. شيء يستطيع أن يتوارى منه خلف باب مغلق، شيء له حدود وتوقفه الحدود،

ولكن لم تفلح محاولته، وظهر ذلك على وجه "ألبرت" الشاحب الذي هز رأسه في قوة وقال:

- "صدقني يا "روبرت" إنني لا أهذي، إنه كما أصفه لك.. شيء قبيح يشبه كتلة الشعر، أو قنفذ في حجم صبي صغير له عيون ضخمة ومخالب حادة، إنه شيطان خرج من قلب الجحيم".

قالها وصمت قليلاً ليأخذ نفسًا عميقًا ثم استطرد:

- "خرج ليلتهمنا جميعًا".

توتر "روبرت" وهو ينظر إلى الغابة المظلمة الماثلة أمامه كفوّهة الجحيم وقال لـ "ألبرت":

- "يجب أن نخبر الجميع سواء أكان هذا وحشًا مخيفًا كما تقول أو حيوانًا مسعورًا يقتل دون وعي، لأن هذا الوحش لن يتوقف بالتأكيد قبل أن يقضي علينا وعلى غيرنا.. يجيب أن أخبر أبي وأمي، هَلُم معي فلن يصدقاني كعادتهما دائمًا إلا لو كان معي دليل آخر على صدق هذه القصة الغريبة".

استند كلٌّ منهما على الآخر، وقاما من فوق درجات السلم الذي يصعد لمنزل "روبرت"، وما إن همَّا بالدخول حتى لمحاه قادمًا على ضوء النجوم الشاحبة، يتوجه نحوهما من قلب الغابة المظلمة..

يسير الهويني وكأنه يملك الوقت كله..

يسير بثقة مرعبة وكأنه لا يخشى شيئًا في الوجود..

إنهم يعرفونه جيدًا.. لأنه كان معهم منذ دقائق.. كان يمزح معهم قبل أن يدخلوا الغابة.. كان معهم قبل أن تبدأ كُلُّ هذا الأحداث المريعة..

وكان السؤال الغامض هو:

-"كيف نجا من قبضة الوحش؟! كيف؟!"

كان القادم هو "كارل"، الذي أخذ يمشي بتؤدة وبطريقة هادئة بعثت قشعريرة باردة في جسديهما، فتجمدا في أماكنهما وعيونهما معلّقة بـ"كارل" الذي يتقدم نحوهما بثقة تامة وهدوء، وكأنه لم يمر بتجربة مميتة منذ دقائق قليلة..

اقترب أكثر فلمحا في يديه هراوة خشبية غير منتظمة ربما صنعها على عجلٍ من فرع جاف غليظ بعد أن انتزع عنه الفروع الصغيرة، أو وجدها كما هي في قلب الغابة المظلمة..

الشيء المرعب أنها تحولت لتصبح سلاحًا بدائيًّا قادرًا على التحطيم والفتك.

كان منظره مرعبًا ومُقلِقًا..

كان أول من تحرك هو "روبرت"، الذي أخذ يتراجع في خوف، حتى اصطدم بقوة بالجدار الخشبي المجاور للباب، فوضع يده بسرعة خلف ظهره وضغط باستمرارٍ على جرس الباب، وكل فزع الدنيا يتملكه.

تقدَّم "كارل" بخطواته المخيفة الهادئة حتى دخل دائرة الضوء الذي يصنعه المصباح المعلَّق على الواجهة، والذي أضاء مساحة كافية حول وأمام المنزل لتتكاثف الظلال المخيفة في كل مكان، وما إن وقعت أعينهما على وجهه حتى اكتسحهما الرعب.

فنظراته كانت زجاجية وملامحه الهادئة كانت تحمل تصميمًا مخيفًا..

تصميمًا قاتلاً..

تسمر "ألبرت" في مكانه وكأنه التصق بالأرض أو تحوَّل لجزءٍ من الأرضية الخشبية، وتعلقت عيناه بعيني "كارل" الشاخصتين، وبدا مستسلمًا وكأنه فاقدُ الإدراك أو منوَّم مغناطيسيًّا.

انهمرت دموع "روبرت"، وأخذ يبكي وهو مستمر في الضغط على الجرس، في حين استمرَّ "كارل" يتقدم من "ألبرت" المصدوم في هدوءٍ.

تقدَّم "كارل" أكثر..

و"ألبرت" في مكانه كالتمثال..

بدا أن الوقت بالنسبة لـ "روبرت" وكأنه قد توقف، وبدأت الأحداث وكأنها تسير أمام عينيه بالسرعة البطيئة جدًّا..

فها هو والِدُه يفتح الباب، وهو مشتعل بالغضب من وقاحة من يطلبه ضاغطًا الجرس بمثل هذه الطريقة المزعجة، في نفس اللحظة التي ارتفع فيها الغصن الغليظ الذي يُشبه الهراوة، ليهبط في قوةٍ كاسحةٍ فوق رأس "ألبرت" ليحطم جمجمته دون رحمة، لينتج عنها صوت مخيف مع تهشم العظام، ومع مخه الذي اختلط بالدماء وشظايا العظام والشعر، وتناثر على درجات السلم الخشبية في مشهد مروِّع.

كان والد "روبرت" سريع البديهة بحكم كونه صيادًا قديمًا ومحنكًا، فما إن وقعت عيناه على المشهد المفزع، حتى جذب ابنه بقوة لداخل المنزل وأغلق خلفه الباب في إحكام، ثم اندفع من فوره نحو خزانة خشبية ذات واجهة زجاجية، وأخرج منها بندقية صيد عتيقة

حشاها بخرطوشتين من خراطيش الصيد المتفجرة، ووقف أمام الباب متحفزًا في انتظار الهجوم الذي لم يتأخر كثيرًا..

فبين لحظة وأخرى اندفع الباب كالقذيفة إلى داخل المنزل ليحطم في طريقه أشياء عديدة، قبل أن يصطدم بالحائط ويسقط محطمًا..

بعده بثانية واحدة كان "كارل" يدلف إلى داخل المنزل وفي يده الهراوة الخشبية المخضبة بالدماء.. وقد كان هدفه واضحًا جدًّا ومخيفًا..

لم ينتظر والد "روبرت" أن يبادره "كارل" بالهجوم فعاجله برصاصة سريعة في صدره تناثرت على أثرها الدماء على الفور، لتغرق ملابسه وتدفعه إلى الخلف، وإن لم تسقط "كارل" كما كان يتوقع..

تراجع الأب على الفور كمقاتل قديم وهو يدفع ابنه إلى الخلف صانعًا من جسده درعًا يقيه من الهجوم المضاد، وسدَّد بندقيته من جديدٍ نحو رأس "كارل" وبعد ذلك تعاقبت الأحداث بسرعة عجيبة..

هرعت والدة "روبرت" للخارج على صوت الرصاصة فقابلها "كارل" بضربة عنيفة هشمت وجهها وشوهته، فاندفع "روبرت" الغاضب نحوَ "كارل" بعد أن تخلَّى عن جسد والده الذي يحميه، بعد رؤيته لجسد أمه يطير في الهواء ليسقط فوق مائدة الطعام ليهشمها ويسقط محطمًا بعد أن هشَّم "كارل" وجهها، ولكنَّ والده كان أسرع منه فأطلق الرصاصة الثانية فاخترقت رأس "كارل" ونسفته نسفًا..

ليسقط جسده أرضًا وبجواره الهراوة الغليظة الملطخة بالدماء..

وقف "روبرت" ووالده مذهولين، ولم يفتح أيٌّ منهما فمه بكلمة واحدة..

كان المشهد أمامهما لا يصدق..

وأخذ روبرت يتساءل ودموعه تغرق وجهه وصدره:

- هل الجسد المهشم محطم الرأس هو وجه والدته؟!

هل الجثة الملقاة أمامه هي جثة صديقه "كارل"؟!

هل الجثة الممدة أمام المنزل هي جثة "ألبرت"؟

إن الأمر لا يُصدَّق..!

إنه بالتأكيد يحلم..

إنه يمر بكابوس سرعان ما سيفيق منه..

ولكن صوت بكاء أبيه نبهه إلى أنه ما زال في عالم الواقع..

وكم كان الواقع مخيفًا جدًّا هذه المرة..

مخيفًا بشدة..

- 7 -

قطعت "ليندا" المسافة التي تفصلها عن منزلها في خطوات سريعة أقرب إلى الهرولة، وهي تردِّد بينها وبين نفسها صلوات وأدعية مقدسة تلتمس منها الحماية،كانت قد تعلمتها منذ الصغر..علَّمها لها والدها حينما عادت إلى المنزل ذات يومٍ مرتجفة خائفة منقطعة الأنفاس، وأخبرته أنها رأت ذئبًا بشع الخلقةً في الغابة القريبة، وأنه أفزعها بشدة ولم تعرف ماذا تفعل؟!!

يومها شعرت أن هذه الكلمات المقدسة درع قوي تستطيع أن تتوارى خلفه ويذود عنها، خاصةً بعدما شملها الهدوء والاطمئنان والارتياح واختفى عنها الخوف والقلق بمجرد أن رددت هذه الكلمات..

إنها الآن في أمسِّ الحاجة إلى مثل هذه الكلمات، وتمنت بداخلها لو أن هناك كلماتٍ سحرية تستطيع أن تنزع هذا الخوف الهائل من قلبها، وتقضي على كل الشر الذي أصبح يظلل عالمها..

شعرت بأن الطريق طويلٌ هذه المرة..

ربما لأنها في هذه اللحظات الحرجة تقترب من مصدر الخطر الفعلي، على عكس المرة السابقة التي كانت تبتعد عنه وتفر منه..

إنها لا تستطيع بأي حالٍ من الأحوال، ومهما كان الخطر المحدق بها، أن تتخلى عن طفلها الرضيع، وتتركه في قبضة هذا الكائن الشرير..

إن غريزة الأمومة لديها أقوى من أي غريزة أخرى.

إن صغيرها في خطرٍ، وهي على استعداد للقيام بأي شيءٍ في الكون، للذود عنه وحمايته، ولكن ماذا تفعل؟!!

لقد فعلت الشيء الذي لم تكن لها لتفعله حرصًا على حياة الأبرياء..

لقد استعانت بالشرطة هذه المرة..

ولكن هل تملك الرصاصات أي قوة في مواجهة هذا المخلوق القاتل؟!

هل يساوي عزمُ رجالِ الشرطة المتشككين أيَّ شيءٍ أمام قوى الظلام التي تهددها؟!

إنها تشعر بذنبٍ رهيبٍ لأنها ستزج بالعديد من الرجال الغافلين الذين لا يعلمون ما سيواجهونهم وهم يؤدون واجبهم، الرجال الذين لهم أُسَر، وأحلام، وطموحات تحتاج منهم البقاء على قيد الحياة.

الرجال غير المهيئين لمثل هذه المواجهة غير المتكافئة..

لقد حذرتهم من وجود خطرٍ رهيبٍ، ولكن هل سيكون ردُّ فعلِهم هو نفسُه عندما يواجهون هذا الخطر العظيم؟؟!!

كم ضحية جديدة ستضاف للقائمة السوداء؟!!

كم أمًا ستفقدها ابنًا لها؟!!

كم زوجة سترمل اليوم؟!!

كم طفلاً سيتيتم؟!!

إنها تحمل في عنقها ذنبًا ما سيحدث بعد دقائق..

كانت الهموم تثقل كاهلها، حينما تقدمت من المربع السكني الذي يحتوي على منزلها، والتقطت أذناها صوت سرينة سيارات الشرطة، وهي تندفع إلى داخل المنطقة التي تحتوي منزلها..

سقط قلبُها في قدميها وهي تتخيل المذبحة الموشكة على الحدوث.

لم تستطع أن تصبر فأخذت تركض نحو منزلها متخذة أقصر الطرق إليه..

كان الجو صحوًا، ولكنه كان باردًا..

الآلام الشديدة التي تحاول أن تتجاهلها تتزايد باطراد..

إن هذا المجهود الرهيب لا يناسب مَن أنجبت في الأمس القريب..

كان الحنق قد تملَّكُها ممتزجًا بخوفٍ غريزي لا يُحتمَل، وغضب رهيب يكفي لإزهاق حياتها شخصيًّا، وهي تنصت للضجيج الرهيب الذي تحدثه سيارات الشرطة، والذي بالتأكيد أفقدها عنصرًا هامًا جدًّا في مثل هذه المواجهات..

عنصر المفاجأة..

زفرت في حنقٍ وغيظٍ، وهي تتساءل عن غباء رجال الشرطة الذين يطلقون سرينة سيارتهم وهو في طريقه للقبض على مجرمٍ ما..

إن هذه الأصوات تكاد توقظ الموتى فما بالهم بتحذير المجرمين..

كانت قد وصلت إلى المنزل المقابل لمنزلها، فتوارت خلف أحد الأعمدة الخشبية البارزة، وأخذت تتطلع إلى باب المنزل، والذي تراصت أمامه ثلاث سيارات شرطة، وهبطَ منها ستة شرطيين اتخذوا من سياراتهم سواتر، وأخرج أحدهم مكبر صوت وأخذ يطالب من في البيت بالخروج وأيديهم فوق رؤوسهم.

ساد الصمت لبرهة، ولم تحدث أيُّ استجابة من قِبَل قاطني المنزل، فأعاد الشرطي ترديدَ نفس الكلمات عبر مكبر الصوت، وهدَّد هذه المرة بالاقتحام والتعامل العنيف.

ساد الصمت من جديد..

وكأن المنزل خالٍ أو أن أصحابه أصابهم الصمم..

لحظات وانفتح الباب على مصراعيه وظهرت أمامه السيدة "لورا" بملامحها الغليظة وجسدها البدين، وهي تحمل الطفل بين يديها في اهتمام بالغ..

النظرة الزجاجية تكسو وجه السيدة "لورا"، وتغطيه بقناع بارد مقبض منفر خاصة مع ملامحها الغليظة وجسدها الضخم..

بهت رجال الشرطة من منظرها دون أن يدركوا السبب، وتراجع الشرطي الذي يحمل مكبر الصوت إلى الخلف عدة خطوات ليحتمي بسيارته، ثم قال بصوت مهتز موجهًا كلامه للسيدة "لورا":

- "تقدمي ببطء إلى الأمام يا سيدتي، وضعي الطفل الصغير أرضًا، وأريني يدك الخالية".

أخذ قلب "ليندا" يدق في عنفٍ، وتصاعد الدم إلى رأسها في قوة، فشعرت بعصب صغير يدق في رأسها، وكأنه قلب آخر من التوتر.

فما سيحدث في اللحظات التالية سيكون ذا تأثير حاد على مجريات الأمور في الأيام القادمة..

لو كانت هناك أيامٌ قادمة بالفعل..!!

تقدَّمَت السيدة "لورا" إلى الأمام عدة خطوات، ثم انحنت ووضعت الطفل الصغير على الأرض بحرصٍ شديدٍ، تدلت يديها بجوارها باتجاه الأرض، ونظرت إلى الأسفل في خضوع غريب.

تقدَّم منها ضابطا شرطة في حذر بالغ بعد أن تأكدا من أنها لا تحمل أي أسلحة، وأنها لا تمثل خطرًا ما، ثم أبعدها عن مدخل المنزل في سرعة واحتراف.

وقام شرطي آخر بحمل الطفل إلى خلف سيارة أخرى قريبة.

وما إن توارت السيدة لورا خلف إحدى سيارات الشرطة المتناثرة حول المنزل، حتى جذبتها يدٌ قوية لتبعدها عن الخطر المجهول، ليتقدم منها ضابط شرطة بدين وجهه مستدير وممتلئ ومغطى بالنمش، وأخذ يستجوبها بسيل من الأسئلة المتلاحقة، وهي مطأطئة رأسها في ذلة دون أن تجيب أو يصدر منها أي رد فعلٍ نحوه..

كان شرطيًا شابًا انفعالي الأداء، و يبدو عديم الخبرة، وأنه يقوم بالأمر لأول مرة، ودل على ذلك رد فعله الهزيل إزاء تلك القبضة القوية التي أزاحته جانبًا وأجبرته على التنحي من أمام السيدة "لورا"، في حين ظهر في الصورة مفتش آخر ممتلئ الجسم في غير بدانة، اقترب

من السيدة "لورا" في هدوء ورباطة جأش، ونظر في عينيها المحدقتين للا شيء بشيء من الريبة والشك وقال:

- "أخبريني يا سيدتي عن الجريمة التي تمت في المنزل؟".

نظرت له نظره جامدة، وقالت وهي تلوح بيديها نحو المنزل:

- "لم تحدث أي جرائم في المنزل يا سيدي، وإن كنت لا تصدقني فها هو المنزل أمامك قُم ورجالك بتفتيشه".

لم ترحه نظراتها أو نبرات صوتها الأجش، وتولَّدَت لديه كراهية غريبة نحوها فهو يكره النساء غليظات الصوت والملامح، ولكن هذه السيدة تزيد نفوره بطريقة عجيبة، وكأنه يتحدث مع جثة فأر نافقة.

وكم يكره الفئران.. تلك المخلوقات الرمادية ذات الشكل البغيض.

كان قد حضر لتوه على عجل إلى الموقع الحالي في سيارته الخاصة، حينما أبلغه رئيسه بتولي هذا الأمر، إمعانًا في مضايقته ونكاية به، فرئيسه لا يطيقه، وبالطبع الشعور متبادل وراسخ منذ زمنٍ بعيدٍ..

وصل لموقع البلاغ في دقائق معدودة لحسن الحظ، وفي الوقت المناسب قبل أن يتولى هؤلاء الشباب المتحمسين الأمر برعونة وتهور.

وما إن تقدم نحو الموقع المطلوب بعد أن ركن سيارته العتيقة، والتي يتمسك بها رغم تَل التعليقات الساخرة التي تنهمر فوق رأسه ليل نهار، حتى رأى الشرطي عديم الخبرة يحاصر السيدة البدينة، التي خرجت من المنزل لتوها مفزوعة بسيل من الأسئلة التي لا تتوقف في انتظار الإجابة..

لقد أبعده في غلظة وتكبُّر..

هكذا هو دائمًا حينما يريد أن يفرض سيطرته على الأمور، لقد علمته خبرته أن الوقاحة تجدي دائمًا..

وهو كان غاضبًا لانتزاعه من منزله أثناء قضائه لإجازته الأولى منذ عدة أشهر، وإفساد الجو النفسي العام الذي كان يأمل في الوصول إليه..

لقد استجوب السيدة البدينة في سرعة، وعلى عكس ما توقع، أجابته مباشرةً عمَّا يريد، ونفَتْ ما يستفسر عن حدوثه، ورغم خبرته الشديدة لم يستطع أن يستشف من لهجتها التقريرية مدى صدقها من كذبها.

تركها وهو يستدير لينصرف، إلا أنها جذبته من كُمِّ سترته الرسمية وقالت:

- "هل أستطيع أن أحمل الطفل؟!".

نظر لها من جديد، وهو يغالب مشاعر الكراهية التي تسيطر عليه نحوها، وقال بصوتٍ يحمل ضيق الدنيا كلها:

- "لا بأس يا سيدتي يمكنك أن تحميله، على أن تبقى خلف إحدى سيارات الشرطة".

وأشار للشرطي الذي يحمل الطفل أن يحضره إلى السيدة..

وقف لثوانٍ يفكر وهو يتطلع إلى المنزل الجاثم أمامه في سكونٍ، ورجال الشرطة المتحفزون ينتظرون قراره القادم..

لم يكن يشعر بهم، أو بأي شيءٍ آخر..

كان غارقًا في حيرة كبيرة من سلوكه المفتقر للحنكة والمهارة، نحو هذه السيدة البدينة..

كان يريد أن يسألها أسئلة أكثر.. .

كان يريد أن يعصرها حتى تجيب عن كل ما يريد..

ولكنه يشعر نحوها بنفور هائل، وخوف عجيب يخجل من أن يفصح عنه، مع إحساس عجيب يسيطر عليه، ويجبره على تركها في حالها وتسليمها الطفل.

- "سحقًا!!"

قالها لاعنًا وهو يشعر بتشويش عجيب، إنه لم يمضِ من إجازته إلا يومين، هل أصابه الخمول، والتشويش لمجرد أنه تناول كأسين من الخمر قبل خروجه من المنزل.

أخذ يردد من جديد بينه وبين نفسه:

- "سحقًا سحقًا ماذا يحدث لي؟!".

كان ما يحدث له يُورثه الغضب؛ فقرَّر أن يدفع انفعاله في اتجاهٍ آخر، فتناول مكبِّر الصوت من الشرطي الواقف بجواره، بل اختطفه في عنفٍ وتوتُّر، وأمرَ الرجال المتأهبين بالاستعداد لاقتحام المنزل..

كانت الجماهير قد بدأت تتزايد وتتساءل وتسبب ضجة كبيرة..

ولكنه لم يبالِ..

وعبر مكبر الصوت أمر رجاله بالاقتحام..

مرت الثواني ثقيلة، وهو بالخارج واقفًا ينتظر ما ستسفر عنه عملية الاقتحام، والبرد يتسلل إلى عظامه برغم المعطف المزدوج المبطن بالفراء..

زفرَ فخرج من فمه بخارٌ خفيفٌ، ونظر إلى ساعته لم يكن قد مرَّ إلا دقيقة واحدة حسبها دهرًا..

كان يتوقع أن يسمع صوت طلقات..

ولكن ما حدث كان غيرَ متوقَّعٍ تمامًا..

فرجال الشرطة الذين قاموا بعملية الاقتحام، خرجوا صفر اليدين ولم يجدوا أي شيء مريب..

فقط منزل مرتب نظيف، وإن كان لا يشي بثراء فاحش..

أراد أن يعتذر للسيدة لورا عما حدث وعن تصرفهم المبالغ فيه، إلا أنه لم يستطع الدنو منها لتفاقم شعور النفور بداخله كلما حاول الاقتراب منها.

لعنَها في سره، ثم أمرَ شرطية سمراء باصطحابها إلى داخل المنزل و...

أمر الجميع بالانصراف..

وفي مكانها غير البعيد وقفت ليندا تبكي من القهر وقلة الحيلة..

لقد فشل الأمر ولكن الحمد لله، فلم تحدث المجزرة المتوقعة، وعاد الشرطيون إلى منازلهم وأطفالهم سالمين..

لم تكن لتتحمل ذنبًا جديدًا بموت هؤلاء الشباب، وتيتيم أطفالهم وترمل زوجاتهم.. إن ما حدث كان مريحًا ولكنه كان مخيفًا في نفس الوقت.. إن المخلوق أظهر ذكاءً شديدًا في احتواء الأمر هذه المرة، فهو لم يصعِّد الأمور مع الشرطة، ولم يعلن عن نفسه قبل الوقت المناسب.

هي لا تعرف إن كان سيعلن عن نفسه أبدًا..

بالتأكيد هو يستخدم عقل السيدة "لورا" لقياس الأمور.

انهمرت دموعها لتغرق وجهها وأحسَّت بوهنٍ شديدٍ وضعفٍ،كانت مشاعر الأمومة بداخلها تقتلها، فهي لا تتخيل نفسها تتخلى عن طفلها، حتى ولو تحوَّل هو ذاته لوحشٍ ذي أنياب ومخالب.

إنه جزءٌ منها.. جزءٌ سكنَ بداخلها تسعة أشهر سكنَ بجوار القلب يستمع لدقاته حتى رأى الدنيا الظالمة..

أخذ الوهنُ يتسلل إليها وإحساس طاغٍ بالرغبة في العودة يسيطر عليها ويحاصرها..

كانت خائفة على نفسها ولكن خوفها على رضيعها كان أكبر..

نظرت إلى آخر سيارات الشرطة التي تغادر وبداخلها وقر أمر نهائي..

لا بُدَّ أن تعود للمنزل..

لا بُدَّ أن تعود من أجل طفلها..

فإما أن ينجوا معًا أو يهلكا معًا..

وبلا تردد تركت مخبأها غير الحصين، وتوجهت بخطوات ثابتة نحو المنزل..

بدأ الهدوء يغزوها..

ورويدًا رويدًا اكتست نظراتها بنظرة زجاجية شاخصة..

وما إن عبرت الباب حتى دوَّى صوت السيدة "لورا" الأجش:

الطفل جائع.



الجزء الرابع

اللعنة من جديد



- 1 -

مرت عشرات السنين من عمر الساحر "كوارك"، وهو يفرض حكمه وسيطرته على العالمين بقبضة من حديد..

كان عهده دمويًا مخيفًا مشبعًا برائحة الموت والمؤامرات..

كان عهدًا مظلمًا ووحشيًا..

وكلما مضى به العمر كانت أفكاره تتشوش وتضطرب وتفقد حكمتها المعهودة، ولكنه في خضم غيبوبة القوة كان لا يفكر إلا بالدماء، ولا يصنع إلا الموت..

صرع كل أعدائه، وقضى على مناهضيه، ومَن اعتقدوا بأنه فقدَ قوته بمرور الزمن، حتى أتى مَن أوقف طموحاته وبدَّد أحلامه وقضى على غروره..

جاء من لا يحده حدٌّ ولا يوقفه سد..

جاءه الموت..

بدأ يحتضر ويلفظ أنفاسَه الأخيرة، وقد أحاطت به بطانته من الخبثاء والطامحين، ومن يرغبون في استخراج كلمة منه تجعله الوريث،

ولكنه نهرهم وأخرجهم جميعًا من غرفته وظل وحيدًا يعاني من سكرات الموت..

لم يهذب قرب الموت من سلوكه، ولم يضيء عتمة قلبه المظلم..

كان حاقدًا ناقمًا أكثر منه خائفًا..

أراد ألا يزول أثره حتى بعد موته..

أراد أن يترك انتقامه لمن لم يَطله الانتقام بعد..

كان يعرف أنه بموته سيتحرر المخلوق، ويعود إلى عالمه بعد سنين من الذُّل والرق في كنف الساحر..

لم يكن يرضى الراحة الأبدية لأحد..

لم يكن يرضى أن يعود خادمه إلى حيث جاء..

قرر أن يفرض إرادته وسيطرته حتى بعد موته، وفي نفس الوقت يحقق انتقامه الأخير..

مدَّ يده الهزيلة إلى أسفل الوسادة، وأخرج رقًا جلديًّا مدبوغًا، مسجل عليه نقوش لامعة وأخذ يردد التعويذة..

كانت أنفاسه تتقطع، واللعاب يتناثر من فمه، والرؤية تزيغ مع الوقت، ولكنه لم يستسلم..

ألقى لعنته على مَن رفضته..

على من أهانت رجولته وكسرت قلبه..

ردد اللعنة وألقاها على أبنائها وأحفادها..

كانت لعنة أبدية وحتى تفنى ذُريتها..

ذريَّة "إماليا كاتريل"..

لم تكن "إماليا كاتريل" فاتنة، ولكنها كانت جميلة وهشة كغصن من بلور..

كان في وجهها شيء ما جذَّاب يجذب الرجال، ويجبرهم على معاملتها برِقَّة مهما كانت غلظتهم وفظاظتهم..

ربما كان لون وجهها الخمري المشبع بالحمرة، أو لون عيونها الذهبية الساحرة، وربما كان أنفها الدقيق الحاد الذي تتمناه كل ملكة ليزيدها شموخًا..

كانت "إماليا كاتريل" ابنة "جيف كاتريل" القس الورع، وكانت هي راهبة في الكنيسة تتولى خدمة الوافدين ووالدها العجوز، الذي أصبح قسًا بعد أن قضى حياة كاملة في المجون والضياع.. كان يضع هذه النقطة نصب عينيه.

كان في بداية حياته شابًا مستهترًا، ولكن توبته جاءت نصوحًا، وأصبح قسًا مشهورًا بالورع والطيبة.. سلكت ابنته نفس الطريق وسارت على دربه، والتحقت بخدمة الكنيسة، ووهبت حياتها للرب كما تردد دائمًا..

سارت حياتها في خدمة الرب كالنهر المتدفق حتى جاء اليوم المشئوم..

فذات يوم رآها الساحر، حينما قدم بصحبة أحد الأمراء، والذي جعله العراف الخاص به، وذلك قبل أن يصير الوريث بزمن غير بعيد..

كانت ترتدي زِيَّ الراهبات المحتشم، ووقفت في صفٍّ من زميلاتها تردد بعضَ التسابيح ليسوع، ووجهها يموج بالرقة والخشوع..

سحرته دون سحر..

سيطرت عليه دون أن يَملِك الرفض..

ملكته منذ وقع بصره عليها..

رغبَ بها كما لم يرغب في أنثى من قبل..

اشتهاها بقوة وعقد العزم على الحصول عليها.. وبأي ثمنٍ..

أما هي فكانت مندمجة في التسبيح..

كانت في عالم آخر مختلف..

عالم من الطهر والنقاء والعفة والسماحة..

كانت في عالم من المحبة..

كان الأمر غريبًا حتى على ساحر..

كيف استطاعت هذه العصفورة الرقيقة أن تأسره في شِبَاكها دون أن تنسجها، أو تتعمد لَفْت نظره؟!

كيف وقع في هواها من أول نظرة كمراهق صغير؟!

من أين يأتي الهوى؟!

وكيف يحدث الحب؟!

شعر بتغيُّرٍ كبير وأضاء وجهه المظلم بنور الحب كسابقة لم يعتدها، وهو الذي لم تهزه امرأة من قبل مهما كانت فتنتها..

وظلّ السؤال الخطير يلح على عقله.. كيف سيحصل عليها؟ كيف!

كان الساحر "كوارك" طويل البال متسع الصدر لا يسعي إلى الطعام قبل أن ينضج.. يسعده أن يتابعه في شغف، وهو ينضج على نار هادئة مهما كانت درجة جوعه؛ لذا فهو لم يتعجل الأمر ولم يبدأ فيه دون تخطيط محكم، أراد أن يستخدم سحره في السيطرة عليها، ولكنه كان يعرف أن هذا طريقٌ مسدودٌ خاصة أمام هذا القلب الممتلئ طهرًا ونقاءً وإيمانًا..

قرر أن يستغل وسامته وأن يقلد سيده الشيطان في الإيقاع بها في حبائله..

قرر أن يوسوس لها في كل وقتٍ وكانت الخطة مُحكَمة..

جارية سوداء، وعدها بصك الحرية لو نجحت في استمالتها وإغوائها..

الجارية الخبيثة قررت أن تستفيد من الفرصة لأقصى مدى، وأن تحصل على حريتها مهما كان الثمن..

التحقت بالكنيسة، ووهبت نفسها لخدمة دين لا تؤمن به، وبقصة متقنة من المعاناة والألم استحوذت على قلب "إماليا" الرقيق، وأصبحت صديقتها المقربة، والتي تقضي معها معظم الأوقات، وتقوم معها بجل الأعمال.

بدأت الجارية في سرد عشرات الحكايات عن الحب والعشق وعن حبيبٍ وهميٍّ ألصقت به كل الصفات الساحرة، وكلما وصفَت حبيبها كانت تصف سيدها الساحر..

حكت عن النظرة الأولى..

عن اللقاء الأول..

عن اللمسة الأولى..

عن القبلة الأولى..

والطفل الأول الذي فقدته..

وكما خرج آدم من الجنة بالغواية.. خرجت "إماليا" من صومعة الإيمان والزهد والرهبنة بالغواية أيضًا.

والدليل كان ذلك الحلم الذي قصَّته على الجارية في ذلك اليوم..

الحلم الذي رأت فيه فارس الأحلام الأشقر الوسيم ذا العيون الزرقاء الساحرة، وهو قادمٌ ليخطفها فوق حصانه الأبيض المزين بالورود..

الحلم الذي نقلته بالتفصيل لسيِّدها الساحر..

يومها شاع البشر في وجه الساحر، ومنحها صكَّ الحرية، وصرة ممتلئة بالعملات الذهبية التي تحمل وجه الملك..

كان الجزء الأول من خطته قد تم بنجاح باهر، وأصبح قلب "إماليا" مستعدًا وجاهزًا لمن يفتح بابه ويدلف إليه ليسكنه.

وأصبح هو نفسه، يتردد على الكنيسة بانتظام على الرغم من كراهيته؛ لذلك تعلقت عيناه بوجهها الخمري الذي يضج بالجاذبية، ولاحظ أن هناك شيئًا غير موجود!!

إن الصفاء وراحة البال والتركيز فُقِدوا..

أصبحت كزهرة يانعة بهت لونها، وإن لم تفقد لمحة من جمالها..

وكان هناك الأمر الآخر.. الأمر الأهم..

نظراتها المختلسة..

كانت تتطلع بنظرات جانبية إلى شخصٍ ما.. شخص ما في الصف الأول يحضر قداس الأحد.. شخص آخر غيره هو..

اعتصرت قلبه قبضةٌ باردة حتى إنه كاد أن يتأوه، إلا أنه سيطر على نفسه وهو يسير كالمغيب إلى الصف الأول الذي يحتوي على الشيء أو الشخص الذي يثير انتباهها.. و..

رآه هناك..

فشهق من الصدمة والمفاجأة..

شابٌّ في عمر الزهور أشقر الشعر وسيمٌ ذا بشرة بيضاء كالحليب، ونظره ناعسة وعينين زرقاوين..

شاب لا يصلح إلا لها..

ولا تصلح إلا له..

لقد فشلت خطته لأول مرة برغم عبقريتها..

لقد أمال قلب القديسة ولكنه مال بالاتجاه الخطأ..

ولا مفر من تعديل الخطة من جديد.. لا بديل عن ذلك.. وبدأ على الفور..

في اليوم التالي عثرَ على الشاب مقتولاً بعدة طعنات نافذة..

هكذا تم الجزء الأول والسهل..

الجزء الثاني كان الأصعب لأنه سيبدأ مرة أخرى..

كيف سيكتسب قلبها من جديد..

وعادت الجارية من جديد بقصة ملفقة تبرر هروبها من الكنيسة وتخبرهم بأخبار كاذبة عن ابنها المفقود، وكيف أنها اعتقدت أنها عثرت أخيرًا على الوسيلة، التي ستجمعها بصغيرها بعد الشتات ومع دموعها التي برعت في استخدامها أقنعتهم بمعاناتها وكيف أن أمومتها هي التي وجهتها لسلوك مثل هذا الدرب..

رقت قلوبهم لها، وبسماحة منهم أعادوها من جديد لخدمة الرب، وعلى الفور بدأت تبث سمومها في أذني "إماليا"، ولكنها هذه المرة وجدت الطريق إلى قلبها مسدودًا بركام الحبيب الغائب..

لقد كُسر قلبها، وزال إيمانها بالحب، وعادت من جديد إلى الطريق القديم.. طريق الرهبنة..

عادت ولكنها عادت إليه زهرة شاحبة..

ومع فشل الجارية اتجه الساحر اتجاه آخر..

أراد أن يحصل عليها بأي ثمن..

وسهَّلت له الجارية الأمر..

فبعد أن غررت بها الجارية وأقنعتها ذات ليلة بمصاحبتها إلى أُناس يعرفون عن ابنها المفقود أخبارًا جديدة.. استفرد بها..

بالطبع لم تذهب بسهولة في بادئ الأمر..

ولكن دموع الجارية التي لم تتوقف كانت سلاحًا ماضيًا..

واجهها الساحر بنفسه..

رفضته في نفور..

انقض عليها دون رحمة، واغتصب براءتها وعفتها بكل توحش، وأفقدها عذريتها، وانتهى الأمر بالنسبة له، وإن كان لم يُرضِه..

لم يرضِه أبدًا..

لقد أرادها أن تكون حبيبته ومَلِكَتْه وزوجته بكامل إرادتها..

صحيح أنه نالها، ولكن ليس هذا ما أراد..

لقد رفضَتْه وأهانت رجولته وجعلته صغيرًا جدًّا أمام نفسه..

لم يُشبِعه هذا الانتقام فتوعدها في نفسه..

قرَّر أن ينتقم منها انتقامه الكبير.. ولو بَعد حينٍ..

لقد علم بعد ذلك أنها رحلت عن البلدة إلى بلدة مجاورة، وأنها تعمل الآن في حقول الكروم، وأنها غادرت الكنيسة إلى الأبد بعد أن أيقنت بداخلها أن جسدها أصبح دنسًا وروحها لم تعد طاهرة أو نقية.

لقد فقدت عذريتها الروحية..

ومع الأيام اندملت الجراح وتعرفت على رجل صالح وأنجبت منه ذرية كبيرة..

ولكن الحقد والكراهية لا يموتان مع الأيام..

إنه لم ينس قط.. ولم يصفح أو يسامح..

ومع نهاية حياته قرَّر أن الوقت قد حان..

لتستمر لعنته وليتحقق انتقامه..

ألقى لعنته عليها وعلى ذريتها ولفظ أنفاسه الأخيرة..

وحيدًا..

وبداخل الغرفة زمجر المخلوق في غضبٍ كاسحٍ..

المخلوق الذي كان قاب قوسين أو أدنى من نيل حريته..

وانقض على جثة الساحر ومزقها..

لقد بقي المخلوق سجينًا في الأرض..

وسيظل كلعنة أبدية قائمة..

يبث شروره التي لا تنتهي ليصبغ السنوات القادمة بالدم..

بالدم فقط..

بالكثير من الدم..

- 2 -

"قُيِّدت جميع الحوادث ضد مجهول".

كان يذكر ذلك جيدًا.. وكانت كلمات الجريدة أمام عينيه، وكأنها طُبعَت الآن، وباللون الأحمر العريض.. لون الدماء..

كان هذا هو العنوان الرئيسي لجميع الصحف المحلية والقومية، ما أثار العديد من المشاعر المتباينة في الأوساط المختلفة للبلاد، وبرغم أن الهدوء حلَّ، وسادَ اعتقادٌ بأن الأمر برغم بشاعته حادث فردي، إلا أن هذا لم يمنع الخوف من أن يغزو كامل قلوب سكان بلدة (سيلفر سبرينج)..

ولم يمنع أيضًا حملات التفتيش المكثفة، التي قادها الشريف مع رجاله ورجال الشرطة القادمين من مدينة (شارلستون) القريبة من (سيلفر سبرينج) والتي مشطت الغابة شبرًا شبرًا للبحث عن الحيوان المسعور الذي قام بهذه المذبحة.

فمقولة وحش يشبه كرة الشعر ولديه عيون ضخمة ومخالب لم تجد أي صدى لديهم، واعتبروها جميعًا هلوسة صبي مراهق مرَّ بتجربة مروعة أثرت على عقله، وعلى حُسن رؤيته للأمور.

وبرغم علامات الاستفهام الضخمة التي لم تجد لها إجابة، إلا أن إغلاق القضية أشعر العديدين بالارتياح، وكأن تجاهل الخطر يعني عدم وجوده..

أو سيمنعه من العودة..

بالطبع أخلى سبيل والد "روبرت" لأنه كان في حالة دفاع عن النفس، وبعدها غرقت البلدة في حدادٍ طويلٍ بعد دفن أشلاء الضحايا، وغمر الحزن الجميع بلا استثناء.

فعلى عكس سكان المدينة الكبيرة فإن سكان بلدة (سبلفر سبرينج) تربطهم ببعضهم البعض روابطُ قوية، وبعيدًا عن المشاحنات والمشكلات الصغيرة التي تنتج عن الغضب أو اختلاف وجهات النظر المعتادة، فإن العلاقة بينهم كانت متينة وعميقة.

ربما أصبحت هذه العلاقات هشةً الآن، ولكن في مثل هذا الوقت كانت قوية كصخرة لا تلين.

وظهر ذلك في العناية المكثفة، التي أحيط بها "روبرت" من قبل جيرانه حتى إنها أغنته عن الذهاب إلى المصحة، بعد أن كاد يسقط في هوة الجنون من هول ما رأى..

ولكنه -والحق يقال- لم يعد طبيعيًّا كما كان.. لم يعد كذلك أبدًا..

لقد فقد الإحساس بالأمان، وبأشياء كان يؤمن ويعتقد فيها، واكتسب تلك الخبرة المروِّعة التي قتلت براءته، ورفضت منح العالم فرصة ثانية لإثبات حُسن نيَّته..

التغيير أيضًا أصاب والده، والذي ظهر تقدم السن المبكر على

وجهه وخالط شعره الأشقر شعر أبيض كثيف، وتهدلت كتفاه بعد موتها.

خاصةً بعد أن فقدَ زوجته الحانية، وأصبح ملازمًا للكتاب المقدس لا يتركه إلا لمامًا، وكأنه يتلمس منه شيئًا لم يعثر عليه بعد..

قاموا باستئجار منزل جديد بعد فترة ليست بالقصيرة قضوها في منزل الشريف، وسط زوجته وبناته الفاتنات الذين غمروهم بالعطف والحنان.

فلم يستطع أيٌّ منهم العودة إلى المنزل مرة أخرى، بعد كل هذه الأحداث الدموية التي لوثته، وشوهته في عيونهم.

ومع الأيام بدأت الحياة تعود لمسارها القديم، وبدأت الصحف تتجاهل القضية بعد أن خبا بريقُها تمامًا، وسارت الأمور في طريقها الهادئ الثابت، وإن لم يتغير سلوك والد "روبرت" بأكثر من عودته لعمله القديم من جديد.

عادت "سيلفر سبرينج" إلى حياتها القديمة الراكدة، وانتظمت حياة "روبرت" مرة أخرى، ولكن ليس تمامًا، لقد أرهقه الاهتمام المبالغ فيه الذي غمرته به البلدة، ونظرات الشفقة الملتصقة بكل عين رأته وحاولت مواساته..

أصبح أكثر انزواء على نفسه وابتعد عن كل أصدقائه وانقطع مع الوقت عن الذهاب إلى المدرسة، ولم يمنعه والده أو حتى يقوم بنصيحته، ودلَّ ذلك على مقدار الضرر الذي أصاب روح والده.

ولم يخرجه من حالته المبالغ فيها إلا عمه "إدوارد" ذلك المزارع

القديم الذي اجتذبه للعمل معه في حقله وجعل منه مزارعًا عظيمًا يفخر به..

ولكن الأمور لم تكن قد انتهت عند هذا الحد..

فبعد مرورِ عامٍ كاملٍ، وفي نفس الليلة التي وقعَتْ فيها الحادثة الرهيبة، بدأت الكوابيس تغمر عالمه بشكلٍ رهيبٍ، وتبدَّد الصفاء الذي بدأ يكسوه بعد أن كانت الأيام قد غسلت كل آثار الأحداث المفجعة، التي حدثت في السابق..

أخذت الكوابيس تُطارِدُه دونَ هوادة، والوحش الأسود ذو العيون الضخمة والمخالبُ يتمثَّل أمامه في كل لحظة.

لم يخبر أحدًا بما يحدث له قَطّ.. أو يراه.

لم يجرؤ على ذلك..

كان يخشى أن ينعتوه بالجنون أو ينقلوه في آخر الأمر إلى المصحة.. أجاد إخفاء الأمر إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً، فعمه "إدوارد" لاحظ ما يحدث له من تبدُّل، وبخبرته الطويلة بدأ يستميل "روبرت" إليه، ليكشف له عمَّا يؤرقه ولكن بلا فائدة..

كان هناك خوفٌ رهيبٌ يكبِّل "روبرت"، ويمنعه من الإفصاح أو التحدث عما يحدث له..

والسر بالطبع هو تلك الكوابيس اللعينة، والتي لم تتركه في حاله لحظة واحدة، ومع مضي الوقت، وبخاصة حينما يجن الليل، ويأوي لفراشه كانت الكوابيس تطارد "روبرت" وبضراوة..

لم تكن جميعها تخصه..

كان يرى فيها أشخاصًا آخرين..

وحيوات أخرى كثيرة..

أشخاص يشعر معهم بأنهم يمتون له بصلة الدم وأحداث يشعر بأن لها يدًا بها يحدث معه الآن..

أشخاص يلعنونه وأشخاص ينصحونه بالخضوع والامتثال..

ورغب هو في أن يستريح، ويمتثل، ويخضع، ولكنه لم يكن يعرف لأي شيء سيخضع..

كانت معظم الكوابيس مروِّعة وإن لم تكن جميعها مخيفة. معظمها كان عبارة عن مجموعة من الرسائل.. وإن كانت في أكثرها مبهمة.. رسائل لم يستوعبها وإن شعر بأن لها كيانًا ما تتسلل عن طريقه إلى عقله..

حتى كان اليوم الذي استوعب فيه الأمر وعرفَ كلَّ شيء وامتثل للأمر..

لم يكن كابوسًا بقدر ما كان اتصالاً عقليًّا فائقًا مجهول المصدر، وفيه رأي لأول مرة جدته "إماليا كاتريل"..

لم يكن قد رآها من قبل، ولكنه يذكر ملامحها من صورتها الزيتية التي كانت معلقة في بهو منزل جده القديم.

تلك الصورة التي تبرز بها ملامح جمالها وطهارتها ورِقَّتها وكأنها على قيد الحياة..

لقد رآها فشعر بارتياح غامر..

شعر بأن الكابوس يتحول إلى حلم ملائكي مَكسٍ بالضياء..

ولكنَّ الشيء الذي جعل القلق يغمره في عالم الأحلام، هو نظرتها الحزينة المشفقة، تلك النظرة التي رآها كثيرًا في أعين النساء المشفقة بعد وفاة والدته.

نظرة أخبرته أن ما سيعرفه بعد قليل لن يكون مبهجًا، لن يكون كذلك أبدًا..

رآها كطيف جميل في قلب الظلام.. وجه نوراني غارق في ظلام وعتمة بزغ أمامه كقمر مسربل بالضياء.. وجه حزين.. مليء بالأسرار..

توقف روبرت أمام الطيف في انبهارٍ مخلوط بخوف غريزي..

ودار بينهما حديثٌ مطولٌ ومسهبٌ حتى إنه نسي معظمه في وقتها وعاد يتذكره بعد ذلك..

آلاف من الذكريات والأحداث..

الأحداث التي لم تخلُ من الألم والدماء..

قصة حياة كاملة عن لعنة أبدية رهيبة هو أحد ضحاياها..

ومع مضي الوقت، والحديث كانت ملامحها تتغير وتتشكل، حتى إنه لم يعد واثقًا من أن التي أمامه هي جدته "إماليا" أو أنها حتى شخص يعرفه..

هل كان يحلم حقًّا؟

هل كل المعلومات التي حصل عليها جاءته أثناء نومه حقًّا؟

إنه يشك وبشدة في ذلك الأمر، كما يشك في كل شيء يحدث له منذ بدأ هذا الأمر..

إن الأمور لا تحدث بمثل هذه البساطة، ثم لماذا تغيَّر وجه جدته وتحوّل إلى ذلك الوجه غزير الشعر ذي المخالب الحادة..

وجه الوحش المخيف..

برغم ما كان يشعر به من ارتياح مع الكم الهائل من المعلومات التي عرفها إلا أن خوفًا كاسحًا تسلل إلى قلبه..

ومع مضي الوقت بدأ يشعر بأنه على حافة الجنون من جديد..

فطيف جدته يظهر له في كل وقت وكل مكان.. لم تعد جدته تظهر له فقط عند النوم..

لقد رآها اليوم عند حافة التل القريب..

المكان الذي كان يختلي فيه بنفسه ويشعر فيه بالأمان، المكان الذي ظن أنه بمنأى عن كل كائن آخر.

رآها هناك تتجسد من العدم وفي ملامحها حزن رهيب وقد انطفأت نظراتها..

أصبح ظهورها الآن مخيفًا.. ككل شيء آخر..

وبدأ ظهورها يكون مكثفًا..

ربما كانت هي من ظهر في بادئ الأمر، ولكنه على يقينٍ الآن أن من يظهر له في هيئتها هو الوحش الأسود..

وذات يوم.. وبعد أن غادر مزرعة عمه "إدوارد"، وهو في طريقه إلى المنزل حدثَ التطور الخطير والمخيف، فمن قلب الأشجار القريبة برز له الوحش.. برز له بكامل شكله وهيئته ودون هيئة خادعة.. تجسد كما يتجسد كل شيء شرير من قلب العدم..

وكان رد فعله هو مذهلاً ومخيفًا فلم ينفعل أو يجفل أو يتحرك من مكانه قيد أنملة..

فقط ظلَّ يتطلع إلى الوحش بهدوء لفترة طويلة جدًّا، لم يدرك مداها وكست وجهه نظرة قاسية مختلفة.. نظرة ممتلئة بالمعرفة..

وخلال الساعات التالية تكشفت أمامه الحقائق.. كل الحقائق..

وصار كل شيء واضحًا كوضوح الشمس..

كيف عَلِمَ ما عَلِمَ ؟!.. لم يكن يدري.. فقط هو أدرك أن المخلوق لم يكن ليؤذيه..

إن المخلوق مجرد خادم بشع المنظر يمتلك قوة رهيبة وقدرات هائلة..

خادم قاتل يأتمر بأمره وينفِّذ تعليماته..

خادم سيحميه ويزود عنه بالموت والدماء..

لقد أدرك الآن أن كل أصدقائه ماتوا، لأنهم جعلوه موضع سخرية، لأنهم آذوه يومًا ما، و ماتت أمه لأنها عنفته في ذلك اليوم الذي أصبح هو فيه السيد..

السيد الأوحد للخادم..

وعلم أن اللعنة لم تكن لتؤذيه ولكن لتحيل حياته لجحيم خالص..

جحيم يجعله يتمنى الموت ولا يجده..

جحيم أكثر سعيرًا من كل الألم والأذى الذي كان من الممكن أن يحيق به..

لقد اكتسب المعرفة، وتعلّم كيف يتحكم في مشاعره كي لا يؤذي من حوله،

وتحولت أيامُه التالية إلى لحظة ممتدة من الوحدة والخوف..

لقد أصابته اللعنة والتي لم يكن يملك الفكاك منها..

ولم يكن ليستسلم لها..

تواصل مع المخلوق عقليًّا.. وتعلم منه الكثير، وعرف مقدار الغضب الذي يموج بداخله، ومقدار رغبته في العودة إلى عالمه.

قرر أن يحرر المخلوق.. لتنتهي اللعنة.. أن يأمره بالعودة إلى عالمه.. ولكن اللعنة كانت قوية ولم تنكسر ببساطة.. إنه يحتاج لعلم ومعرفة كبيرة كي يتخلص من اللعنة.. علم ومعرفة لا يملكها ولا يعرف من يملكها..

كان بحاجة لمساعده عاجلة.. مساعدة من نوع خاص جدًّا، ولم يكن ليساعده إلا المخلوق نفسه، ولكنَّ هذا الأمر لم يكن بالسهولة أبدًا..

لقد خاطر بكل شيءٍ، وتتبع تعليمات وتوجيهات المخلوق الشيطاني، وغادر بلدته وقطع آلاف الأميال..

ذهبَ إلى أماكن لم يكن حتى يعرف بوجودها..

التقى بأشخاص لم يكن يعرف أن هناك مثيلاً لهم في هذه الحياة..

وانتقل من هنا لهناك، ومن هذا لذاك، حتى التقى أخيرًا بذلك الساحر اليهودي الخبيث، الذي بدا عالمًا وخبيرًا بمثل هذه الأمور، ولديه قدرٌ من المعرفة يفوق أقرانه من النصابين والمدعين، والذين حاولوا خداعه من قبل واستحقوا جزاءهم.

كان أمرًا يدعو للسخرية، فصبي في مثل عمره يتنقل بين هذه العوالم الملعونة، ويقطع كل هذه المسافات.. ماذا كان يتوقع إلا محاولات خداع لا تنقطع.

تبدلت شخصيته و تغيرت كثيرًا، وأصبحت أكثر قسوة.

وصار لا يتعامل إلا بالدم..

ربما كان الخوف الشديد هو السبب المباشر لهذا التغيُّر، وربما هو تأثير غير مباشر من المخلوق الذي امتلك مؤخرًا زمام الأمور..

لم يساعده هذا الساحر الخبيث بسهولة أيضًا، إلا بعد أن تجسد أمامه المخلوق، ساعتها عامله باحترام وإجلال ممتزجين بخوف طاغٍ، وبرغم كونه يعرف جيدًا أنه ضحية للعنة وليس مصدرها.

حاول أن يساعده بعلمه الأسود، ولكن الأمر لم يكن هينًا ككل شيء واجهه منذ بدء الأمر.

لقد كان لهذا الساحر أيضًا قوته.

فهو يمارس السحر الأسود، ويؤمن بعقيدة "الكابالا" الشيطانية من قبل أن يولد، وهذه التعاليم التي تستند إلى فلسفة وثنية، والتي كانت موجودة قبل التوراة ثم تسللت إلى الدين اليهودي، كانت تمنحه علمًا ثمينًا لم يكن ليفرِّط فيه إلا حينما تتهدم أثمن ما يملك وهي حياته..

كان الساحر مخادعًا ومحتالاً، واستحق ما فعله المخلوق فيه، ولكن الأمور معه لم تكن سيئة تمامًا، لقد وضع أقدام "روبرت" على أول الطريق ومنحه وسيلة النجاة.

وكانت هذه الوسيلة مخطوطة نُقِشَ عليها تعويذة قديمة قِدَم الدهر ممتلئة بالحروف والأرقام..

مخطوطة أعدها بسحر الأرقام والدم..

ونجحت المخطوطة في إعادة المخلوق إلى عالمه، ولكن يبدو أن جديدًا قد حدث في الأمر، فعاد المخلوق من جديد ليعيث فسادًا و يملأ الأرض دماءً.

لم يكن يتخيل أنه في سنوات عمره القليلة سيمر بما مرَّ به ولكنه كان قدره، لا يعرف أي قوة تسللت إليه كي يستطيع الخوض في مثل هذا الأمر، ولكنه حمد الله وقتها على نجاته، وازداد إيمانًا بقدرة السماء..

لقد تزوَّج وأنجب فتاة جميلة أطلق عليها "ليندا" لم تعرف أبدًا شيئًا عن ما مَرَّ به في مقتبل حياته، ولم يكن ليزج بها في الأمر بعد أن انتهى، ولو حتى عن طريق معرفتها به مهما كان الثمن.

أحاطها بحنانه حتى انفصل عن زوجته التي لم تتحمل مزاجَه السوداوي، وانفلات أعصابه الدائم، وبعدها ابتعدت عنه وشقت طريقها وتزوجت وأنجبت. لقد كاد ينسى اللعنة وكل الأحداث الدموية التي أحاطت بها، وكاد ينسى والده الذي فارق الحياة بعد عامين من الأحداث، وكاد ينسى كل شيء..

فلماذا عاد ت اللعنة، ولماذا عاد المخلوق الآن؟!

توقفت الذكريات بـ "روبرت" عند هذا الحد، ومعها انتهت سيجارته فقام، وحمل الصندوق الخشبي المغطى بالغبار، وغادر

الكوخ القديم، واتجه نحو الزورق الذي شقَّ طريقه في قلب الماء ليعود به إلى الشاطئ الآخر..

وبداخله بدأ الخوف يتصاعد..

وقرر أن يهرع مسرعًا ليلحق بابنته قبل أن يصيبها شرٌّ ولكن..

هل يمهله الوقت؟

هل؟؟

- 3 -

سواد رهيب وعظيم أحاط بعقل "ليندا" المنهك، بل وغلفه بشدة، حتى أعجزه تمامًا عن الصفاء والإدراك..

سواد يشبه ذلك الظلام الأبدي، الذي كنا فيه جميعًا داخل أرحام أمهاتنا، قبل أن نُولَد أو نرى هذه الدنيا البائسة..

سواد حالك وكأن الكون خلا من الضياء، أو لم يعرف أبدًا ما هو الضياء..

ومع السواد الرهيب كانت تشعر بآلامٍ رهيبة في صدرها وعظامها، بل في كل جزء من جسدها..

كان عقلها واعيًا ولكنه مكبَّلٌ..

قوة ما تسيطر على إرادتها وإن لم تشلها تمامًا..

حاولت أن تفتح عينيها، ولكن الجفون كانت ثقيلة، وكأنها بوابات كهف صدئة لم تفتح منذ قرونٍ..

تنفست بعمق، وهي تجاهد من جديد لتحث جفونها عن التحرك، وكشف ما يحدث حولها، ولكن بلا فائدة..

تنهدت في عمقٍ، وكفت عن محاولاتها الفاشلة، وأخذت تحاول أن تصفي عقلها، وتستعيد سيطرتها على جسدها المنهك..

كان عقلها يدور وبشدة، ويحاول أن يقهر تلك القوة المسيطرة، ولكن الأمر كان مستحيلاً، وكأنك تحاول ثقب جدار من الفولاذ بعود خلة أسنان..

لقد قرَّر المخلوق أن يقيدها ويحد من حركتها، وكان يفعل ذلك عقليًا دون استخدام أي نوعٍ من أنواع القيود..

كتمت أنفاسها وجذت على أسنانها حينها، اجتاحتها موجةٌ من الألم نابعة من صدرها، ومن نفس المكان الذي يمنح الصغير الغذاء.

كانت تشعر بعجز كامل وقهر بلا حدود..

إنها لا تستطيع حتى أن تفتح عينيها.. أي ذل هذا وأي مهانة.. لقد فرَض المخلوق سيطرته ولا فائدة من محاولات الفرار منها..

تخيل أن ينتهك جسدك في البداية، ثم تفقد سيطرتك عليه بعد ذلك.

إنه شيءٌ مُقزِّزٌ ويثير الاشمئزاز.. والخوف..

لقد عادت بكامل إرادتها من أجل طفلها.. قهرت خوفَها وترددها وقررت أن تبقى بجواره حتى يأتي الفرج أو يموتا سويًا.. إنها لن تستطيع أن تحارب من أجله، وهو بعيدٌ عنها إن ذلك يشقها نصفين ويمزق قلبها إربًا..

لقد قررت أن تتحمل الألم، حتى لا يغيِّر المخلوق من نوعية غذاء الطفل، أو يصيبه بأي أذى..

فبدلاً من أن يتغذى على الحليب المتدفق من صدرها، قد يجعله يتغذى على الدماء أو الحيوانات أو الحشرات أو حتى يجعله يتغذى على لحوم البشر..

لا شيء بعيد عن قدرة ذلك المخلوق الشيطاني الذي لا يعيش إلا ليقتل..

لقد عادت ولكن ما فائدة عودتها، وطفلها الصغير بعيد عنها، وعجزها السابق أصبح دائمًا..

إنها تخشي أن تصارح نفسها بأنها أصبحت مجرد وسيلة لإطعام الطفل..

أنها تحولت لمجرد آلة لا هم لها إلا أن تمد الطفل بالغذاء..

آلة لو زهدَها الطفل لتمَّ الاستغناء عنها..

لقد أفقدها هذا المخلوق الشيطاني أهمَّ صفة تميزها عن باقي مخلوقات الكون.. لقد افقدها بشريتها..

حاولت أن تبكي ولكن دموعها لم تطاوعها أيضًا.. فاعتصر قلبها شعور كاسح بالقهر..

أخذت تصغي لما حولها في يأس وقنوط، وحمدت الله على أنها لم تفقد حاسة السمع أيضًا.. هناك بعض الضجيج الخافت وهذا الضجيج غير معلوم المصدر هو ما يؤانسها ويمنعها من الجنون..

إن الصمت التام كالصخب العالي، كلاهما يدفعان للجنون وفقدان العقل..

أعيتها محاولاتها البائسة للخروج من ذلك السجن العقلي، فأخذت تفكر في أبيها و"هاري"..

لماذا تأخرا؟!

ألم يأتيا بعد؟!

هل حدث لهما أي مكروه؟!

هل أتيا وواجها المخلوق وقضى عليهما؟!

منذ كم ساعة وهي نائمة؟!

هل تناولت طعامها؟!

إنها لا تذكر..!

كان تشوش عقلها عظيمًا، والظلام الشديد الذي يكتنف عقلها، وعدم قدرتها على الرؤية ينهكونها، ومع ذِكرها للطعام تحررت وحوش المعدة الكامنة، وأخذت تنهش فيها، وكأن ذكرهم قد أيقظهم من ثباتهم، شعرت فجأة بجوع رهيبٍ.. جوعٍ أنساها طفلها و"هاري" و أباها..

توقعت أن تدلف السيدة "لورا" بين لحظة وأخرى حاملة صينية الطعام المكدسة كما كان يحدث من قبل..

ولكن لا دليل واحد على قدومها..

أخذت تنصت بشدة، وتسترق السمع لعلّها تستمع لخطوات "لورا" القادمة من الخارج ومعها الطعام، ولكنها لم تأتِ ولم يخترق الصمت من حولها أيُّ صوتٍ جديد..

أرادت أن تصرخ.. أن تعترض.. أن تفعل أي شيء.. ولكن بلا فائدة.. راح مجهودها كله هباء وكأنه لم يكن..

الآلام التي لا تطاق تزداد بحدة رهيبة..

الجوع يقرصها بمخالبه الحادة ويكاد يزهق روحها..

إنها تريد أن تأكل أي شيء ولو حتى أطرافها..

لو استطاعت أن تصل إليهم لالتهمتهم دون تردد..

إن نداء الجوع قاتل.. ومؤلم..

كانت تصرخ بداخلها دون أن يصدرها عنها ولو همسة..

كانت تتوسل للمخلوق وتستعطفه..

كانت تسبه وتلعنه..

كانت تبكي دون دموع، وتترجاه أن يتوقف عن عقابها..

كانت تخبره بأنها لن تحاول الفرار مجددًا، وستتطعم الطفل كما يريد..

كانت تتألم وقد بلغت روحها حلقها..

كان ألم الجوع مبالغًا فيه..

إن أحشاءها تحرقها وتمزقها، وكأن هناك من يُدخِل أسياخًا حديديه محماة حتى الاحمرار إلى معدتها..

كان الألم يزداد مع مرور الوقت..

كان عقابًا رهيبًا..

أن ينقلب عليك جسدك ويصليك العذاب.. أي عقل شيطاني يتحكم في هذا المخلوق..

سحقها الألم ودمَّرَها معنويًّا إلى أقصى حد..

وبكامل إرادتها استجمعت كل ما تبقى داخلها من قوة وأطلقتها في صرخة عنيفة رجت جدران المنزل، ومعها عادت الرؤية وانقشع الظلام وهطلت دموعها كالمطر وتحرر جسدها، فهبت من رقدتها جالسة وأمامها وجدت صينية الطعام الخشبية قابعة أمامها كحلم لم تتوقع أبدًا أن يحدث..

وخلال ثوانٍ معدودة كانت جميع الأطباق فارغة، وجلست هي تنظر إلى الصحفة بعيون جشعة وهي تلهث في عنفٍ بعد المجهود العنيف الذي بذلته، كان طعم الطعام غريبًا ولكنه شهي..

أقرب إلى طعم لحم العجول الصغيرة ولكنه ليس لحم عجول.. كما أن هناك نكهة غريبة تجعله أقرب للدجاج..

إلا أنه أكثر حلاوة وملمسه لين أكثر..

تساءلت بداخلها: أي لحم هذا؟! ثم طرحت السؤال عن ذهنها مباشرة وكأنه لم يكن..!

المهم أنها قضت به على ذلك الشعور المضني بالجوع الذي كاد أن يقتلها مهما كان نوعه..

كان شكلها العام قد أصبح مزريًا، وشعرها قد انتفش وتناثر في غير انتظام، وكأنها مخبولة أو مجنونة..

نظرت حولها فوجدت نفسها قد عادت إلى غرفتها، وبجوارها رقدَ طفلُها الصغير الصامت وعيناه تتطلعان إلى سقف الغرفة في جمود..

نظرت نحوه في خوفٍ ورَهبةٍ، ولكنَّ خوفها ورهبتها لم يمنعانها من رؤية التغيُّر الجديد الذي يحدث له..

لقد كان ما يحدث أمرًا رهيبًا..

أمرًا يتحدى حدود العقل والمنطق..

فهناك وعند منطقة البطن تمامًا وأسفل الجلد الوردي الناعم، كان هناك شيء ما يتحرك ويروح ويغدو..

كأن هناك شيئًا هلاميًا لا تراه.. يتحرك تحت الجلد ولكأن الخلايا تغلي أو تفور..

كان تغيُّرًا عنيفًا.. لأن زرقة رهيبة بدأت تغزو وجه الطفل، وشعر أسود حاد بدأ ينبت من تحت الجلد ويخترقه إلى أعلى، وكأن طفلها تحوَّل إلى قنفذ وقد شحذ أشواكه لتخترق جلده من أسفل إلى أعلى..

تجمدت مكانها وهي تتوقع في أي لحظة أن يتمزق طفلها، ويخرج من داخله ذلك المخلوق الذي كان يستحوذ عليه..

كاد قلبها أن يتوقف وهي تمد يديها إلى الطفل.. لتتحسس تلك الشعيرات التي كانت تتكاثر في سرعة رهيبة..

اهتزت أصابعها وهي تقترب بها في خوفٍ ورهبة وانتابتها رعشة هائلة أخذت تجتاح كيانها بالكامل وعقلها يصرخ:

- "ماذا يحدث للطفل؟! ماذا يحدث لصغيرها؟!"

لامست أصابعها تلك الشعيرات وانطلقت منها صرخة رهيبة حادة كادت أن تمزق أحبالها الصوتية، وأصاب جسدها ما يشبه

الصاعقة، فاندفعت من فوق الفراش لتصطدم بالحائط المقابل وتسقط أرضًا، وقد تمزقت شفتاها، وغمر الدم وجهَها من إصابةٍ غيرِ بالغة جرحت جبهتها، وزاغت عيناها وهي تتطلع إلى الظاهرة الجديدة التي تحدث للطفل، ولكنها لم تستطع الصمود أكثر..

وفقدت الوعي من الألم..

وعلى الفراش بدأت الظاهرة التي حدثت منذ قليل تكتمل..

لقد بدا وكأن ظلاً أسودَ مكسوًا بشعيرات سوداء سميكة يغادر الطفل للحظات، وكطفلٍ لم يتعلَّم الوقوف بعد يحاول الوقوف، ثم يسقط من جديد إلى الخلف ليمتزج بجسد الطفل من جديدٍ..لحظات وبدأ الهدوء يشمل الغرفة برعايته..

وكأنه السحر أخذت الشعيرات السميكة تتراجع إلى داخل الطفل عبر جلده الوردي، وأخذت الزرقة تخف تدريجيًا حتى تلاشت تمامًا، وعاد جلد الطفل صافيًا ناعمًا وكأنه لم يحدث أي شيء عنيف له منذ لحظات..

مع الهدوء حلَّق في سماء الغرفة تساؤل حائر.. ما معنى ما حدث منذ قليل، ما معناه؟، وظلَّ السؤال بلا جواب في انتظار أن تحسمه الأيام..

لحظات ودلفت السيدة "لورا" إلى الغرفة واتجهت مباشرة صوب "ليندا" وحملتها إلى فراشها في عناية، وضمدت جراحها بمهارة، واضحة تدل على أن لها باعًا في ذلك الأمر، وأنها ليست المرة الأولى

التي تقوم بمثل هذا العمل، وأعادت ترتيب الغرفة بمهارتها المعتادة، ثم غادرت الغرفة وأغلقت خلفها الباب، ثم توجهت إلى المطبخ ومباشرة توجهت صوب المنضدة الكبيرة التي تمدد فوقها جسد الطبيب القتيل، وأخذت تنزع ثيابه عن الجزء السفلي، غير الممزق، وبدأت تمزق في لحم الساق الأخرى استعدادًا لتجهيز الوجبة التالية..

التي اقترب موعدها..

وجبة ليندا..

- 4 -

"المهم أن نصل في الوقت المناسب.."

قالها "جايكوب" المعالج الروحاني لصديقة الشرطي "هاري" الذي ثبت بصره على الطريق، وخاصة مع السرعة العالية التي ينطلق بها ليقطع باقي طريق العودة..

همهم لـ "جايكوب" بمعنى أنه يأمل ذلك، ثم أخذ يتساءل عن السر الذي دفعه ليقطع كل هذا المسافة، ويغادر مدينته إلى مدينة أخرى، ويصطحب معه صديقه "جايكوب" إلى ذلك الخطر العظيم..

وكانت الإجابة الوحيدة والأقرب إلى الصواب أن "ليندا" قد راقت له وأنه معجب بها وبشدة..

لم يكن معروفه كاملاً هذه المرة إذًا.. إن وراء شهامته غرضًا آخر..

زفر فخرج الهواء ساخن من صدره فنظر "جايكوب" باتجاهه، وقال له بصوت هادئ:

- "هل أنت قلق؟!".

ضغط هاري دواسة الوقود في توتر، وهو يهز رأسه بطريقة ذات معنى وقال بصوت مختنق:

- "بالتأكيد إنني قلق، فـ "ليندا" في خطر عظيم".

نظر له "جايكوب" نظرة ذات معنى، فعاد ليعدل كلماته بسرعة، قائلاً بتوتر وحرج:

- "أقصد "ليندا" وصغيرها في خطر، والوقت ليس في صالحنا، كما أنني كلما أدرت الأمر في رأسي أثارت قلقي النتائج، فلو صدقت "ليندا" فيما قصَّتْه عليَّ، فنحن سنواجه بعلمنا القاصر قاتلاً جهنميًّا خرج من قلب الأساطير والظلام، قاتل لا نعرف هل ستصلح معه الطقوس المعتادة لطرد الأرواح الشريرة لتخرجه من جسد الطفل، فعالمنا كله، أم لن تستطيع ؟!

صمت "جايكوب" للحظات وكأنه يدير الأمر في رأسه على كافة الجوانب وقال:

- "علينا أن نسعى وليس علينا إدراك النجاح، وإن كنت آمل في النجاح لأنه هذه المرة يساوي الحياة.. إن كل هذه الأمور تقع بين يدي الرب، فلو كانت إرادته العليا أن ينجو الطفل، فسينجو ولو كانت إرادته ألا ينجو فلن ينجو مهما فعلنا، تلك أمور اتركها دائمًا للقدر، ولم يخيب ظني مرة واحدة.. ربما لم يكن لقاؤك بـ "ليندا" مصادفة كما تظن، ولكنه كان ترتيبًا قدريًّا لنساعد تلك المسكينة على التخلص من ذلك الخطر الاستثنائي.. ليست كل الأمور في هذه الدنيا مباشرة..

فالعديد من الأشياء التي لا قيمة لها يؤدي تراكمها إلى إحداث تغيرات جذرية وجوهرية على المدى البعيد، ولن أخفي عليك قلقي أو أدعي العكس.. إن الأمر مخيف بحق.. حتى إني أشفق على تلك المسكينة وصغيرها.. وأشفق على الأبرياء الذين سقطوا في براثن هذه القوى الشيطانية دون ذنبٍ أو جريرة".

خفض "هاري" من سرعة السيارة مرة واحدة، حينما لمح الرادار على البعد فكاد "جايكوب" أن يندفع عبر زجاج السيارة، لولا أن حزام الأمان ثبته فوق المقعد.

احتبس الهواء بصدر "جايكوب" للحظات وأخرجه في هيئة صرخة عالية:

- "احذر أيها المجنون.. أما زلت معتوهًا في القيادة كما كنت دائمًا؟!!"

ابتسم "هاري" ابتسامة شقية وقال معابثًا "جايكوب":

- "هل أفزعتك يا صديقي؟!!".

ثم أطلق ضحكة قصيرة متوترة واستطرد قائلاً:

-"لقد نجونا من الرادار، فلن أكون ضابط شرطة وأحصل على مخالفتيّ مرور في يومين متتالين، إن هذا سيضر بسمعتي، ومكانتي أمام نفسي.

نفث جايكوب الهواء من منخاريه غاضبًا وقال:

- "أن تكون ميتًا ذا سمعة طيبة في القيادة أفضل، أم حيًّا تتنفس عبير الحياة مع سمعه سيئة في القيادة أيهما أفضل الأرعن".

نظر له "هاري" دون أن يجيب، وهو يخفف من سرعة السيارة ليدخل الحاجز الأمني الأخير قبل دخوله للمدينة، ومع عبوره للحاجز بدأ القلق يهاجمه من جديد، فها هو على بعد عدة دقائق من مصدر القلق، ومعه معالج روحاني أثبت أمامه كفاءة في طرد روح شريرة.

فهل يستطيعان أن يوحّدا جهودهما، و يواجها معًا هذا الخطر القادم من ما وراء العالم؟!!

ظلت الأفكار تتصارع أيضًا بداخل رأس "جايكوب" وهو يفكر أيضًا في ذلك الخطر الكبير اللذين هما مقبلان عليه، وطرق مواجهته..

كان يؤمن بقدرته على التصدي لهذا الخطر، ولكنَّ خوفًا مبهمًا تسلَّل إلى قلبه دون مبرر، لقد قطع هو و "هاري" تلك الساعات الطويلة التي تلت حوارهما الأول، وكل منهما يحاول تجاهل الموضوع كلما فتحه الآخر، ولم تكن هناك محادثة كاملة بينهما.. فعلى ماذا يدل الأمر؟!

ساد الصمت السيارة، وغشي المكان قلقٌ عارم..

فالسيارة تقترب من الخطر تدريجيًّا، ولن تمضي إلا عدة دقائق، حتى يكون عليه أن يواجهه بصدره العاري..

أخذ "جايكوب" يردد بينه وبين نفسه بعض الأدعية، وبعض مقاطع من الإنجيل بصوت لا يكاد يسمع، وهو يعد نفسه نفسيًّا لما سيواجه..

كان يشعر بتوتر "هاري" الذي ازداد مع اقترابهما من منزل "ليندا"، ولكنه عمد إلى تجاهله.

استخرج "جايكوب" من جيب داخلي في ردائه عدة أوراق مطوية بعناية، وفضها وأخذ يراجع ما بها، ثم تأكد من وجود قنينتي الماء المقدس والصليب الفضي معه.

ومع انخفاض سرعة السيارة إلى درجة كبيرة تأكد من أنهما قد وصلا إلى المنزل المنشود، فتطلع بفضولٍ عبر الزجاج الجانبي لباب السيارة، والذي اكتسى بغبار خفيف لم يمنع الرؤية، في محاولة لاستخدام فراسته في معرفة أي منزل هو..

كان الوقت عصرًا والشمس تسطع في كبد السماء، وبرغم ذلك كانت هناك نسمة من الهواء البارد شعر بها "جايكوب"، حينما قام بفتح النافذة الجانبية تلمسًا لرؤية أفضل، وهي تلفحه على وجهه..

وحينما عجز عن تحديد المنزل استدار لـ "هاري" متسائلاً:

- "أين هو المنزل المنشود؟!".

كان الشحوب قد غزا وجه "هاري" وكساه لون عجيب، فدائمًا ما تكشف الشدائد عن شخصياتنا الحقيقة، وبأننا لسنا بنفس الشجاعة والصفات الأخرى التي نعتقدها في أنفسنا.

وهذا ما جال في رأس "هاري" الذي حاول أن يصدر صوتًا متماسكًا وهو يقول:

-"ليس المنزل هنا..!! إنه عند الناصية التالية لقد فضلت أن ننزل بعيدًا عنه قليلاً حتى لا نلفت الأنظار".

لم يجد "جايكوب" مبررًا لما فعله "هاري" إلا الخوف والقلق، فاكتفى بأن هزَّ رأسَه مؤمِّنًا على كلام "هاري"، وتقدَّم معه حتى

أصبحا على بُعد عشرة أمتار من المنزل المقصود، فأشار إليه "هاري" بيده، وهو ينظر إلى وجه "جايكوب" الذي شحبَ هو الآخر وعلاه ضيقٌ شديدٌ غريبٌ..

مما جعل "هاري" يتساءل بقلق وهو يوجِّه حديثه لـ "جايكوب":

- "ماذا هناك يا "جايكوب" إن وجهك ممتقعٌ، وكأنك رأيت شبحًا.. ماذا هناك يا صديقي؟!

قال جايكوب بصوتٍ حاول أن يجعله هادئًا كي لا يوتر هاري أكثر، إلا أنه خذله:

- "إن هذا البيت يحتوي على طاقة سلبية كبيرة، إنني أشعر بشيء شرير للغاية يسكن في هذا المكان.. شيء خطير للغاية".

ازداد وجهُ "هاري" شحوبًا وامتقاعًا وقال ثائرًا:

- "ألن تستطيع فعل أي شيء لهذه المسكينة وصغيرها، هل ستتراجع دون أن تحاول على الأقل؟!".

اعتلى وجه "جايكوب" ضيقٌ عارمٌ، وقال بغضبٍ شديدٍ:

- "مَن قال إنني سأنسحب أو استسلم.. أنا أشرح لك ما أشعر به فقط، لقد تأكدت الآن أن مهمتنا لن تكون سهلة بأي حالٍ من الأحوال، ولكني برغم ذلك لن أتراجع، لقد وهبت نفسي لخدمة الرب، وقطعت وعد على نفسي بمساعدة كل من يطلب مساعدتي أو يقع في محنة".

قالها ثم تنفس بصوت مسموع وقال لهاري:

- "لنتقدم فلكل دقيقة ثمنها.."

تقدم "هاري" و "جايكوب" من باب المنزل واستعد "هاري" لقرع الجرس، حينما انفتح الباب من تلقاء نفسه دون أن يكون هناك أحد وراءه، وكأن هناك من يدعوهم للدخول..

كان الأمر مخيفًا إلا أن "جايكوب" قال لـ "هاري":

- "انتظر أنت هنا ولا تتبعني، فالأمر سيدخل الآن في نطاق الخطورة والجد، ولا أريد أن أترك ورائي ما يشتتني، أو يعجزني عن الفرار إذا ما جد في الأمر جديد.. انتظرني خمس عشرة دقيقة، ولو لم أخرج.. اجلب معك كل شرطي في البلدة وأحرق المنزل على من فيه، إن ما أشعر به كم هائل من الشر لو لم يُعِنّي الرب عليه فلن يعينني شيء آخر".

حاول "هاري" أن يرفض إلا أن عين "جايكوب" الصارمة منعته من التمادي، فتراجع إلى الخلف وهو يشعر بإحساس مقبض ومشاعر شريرة تجتاحه، لتدل على صدق إحساس "جايكوب" وعظم الخطر الذي سيواجهه.

في حين شد "جايكوب" جسده، وقبض بيده على الصليب المعدني في قوة، ثم وبخطوات مرتجفة تقدم حتى عبر مدخل الباب إلى داخل الردهة، في نفس الوقت الذي أغلق الباب خلفه، وكأن هناك يدًا خفيه أغلقته، لتحاصره بالداخل.

انتفض "جايكوب" وجعلته أعصابه المشدودة كالياي يرتد وينفرد بسرعة رهيبة، وخاصة وإن إغلاق الباب المباغت قد وتَّره..

تقدم بحذرٍ إلى داخل الردهة وهو يتمتم ببعض الأدعية والتراتيل،

وكما حدث معه من قبل مرات ومرات في مواقف شبيهة، ثار أثاث المنزل وكأن له روحًا خاصة، وأخذ يندفع نحوه في عنفٍ.. في محاولة للنيل منه..

تفادى "جايكوب" منضدة خشبية ثقيلة كانت مندفعة نحوه في عنف، ولو أصابته لسحقته ولانتهت حياته على الفور، وهو مستمر في إطلاق الأدعية والترتيل..

كانت معركة ثقة وثبات وكان "جايكوب" يثق في قدراته لأقصى حد، وفي الرب لأقصى مدى..

دقائق قليلة لم تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وعاد أثاث المنزل إلى هدوئه المعتاد، وإن لم يرجع إلى صورته الطبيعة فقد تهشم بفعل تلك التصرفات النزقة من الروح الشريرة..

أخرج "جايكوب" زجاجة من الماء المقدس، وأخذ يغمر بها الطريق أمامه، وكأنه يصنع منها درعًا ليحميه..

كان لدى "جايكوب" سر لم يستطع أن يخبر به أحدًا من قبل حتى لا يتهموه بالدجل والشعوذة، فالطقوس التي كان يمارسها دومًا لم تكن مجرد قراءة لبعض النصوص التوراتية فقط، ولكن كان هناك بعض التعاويذ السحرية التي علمها له صديق قديم كان قد يستخدمها في طرد هذه الأرواح الشريرة من الأجساد المصابة، وهو لم يجد أي غضاضة في استخدامها، ولكن بطريقة سرية وفي أضيق نطاق، ما دام الهدف الأساسي هو القضاء على الشر..

ومع كل ما استخدمه وثقته المفرطة في ذاته، والتي تكونت بداخله

عبر عشرات التجارب المماثلة، إلا أنه يشعر من داخله أن الأمر كبير جدًا عليه، وكأنه يرتدي حلة واسعة فضفاضة تعوقه وتعرقله..

لقد اكتسب من كثرة ممارسته لهذه الطقوس شفافية خاصة تعينه دائمًا على تحديد قدرة الروح التي يتعامل معها، وقوتها الحقيقية.

فيتعامل مع الروح الشريرة بالطريقة المناسبة، ويسعى لإخراجها من الجسد المصاب دون إلحاق أذى بنفسه أو بالجسد المصاب.

ولكنه يشعر الآن بموجة شَرٍّ عنيفة تغلف المكان، ويشعر بأن هناك من يحاول أن يستحوذ على كيانه ووعيه، يشعر بأنه يخوض في مستنقع مليء بالأعداء المتربصين القادرين على كل شيء..

تقدم ببطء والاضطراب يغزو قلبه، فكل هذا الخوف والمشاعر السلبية، ولم يقابل بعد تلك الروح الشريرة..

ارتقى الدَّرَج بخطواتٍ حذرة وهو ينثر الماء المقدس في كل مكان وشفتيه ترددان خليطًا من الأدعية والتعاويذ المختلفة..

كان إيمانه بالرب بلا حدود، ولكن مع تقدمه بدأ إيمانه بنفسه وبقدرته يتلاشى، وبعد أن خطا خطوته الأخيرة، لم يكن إيمانه فقط هو ما تلاشى، فما إن انتهي من ارتقاء السلم وما إن أصبح بداخل الردهة، حتى شعر بأن هناك من يقف خلفه..

تلك العين الخلفية التي يملكها الجميع، والتي تؤكد لنا على حقيقة تلك الحاسة السادسة التي يملكها كل مخلوق حي بدرجات متفاوتة، أنبأته بوجود عدو سيهاجمه من الخلف..

أراد أن يستدير وأن يتفادى الهجوم الغادر.

ولكن الضربة التي أصابت صدغه كانت عنيفة، حتى إن مخه ارتج بداخل رأسه، وصعد الدم لعينيه، واختلط السواد بالضياء، وفقد "جايكوب" وعيه من فوره..

وبكل هدوء سحبت السيدة "لورا" الجسد الفاقد الوعي، وهبطت به درجات السلم بخشونة، وطريقة غير آدمية، فجعلت الجسد يصاب برضوض هائلة، وهي تسحبه من قدميه هابطة به صوب المطبخ، والرأس تصطدم بدرجات السلم في عنفٍ لتتفجر منها الدماء وتسيل لتغرق الدرج.

وبكل عناية حملته وأرقدته فوق المنضدة الكبيرة الموجودة في المطبخ، بجوار تلك الجثة الممزقة غير واضحة المعالم..

جثة الطبيب..

فيبدو أن ليندا لن تعاني من نقص اللحم لفترات طويلة..

- 5 -

مرَّ الوقت على "هاري" ثقيلاً طويلاً مُملاً، وهو واقف خارج المنزل متخذًا ساترًا من جدران البيت المقابل، وهو يتابع الأمر في قلقٍ دون أن يرى شيئًا، أو يشعر بحدوث تحسُّن..

فقط سمع صوت تهشم أشياء عديدة، وكأن هناك "بلدوزر" يحطم أثاث المنزل دون هوادة.. لحظات وساد الصمت من جديد حاملاً معه القلق والتوتر..

أخذ "هاري" يؤنب نفسه بشدة لأنه ترك "جايكوب" يخوض هذه التجربة بالغة الخطورة وحده، ولكنه حين أعمل عقله في الأمر، قرر أن ينتظر حتى تمر الدقائق الخمسة عشر كما طلب، ثم يطلب دعم من قسم الشرطة الخاص به.

سرح بأفكاره كثيرًا مع "ليندا"، تلك العصفورة الرقيقة التي تمر بمحنة لا قِبَل للرجال بها، وتذكَّر نظرة عينها الدافئة الخائفة، وهي تطلب منه المساعدة..

لقد خفقَ قلبُه ساعتها بطريقة لم يعتَدْها برغم أنه لم يظهر ذلك،

ومع دفء نظراتها، شعر بشيءٍ دافئ يتسلل ليغمر قلبه، ويوقظه من غفوته ليريه النور الجديد الذي أضاء حياته..

كان متأكدًا من أن ما حدث كان حبًّا من أول نظرة..

لقد تخطى الأمر بالفعل مرحلة الإعجاب، فالشيء الذي يجبر الشخص على قطع هذه المسافات الكبيرة متجاهلاً طلب جسده للراحة متجاهلاً الخطر المحيط به.. لا يُسمَّى إلا حُبًّا..

بالتأكيد هو الحب..

الحب ولا شيء آخر..

أفاق من غفوته فنظر إلى الساعة بفزع، كان قد مرَّ ما يربو على العشرين دقيقة، فغزا قلبه خوف شديد جعله يتساءل:

- "هل تعرَّض "جايكوب" لخطرٍ ما، أم إنه بالداخل يسيطر على كافة الأمور، ويحاور هذه الروح الشريرة؟ هل يسمع كلامه ويطلب تعزيزات؟! أم يتقصى الأمر أولاً حتى لا يصبح مجالاً للسخرية أمام زملائه؟!"

لو لم يكن الأمر يستدعي ما سيطلبه، إن الأمور السحرية والغيبيات لا تحظى بالاحترام الكافي في هذه الأوساط التي لا تتحدث إلا بمنطق القوة، والرصاص الذي ينهي دائمًا أكبر المشكلات.

بالطبع لم يكن ليستمع لصوت العقل والمنطق، وقرر أن الموت أهون عليه من الظهور بمظهر البطة المذعورة أمام زملائه.

شهر مسدسه، ثم اقترب بحذرٍ من المنزل، وقد استرجع في عقله كل تدريباته السابقة، التي تلقاها في مركز التدريب الخاص بالشرطة..

بالطبع لم يهاجم المنزل من الأمام، ولكنه دارَ من حوله في محاولة منه للوصول إلى الباب الخلفي الذي يطل على الحديقة الصغيرة، ويقود نحو المطبخ..

اقترب بهدوء حذر والمعدن البارد للمسدس يمنحه ثقة وأمانًا معتادًا، فهو يعرف أن أي كائن في الكون لن يصمد أمام تلك الرصاصات الملتهبة، حتى ولو كان شبحًا..

عبر السياج الخشبي المطلي بطلاء أبيض حال لونه، والذي يرتفع لمتر أو يزيد قليلاً، والذي يحيط بكامل الحديقة، ثم توارى خلف بعض النباتات القصيرة، وهو ينصت لما حوله، وحينما تأكد أن المكان آمن، اقترب من الباب الزجاجي الخلفي، والذي يقود إلى المطبخ مباشرة..

قبض على مسدسه بيديه في قوة، وسند ظهره على جدار المنزل الخلفي، ومدَّ يديه يعالج الرتاج غير المغلق، وشهر مسدسه وقفز داخل المطبخ، ثم تراجع كمن تلقى لكمة هائلة، واستدار في سرعة وأسند رأسه إلى الحائط المقابل، وأفرغ كل ما في معدته بعنف شديد..

فقد فاجأه مشهد الجثة الممزقة، والملقاة فوق الطاولة دون أن تغطى، وجثة "جايكوب" المكبلة بحبل بلاستيكي قوي، والتي تسيل منها الدماء في بطء وثقة..

شعر "هاري" بغضبٍ شديدٍ، وقرر أن يهاجم الشر الذي يسيطر على المنزل مهما كانت هيئته وأن يقتص لصديقه، حتى ولو كان الثمن هو حياته ذاتها.

وهم بمهاجمة المنزل إلا أن أنة ضعيفة صدرت عن صديقه "جايكوب" جعلته يلتفت نحوه بسرعة ولهفة.

كانت عيناه زائغتان والدماء تغرق وجهه بشدة، وهو يحاول أن يخبره بشيء إلا أن إرادته لم تسعفه، فأشار إشارة ذات مغزى توحي بأنه يريد الذهاب إلى الخارج..

تجاهل "هاري" مشهد الجثة الممزقة وهو يشيح بوجهه في اشمئزاز، ويحمل جسد "جايكوب" النحيل على كتفه، وينطلق يعدو به خارج المنزل في ذعر واضح صوب السيارة، ليتوجه بها إلى المستشفى القريب، وأثناء عدوه المحموم أوقفته قبضة خشنة قوية، صاحبها صوت خشن مذعور:

- "ماذا يحدث هناك هل "ليندا "بخير؟!"

لم يوقف اندفاع "هاري" إلا سماعه لاسم "ليندا"، فتوقف فجأة، حتى كاد أن يهوي أرضًا، ويسقط من على كتفه جسد "جايكوب" المصاب، والذي عاد النزيف ليزداد من رأسه..

نظر هاري بغضب إلى مصدر الصوت، فرأى أمامه رجلاً أشيب الشعر في الخمسينيات من العمر، وله لحية بيضاء معتنى بها، ومنظار طبي أنيق، وإن كان قديم الطراز، وفي عينيه نظرة ذعر شديد..

بادره هاري بنظرة متسائلة، وقال بغلظة، وهو يعاود سيره نحو السيارة:

- "من أنت ومن أين تعرف "ليندا"؟!"

قال الرجل ذو اللحية:

- "أنا "روبرت ستامفورد" والد "ليندا".

وأشار إلى موقع يبعد عنهم بضع ياردات وقال:

وهو يشير إلى شخص آخر في مثل عمره متواريًا خلف مقو
سيارة ضخمة:

- "وهذا صديقي "بيل ماكسويل"".

كان قد وصلا إلى موقع سيارة "هاري"، فأعان "روبرت" "هاري" على إدخال جسد "جايكوب" إلى السيارة، وجلس بجوار على المقعد المجاور للسائق، وأشار بيده لصديقه "بيل" ليتبعه..

انطلقت السيارة، وقد سبب احتكاك الإطارات صريرًا عاليًا، وترك آثارًا واضحة على الأرض المعبدة..

ارتسمت نظرة مذعورة على وجه "روبرت ستامفورد" وهو يسأل هاري بقلق:

- "ماذا يحدث هناك أيها الرجل وما مقدار الخطر الذي يتهدد ابنتي؟!"

أجاب "هاري" بغلظة وقلقه يتصاعد على صديقه الذي ينزف بغزارة:

- "أولاً اسمي "هاري"، وليس أيها الرجل.. ثانيًا إن ابنتك في خطرٍ شديدٍ وقد حاولت مساعدتها أنا وصديقي "جايكوب"".

وأشار بيده للخلف حيث يرقد "جايكوب "، والذي أحاط "روبرت" رأسه بضمادة صنعها من ردائه وهو يستطرد:

- "وكانت هذه هي النتيجة".

ثم قص عليه كل ما يعرف، وبعد أن انتهى طلب منه "روبرت"

أن يوقف السيارة معتذرًا عن عدم اصطحابه للمستشفى، لينزله ليعود إلى ابنته التي هي في أشد الحاجة إليه الآن، وطلب منه راجيًا أن يذهب بصديقه إلى المستشفى ثم يعود بكل مساعدة ممكنة..

وغادر روبرت السيارة، التي توقفت على جانب الطريق، وحاذتها السيارة التي يستقلها صديقه "بيل ماكسويل" الذي فتح قفل الباب، فدلف روبرت إلى السيارة ليتخذ المقعد المجاور لـ "بيل"، وهو ممتقع الوجه وابتدر "بيل" قائلاً:

-"إن الأمور مشتعلة و "ليندا" في خطر عظيم، والخطر هذه المرة يختلف كثيرًا عمّا كنا نجابهه، لقد أخبرني ذلك الرجل "هاري" أنه وصديقه المعالج الروحاني حاولا أن يساعدا "ليندا" ضد ذلك المخلوق الذي استحوذ على جسد صغيرها وسيطر عليها، ولكن صديقه أصيب ولا يعرف مصيرها حتى هذه اللحظة، ولكنه شاهد جثةً لرجل آخر ممزقة بالداخل ومفقود منها أجزاء كثيرة.

- "إن الأمور تتطور مع الوقت.. تتطور إلى الأسوأ.."

قال "بيل" بصوته الرفيع الذي يُشبِه صوت النساء:

- "إذًا لنرتب الأمور في أذهاننا قبل أن نُقبِل على عمل أحمق متهور يضيع معه كل ما سنبذله من جهد.. وربما أكثر".

زمجر "روبرت" في غضبٍ وقال:

- "ولكن ابنتي، وحفيدي في خطر عظيم".

قال "بيل" بصوت العاقل:

- "لا داعي للتسرع الآن يا "روبرت" دعنا نناقش الأمر أولاً ونتخذ أفضل القرارات لمصلحة ابنتك وحفيدك، ثم إننا لن نجازف

بحياتهم فقط، ولكن سنجازف بحياتنا أيضًا، ويجب أن يكون لهذا قيمة، ولا يجب أن يذهب كل هذا هباء.

صمت "روبرت" وعيانه مغرورقتان بدموع لم تنهمر فاستطرد "بيل" قائلاً:

- "إنك أخبرتني أثناء قدومنا أن المخلوق الذي واجهته من قبل يختلف الآن عن هذا المخلوق، وإن كان يمتلك كامل قدراته أليس هذا صحيحًا؟!".

هز "روبرت" رأسه بمعنى أن الكلام صحيح، فاستطرد "بيل" قائلاً:

- "وتقول إنك قد أعدت المخلوق السابق إلى عالمه بمساعدة تلك التعويذة، التي منحك إياها ذلك الساحر اليهودي الخبيث".

هز "روبرت" رأسه من جديد، وهو غارق في التفكير، وكأن هناك شيئًا بصدره يخشى أن يفصح عنه، فعاد "بيل" ليكمل بصوته الرقيع:

- "إذًا الآن نحن نواجه مخلوقًا آخر له نفس القدرات، وربما ينتمي لنفس العالم الذي ينتمي إليه المخلوق السابق، ولكنه هذه المرة يستولي على جسد الطفل لينمو معه".

هز "روبرت" رأسه في نفاد صبرٍ وقال:

- "نعم.. نعم!!"

فعاد "بيل "الذي يمتاز بطولة البال ليكمل:

- "إذًا فإنَّ أصل المخلوقين واحد وهي اللعنة القديمة".

قال روبرت:

- "نعم..".

فقال بيل:

-"إذا ربما تصلح هذه التعويذة في طرد الخطر الذي عاد مع حمل ابنتك".

سحب نفسًا عميقًا من سيجارة بنية رفيعة أشعلها أثناء حديثه وقال:

-"إن ما نريد هنا الآن أن نعرف لماذا عاد الخطر من جديد؟! ومَن أعاده؟! ولماذا؟!".

أشعل روبرت سيجارته بعود ثقاب خشبي، وقال محتقنًا من أثر ابتلاعه للدخان:

-"ربما كان عندي تفسير لما حدث، وربما لا يكون هو التفسير الصحيح".

أشار "بيل" بيده بمعنى هات ما عندك، والتصقت بعينه نظرة مهتمة فضولية، فأردف "روبرت" قائلاً:

- "ربما اللعنة لم تنتهِ مع التعويذة تمامًا، لأني لم أنهِها بالطريقة الصحية".

نظر له "بيل" بدهشة وقال:

-"كيف حدث ذلك؟!"

أخرج روبرت نفسًا كبيرًا من السيجارة وهو يتطلع إلى منزل ابنته في شفقة عبر زجاج السيارة المتسخ وقال بإحباط شديد:

-"كان الشرط الأساسي لإتمام التعويذة أن يراق دم أم وابنها ويختلطا مع إنهاء التعويذة، وهذا هو ما لم أستطع فعله برغم تلك

القسوة التي تسللت إلى قلبي في تلك الأيام التعيسة، فربما فسدت التعويذة حتى إنها جعلت طريقة تجسد المخلوق تختلف، أو استدعت مخلوقًا آخر ليكمل اللعنة أو أي شيء لعين آخر، و مع مولد طفل "ليندا".. قرر المخلوق أن يقضي على العائلة بأكملها لينال حريته.. بعد أن وجد طريقة ما للانتقام باستحواذه على جسد الصغير".

قال "بيل" بصوت يائس:

- "إذًا لا يوجد أمامنا حَلٌّ إلا إتمام التعويذة بالطريقة الصحيحة، فأنت لا تتوقع مساعدة من ذلك المخلوق لينال حريته؟!!"

هز "روبرت" رأسه وقال:

- "إنه لم يعد نَفْس المخلوق، ولم يعد يتعامل بنفس الطريقة.. لا وسيلة إلا بالقضاء عليه".

تنهد "بيل" في يأس وقال بصوت مضطرب:

- "إن الأمور أصبحت أكثر تعقيدًا الآن، ويبدو أن الأمر لا نهاية له".

ساد الصمت بينهما لبرهة ثم انتفض "روبرت" قائلاً:

- "اتبعني لن أنتظر أكثر من هذا، يجب أن تنتهي هذه اللعنة مهما كان الثمن!!"

وبداخله كانت خطة تتكون..

خطة دموية.. خطة ستقضي على الشر..

ومن جذوره..

- 6 -

اجتاحت الرؤى عقل "ليندا" بعنف فور استيقاظها، حتى إنها ألهتها عن الآلام الشديدة، التي كان من المفروض أن تشعر بها في ظهرها، وخاصة بعد الارتطام العنيف الذي تسبب لها فيه ذلك المخلوق الشيطاني الذي غادر جسد الصغير، وتلك الكدمة الزرقاء التي لم ترَها ولكنها تشعر بوجودها.

لقد عاشت كل لحظات خوف "جايكوب"، وكل الآلام التي شعر بها، حتى إنها كادت أن تفقد الوعي من فرط الألم والرعب.

إن الأمور تتطور بعنف والمخلوق يرتب لشيء رهيب بالتأكيد.

إن إحساسها بالوجود الشرير قد تضاعف، وشعورها بالخطر قد وصل لذروته.

هناك شيء ما يتم ترتيبه..

لقد أصبح المخلوق الآن أكثر قوة عن ذي قبل..

إنها تشعر بهذه القوة، ولكنها لا تدري كيف ولا سر قدرتها هذه؟

الأمور مختلطة في عقلها، كما أن تلك الرؤية الجديدة التي تراها ترعبها وبشدة.

فهي ترى نفسها غارقة في الدماء، وصغيرها وقد نحر أسفل قدميها، وهذه الرؤى تتكرر كثيرًا ومنذ استيقظت..

إنها لا تعرف ذلك الشاب الذي يرتدي مثل القس.

ولا تعرف ماذا كان يفعل في منزلها؟ ولا تعرف إلى ماذا انتهى مصيره. إن كل ما رأته أنه شخص كان يرغب في المساعدة ثم انتهى أمره.

مَن هو؟!

مَن أرسله؟!

ولماذا جازف بنفسه؟!

أسئلة تحتاج إلى إجابة.. ولكنها لا تهمها الآن..

إن ما يهمها أكثر ويخيفها أكثر هو تلك الرؤى الدموية التي تراها..

أهي تحذير من المخلوق الشيطاني أم هي رؤى مستقبلية..

إن الأمر في كلتا الحالتين مخيف..

شعرت بأن الأمور تسوء، ولكنها تأكدت بأنها لم تسؤ تمامًا، فهي تشعر بحرية أكبر من السابق، وكأن المخلوق لا يبسط سلطانه عليها الآن..

انحنت إلى الأمام في محاولة منها للنهوض إلا أن ألمًا شديدًا اجتاحها كتيار كهربي شديد، لقد ظهرت على السطح إصابة ظهرها، وها هي تعلن عن نفسها وبعنف..

لفت يدها إلى ظهرها تتحسسه وقد بدأت تتعرق.. وتتوتر..

الإصابة عنيفة ولكنها ليست خطيرة..

إنها تستطيع أن تتحمل الألم، ولكن ليس لوقت طويل، هي بحاجة إلى عناية طبية دون شك.

نظرت إلى جوارها لتشاهد الصغير، فانتفضت بعنفٍ وكأنما أصابتها صاعقة قوية، فأمامها كان مشهد عجيب يحدث..

مشهد بالغ الغرابة..

فالطفل كان ينام في هدوء كعادته، ولكنه هذه المرة لم يكن في مهده، برغم أنه لم يكن بعيدًا عنه.

فصغيرها كان يسبح في الهواء، معلَّقًا فوقه في دائرة محيطها المهد، وكان الجسد ينبض وكأنه تحول إلى قلب كبير..

كان مشهدًا مذهلاً ومُقلِقًا..

فما يحدث كان يتجاوز ساحة المنطق إلى ساحة الغرابة والاستحالة..

كيف لهذا الصغير أن يفعل ذلك؟!

ما هي بالضبط مقدار القوة التي يملكها هذا الكائن الشيطاني الشرس؟!

وما دلالة ما يحدث؟!

هل سيتحرر الكائن من جسد طفلها؟!

هل اقترب الوقت؟!

هل سيظل الصغير حيًّا بعد هذا الانفصال؟!

امتقع وجهها وأصبح في لون الطباشير، وهي تفكر في عمقٍ، إلَّا أن تفكيرها هداها إلى شواطئ الحيرة والخوف من جديد..

عادت لتسلِّط بصرها على الصغير، وهي تتابع تلك الظاهرة العجيبة، وهي تحدث في انتظام..

كان الجسد يسبح عاريًا في بطء وسكون، و في كل لحظة كانت

تنطلق منه تلك النبضة الصامتة، وكأن هناك شيئًا يسبح بداخل الجسد الصغير، ويضغط على الجلد في محاولة للخروج.

ضغطت على نفسها، وهبطت من فوق الفراش، واقتربت من الطفل في بطء وهدوء..

كان فضولها يلتهمها مع مزيج آخر من الخوف والإشفاق على صغيرها الذي يمر بمثل هذه التجربة العنيفة..

اقتربت أكثر..

وأكثر..

ثم أطلقت صرخة عنيفة وتراجعت إلى الخلف..

لقد شعرت بأنها اصطدمت بحاجز طاقة خفي، ما إن لامسته حتى سرت في جسدها شحنة مؤلمه اعتصرت قلبها..

تأوهت وهي تبدل يدها على مواقع الآلام التي انتشرت في جسدها..

إذا فالمخلوق يراقبها كما تراقبه هي..

لقد تركها تقترب ليشعرها بالأمان، ثم انقضَّ عليها كما يفعل القط بالفار..

فما إن يظن الفأر أنه قد نجا حتى يمل القط اللعبة وينقض عليه ويلتهمه..

تركها تتقدم ولكنه لم يسمح لها بالتمادي..

إنه يعابثها أو يلهيها حتى ينتهي أمر ما..

إن ما يحدث يدل على حدوث تغيُّرات كبيرة..

يدل على أن الشر يمتلك الآن قوة أكبر ويسعى لامتلاك المزيد..

عادت لتجلس على طرف الفراش وهي تتساءل بداخلها: كيف ستساعد صغيرها وهي غير قادرة حتى على لمسه؟!

وحتى إن كانت قادرة على لمسه.. كيف ستساعده؟!

إنها عاجزة والأمر معقد حتى إنها تتعجب لأنها ما زالت على قيد الحياة وسط هذا الهول الذي يحدث..

أحست بحرارة تجتاح جسدها فنظرت نحو الصغير واتسعت عيناها في ذهولٍ.

فالظاهرة لم تتوقف عند هذا الحد..

إنها تتطور..

وتزداد خطورة..

- "تبًّا!!!".

أطلقتها في سخطٍ، وهي ترى التحول الجديد الذي يجتاح جسد الصغير مع ارتفاع درجة الحرارة باضطراد بداخل الغرفة..

لقد أحاطت بالجسد العاري للصغير هالة صفراء باهتة، وبدأ يتصاعد حولها ما يشبه الضباط الرمادي..

كان هناك شيء ما يتكون ويتشكل..

شيء شرير بكل تأكيد...

انتفضت واقفة وهي تتجاهل كل الآلام التي تشعر بها، وعيناها تتسعان أكثر وأكثر وتنفسها يزداد صعوبة، ودقات قلبها تدوِّي، وكأنها تتصارع مع كل لحظة تمضي.

ماذا يحدث؟! إن الأمور تخرج من يدها أكثر!

ما سر هذا التحول الغريب الذي يمر به الطفل؟!

ثم ما هذه الحرارة العالية التي جعلت جو الغرفة خانقًا مشتعلاً؟!

وجاءت الإجابة العنيفة دون انتظار..

فكما حدث في المرة السابقة والتي ما زالت تكذب نفسها على أنها رأت ما رأت ووضعتها في مخزون الهلاوس في عقلها، أخذ ينبت من جسد الصغير شعيرات سميكة تشبه أشواك القنفذ، وأخذت تخترق جسد الطفل، وتخرج منه دون نقطة دماء واحدة، حتى تحوَّل الطفل إلى ما يُشبِه كرة من الشوك..

كاد قلبها يتوقف وهي ترى ما يحدث..

فما يحدث ليس له سوى تفسيرٍ واحدٍ فقط؛ المخلوق سينفصل عن الصغير ويعلن عن نفسه صراحة..

المخلوق سيتجسد خارج جسد الصغير، ولكن هل يتحمل ذلك الجسد الهش ما يحدث..

ظلت متخشبة في مكانها، وأنفاسها تعلو وتهبط من الخوف والقلق..

حاولت أن تنهض، ولكن إرادتها خذلتها، فعادت لتستوي على طرف الفراش، وهي تشاهد بوجه ممتقع التحول الإضافي الذي يتم بإصرار..

فبعد أن تحوَّل الطفل إلى شيء بشع مليء بالشعيرات الكثيفة، توهجت من حوله تلك الهالة الصفراء الباهتة، وأصبحت أكثر

سطوعًا وتألقًا وازدادت سرعة دوران الضباب الأسود، وفي لحظة واحدة حدثت عدة أمور مختلفة..

انفصل المخلوق عن الطفل، وانطفأت الهالة الصفراء، وانسحب الضباب الأسود ليخترق جسد المخلوق، ويستقر بداخله وكأنه لم يُوجَد من الأصل..

شهقت "ليندا" في خوف وفزع، وهي تنظر إلى ذلك المخلوق المتوحش الذي تجسَّد أمامها في حجمٍ يفوق حجم الطفل مرتين، وكأنه كان مضغوطًا بداخل الجسد الهش للطفل.

وإن ظل جسد الطفل طافيًا للحظاتٍ، ثم هبط في رفق فوق الفراش، وهو مغمض العينين مما يشي بأنه راح في ثبات عميق..

هل ستفقد الوعي الآن؟!

كان هذا هو السؤال الذي أخذ يلح على عقلها دون هوادة..

إن هذه العيون الضخمة تسلبها قوتها وقدرتها على التفكير الصائب..

لقد تجسَّد الوحش أمامها ماحيًا من مخيلتها كل شيء إلا وجهه الشرير..

ماذا سيحدث الآن؟!

هل سيقوم بافتراسها هي والطفل أم أن مهمتهم لم تنتهِ بعد..

شلَّ الخوف عقلها ولكن إجابة أسئلتها لم تتأخر كثيرًا..

فما حدث بعدها كان مذهلاً..

ومخيفًا..

- 7 -

"لا نعرف متى قد يفيق من هذه الغيبوبة"

قالها الطبيب في حيادية وكأنه يتحدث في أمر عادي روتيني يحدث كل يوم لا في حياة شخص آخر، مما جعل "هاري" يقول في قلق وحنق كبيرين:

- "هل حجم الإصابة كبير؟!"

مط الطبيب شفتيه، ثم ارتدى نظارة طبية بدون إطار، وخفض رأسه ليطالع الملف الورقي الذي يحمله وقال:

-"لن أخفي عليك شيئًا؛ فالأمور ليست مبشرة تمامًا، فقد تهتك جزء من المخ مع وجود كدمات كبيرة في قاع الجمجمة، وقد قمنا بعمل جراحة كبرى ناجحة من أجل السيطرة على النزيف، وقمنا أيضًا بعمل رتق لثقب في الرئة،كما تم إعادة كتفه لموضعها بصعوبة.. لقد عومل جسد صديقك معاملة سيئة جدًّا..

ابتلع الطبيب ريقَه ثم عاد يكمل بعد أن خلع نظارته الطبية عن وجهه:

-"إن صديقك لم يمت بسبب مهارتنا، ولكن لإرادة عُليا وحكمة لا نعلمها، والتشخيص العام.. أنه لو مرت عليه اثنان وسبعون ساعة دون حدوث أيٍّ تدهور في حالته أو مضاعفات، فأرجِّح القول أنه سيعيش ولكن تحديد مقدار الضرر وتبعاته تحتاج لوقتٍ أكبر.. وفحوصات أكثر؛ لذا أنصحك أن تعود لتستريح أو لتعود لتنهي أعمالك، فالأمر سيأخذ وقتًا كبيرًا، وعند حدوث أي تطور سأخبرك بالهاتف على الفور".

شكر "هاري" الطبيب والذي لم يرفع حديثه من معنوياته بمقدار ما جعلها تهبط، وألقى نظرة أخيرة مشفقة، وحزينة على صديق عمره "جايكوب" الغارق في الغيبوبة، والذي تحيط برأسه ضماداتٌ بيضاء كبيرة وهزَّ رأسه في أسى، ثم نظر في ساعته الرقمية وشهق.

لقد مرت عليه ساعتان وهو هنا بجوار صديقه.. لقد نسي تمامًا أمر "ليندا" وصغيرها.

نسي أنهم في خطر عظيم وبحاجة لكل عون..

اندفع كالمجنون عبر أروقة المستشفى، حتى إنه كاد أن يصطدم ببعض الأطباء، والمرضى المنتشرين في ممرات المستشفى أكثر من مرة، ولكنه لم يبالِ بهم أو بردود فعلهم الغاضبة..

اندفع هابطا الدرج بسرعة كبيرة، حتى وصل إلى المرآب الذي يغص بالسيارات، وأخذ يتلفت حوله في توتر حتى حدد موقع سيارته، فاتجه نحوها، وقطع المسافة التي تفصلها عنها عدوًا، وأدار محركها في سرعة وانطلق كالصاروخ ليقطع الكيلومترات القليلة التي

تفصله عن منزل "ليندا".. وقلبه يدق في عنف، و قلق، وخوف، وتوتر، وكأنه يعزف سيمفونية الفزع والضياع.

قام "هاري" بالاتصال بالقسم التابع له أثناء قيادته المتهورة للسيارة، ومن فرط تشتته طلب الرقم عدة مرات قبل أن يصل للرقم الصحيح.

وأثناء استغراقه في طلب الرقم كادت أن تدهمه شاحنة عملاقة، ولولا نفيرها المزعج العالي الذي أخرجه من عالم التشتت وأعاده لعالم الواقع، فتفاداها في اللحظة الأخيرة، ونجا من موت مُحَقَّق كاد أن يسلبه حياته..

كان الاتصال قد انقطع فعاود الاتصال من جديد بالرقم وعينه هذه المرة على الطريق، أجابته ضابطة الاتصال فأعلمها برقم شارته ورتبته وطلب منها أن تصله بالمأمور على الفور.

وفي جزع وسرعة أخبر المأمور بما يريد إلا أن المأمور أصرَّ على أن يعرف القصةَ بالكامل، وأخبره بأنهم تلقوا بلاغًا سابقًا وكان كاذبًا، وهو لا يرغب في أن يصبح رجاله لعبة في أيدي العابثين..

تمالك "هاري" نفسه بصعوبة وباختصار وإيجاز أخبر المأمور بالقصة كلها، والتي لم تجد قبولاً لديه، إلا أنه أجابه لطلبه وخاصة بعد أن أبلغتهم المستشفى بوصول "جايكوب" المصاب..

بالطبع لم يصدق المأمور القصة، ولكن حاسته الأمنية أخبرته بوجود شيء مريب وغامض يحدث، وهو لم يكن ليترك أي شيء قد يهز سمعته أو سمعة قسمه؛ لذا فقد أمرَ بعض رجاله بالذهاب

للعنوان مرة أخرى، والوقوف على حقيقة الأمر الغامض الذي يحدث في ذلك المنزل..

أنهى هاري اتصاله برئيسه بعد أن تأكد من أن التعزيزات في الطريق إلى المكان المقصود، وعاود القيادة بجنون أكثر، وانطلق كالصاروخ بالسيارة التي أخذ محركها يئن، وكاد أن يصطدم أكثر من مرة مع هذه السرعة المفرطة، حتى وصل إلى منزل "ليندا"، فأوقف السيارة بحدة ولولا جودة وقوة الفرامل لانقلبت السيارة، وفقدَ هو حياته..

أخذ يلهث بعنفٍ شديدٍ، وهو يشعر بأن قلبه سيقفز عبر فمه من الانفعال.

نظر ناحية المنزل الجاثم في سكون.. وقد صدمه أن جديدًا لم يحدث..

كان أول ما لفت انتباهه هو الهدوء التام الذي شمل كل شيء، حتى إنه ردَّد في مرارة بينه وبين نفسه:

- "وكأننا في مدينة الصمت العظيم".

والشيء الآخر الذي لفت انتباهه أكثر وزاد من قلقه هو السيارة الضخمة الخاصة "بروبرت ستامفورد"، وهي واقفة بجوار الرصيف صامته كقبر وخالية من أي حياة.

كان كل شيء هادئًا وصامتًا ومنذرًا بشرٍّ غريبٍ..

إنه يخشى أن يكون هذا الهدوء هو الذي يسبق العاصفة، والذي تتبعه دائمًا كوارث لا تُحصى.. سحبَ مسدسه للمرة الثانية في ليلة واحدة وتوجه بخطوات مصممه نحو المنزل..

كان الباب الخارجي مفتوحًا على مصراعيه وكأنه فم الموت الفاغر، وبدا وكأنه يدعوه للدخول مما زاد قلقه وجعل الأدرينالين يزداد في جسده، ويتدفق في خلاياه ليجعله أكثر تحفزًا وعصبية..

تقدَّم من الباب أكثر، ثم أسند ظهره إلى الجدار المجاور للباب، وهو يقبض على مسدسه المشهر في قوة..

توقف للحظات صامتًا وسحب نفسًا عميقًا، ثم عبر إلى داخل المنزل، وهو يدير عينيه والمسدس بسرعة في كل مكان لمجابهة أي خطرٍ قد يفرزه منزل الموت..

فاجأه منظر الأثاث المحطم والمتناثر في كل مكانٍ، كما فاجأته تلك الرائحة الخانقة التي سيطرت على المكان، والتي كانت بالتأكيد تنبعث من المطبخ -حيث الجثة الممزقة التي بدأت في التعفن.

ولكن الشيء الذي جعل ذعره يصل إلى منتهاه، هو الدماء التي تناثرت في كل مكان وأغرقت كل شيء..

تقدَّم بحذرٍ نحو الدرج، وارتقى درجاته في هدوء حتى لا يصدر عنه أي صوت قد ينم عن وجوده، وينبِّه الموجودين بالمنزل.

كان خائفًا ولكنَّ خوفَه على "ليندا" كان يفوق أي خوف آخر..

وكان متوترًا..

فالهدوء الشديد هذا ينبئه بوجود خطر متوارٍ سينقض عليه في أي لحظة.

شدَّد قبضته على المسدس في قوة، وانتهى من ارتقاء الدرج ووقف مذهولاً أمام المشهد البشع الذي برز أمامه فور تخطيه الدرج..

كانت جثة "بيل ماكسويل" صديق "روبرت" ملقاة في منتصفة الردهة مهشمة الرأس والأضلاع وحولها بحيرة من الدم المتخثر..

تجاوز المشهد بصعوبة، وعبر بحيرة الدم في وجلٍ، واندفع نحو أول غرفة صادفته وكانت خالية.. تركها وانقض على باب الغرفة الثانية، التي كانت مغلقة واغتصب قفلها في عنف شديد..

وكان المشهد الذي رآه بالخارج أرحم بكثير مما شاهده بالداخل..

ففي ركن الغرفة البعيد ووسط الأثاث المبعثر كانت السيدة "لورا" ملقاة، وقد سحقتها الخزانة الكبير سحقًا، وحولها بحيرة أخرى من الدم المتخثر، ولا يظهر من جسدها إلا أجزاء صغيرة مخضبة بالدماء..

أثاث الغرفة كان محطمًا وكأنما قابله إعصار هائل..

وفي ركن آخر كانت هناك آثار لسناج ودخان ناتجين عن حريق محدود تم احتواؤه، وبجوارها بقايا ذراع بشرية مبتورة ملقاة في إهمال..

بالقرب منها رقد "روبرت" وهو ينزف من مكان ذراعه المبتور، و يبدو أن الحياة فارقته..

كاد أن يجن وهو يرى هذه المذبحة العنيفة، التي لم تترك أي شيء على حاله..

نظر حوله في هلع وخوف وهو يبحث عن "ليندا" فوجدها خلف الفراش تئن وصدرها غارق في الدماء من أثر شظية خشبية كبيرة اخترقت صدرها في عنف، وبين يديها رقد الطفل الصغير ووجه يحمل زرقة خفيفة توحي بالموت كانت تنوح وأنينها يمزق نياط القلوب..

لقد شحب لونه من فرط الدماء، التي فقدها وفي منتصف العنق كان هناك جرح سطحي كبير ناتج عن آلة حادة..

نظر حوله في ذهول وعقله يكاد يتوقف عن العمل..

لقد سقط الجميع..

انتزع هاتفه اللاسلكي في جزع وطلب سيارات إسعاف، وهو ينزع قميصه ويغطي به صدر "ليندا" ليوقف نزيف الدماء، ويده الأخرى وضعها فوق يد "ليندا" التي كانت تجاهد في يأس لتوقف نزيف جراح الصغير..

كان يشعر بالضياع وانعدام الحيلة..

لقد حدثَتْ مذبحة كبرى منذ دقائق في هذا المكان..

ولكن هل انتهى الأمر؟!

أخذ يبكي كطفل صغير يشعر بضعفه بشدة..

حاول أن يساعد "روبرت"، ولكنه كان بذلك سيتخلى عن "ليندا" وصغيرها.

ولم يخرجه من بحر الضياع، والحيرة إلا زملاؤه من رجال الشرطة الذين اندفعوا بصحبة المسعفين، ليسيطروا على الوضع وينقلوا الجميع إلى المستشفى..

وفي ذهن الجميع دار سؤالٌ واحدٌ لم يجد إجابة شافية..

ماذا حدث في هذا المكان..

ماذا حدث؟!

الخاتمة

وبعد مضي أسبوعين..

وفي أولى ساعات الصباح تسلل شعاع الشمس بهدوء إلى داخل غرفة المستشفى الصغيرة، ليغمر كل شيء ويداعب وجه "ليندا" المغطى بعدة لواصق طبية، ويجبرها على الاستيقاظ في تلك الغرفة الضيقة، التي حجزت بداخلها هي وصغيرها ليتلقوا العلاج من الإصابات الجسيمة، التي لحقت بهم بعد تلك الحادثة الرهيبة..

فتحت الأم عينيها في كسلٍ واضحٍ، وابتسمت لنفسها في دعة، وهي تتمطى لتساعد عضلات جسدها على العمل بعد ساعات الخمول والنوم، وبطرف عينها تطلعت للصغير الذي ينام كالملائكة، ثم عادت لتبتسم من جديد..

فبرغم كل الأحداث المأساوية التي مرت بها، إلا أن وجهها المجهد زانته بعض النضارة..

لقد انتهى كل شيء..

وبرغم ما تركه الأمر من ضحايا وآلام ومشكلات إلا أن الأمور استقرت أخيرًا..

أو على الأقل أمورها هي..

إنها تُرضِع صغيرها الآن دون خوف أو قلق، ودون أن تتهدد حياتها، وتستمع لبكائه المزعج الذي حرمت منه، والذي أصبح كدويٍّ نغمات الموسيقى بداخلها..

لقد استقرت الأمور، وحفظت القضية، وجاء ذلك الأمر من جهة سيادية عليا أحيطت بكامل الأمر وتفهمته بعد مجهودٍ عنيفٍ، وتم إصدار قرار شديد الصرامة بعدم التعرض لهذا الموضوع بالنشر.

أثبت "هاري" أنه رجل يستحق كل الحب الذي نما بداخل "ليندا" نحوه، وخاصة بعد أن عرفت موقفه، وبعد أن صارحها بحبه ذات ليلة مقمرة في المستشفى..

الحب كائن رقيق ينمو بسرعة وسط المشكلات، والمِحَن تقوِّي أواصر المشاعر الدافئة والاهتمام المتبادل..

ويبدو أنها برغم كل الكوارث التي حاقت بها.. كانت على ذلك الموعد..

مع الحب الحقيقي.

قطع عليها أفكارها بكاء الطفل الجائع..

الطفل الذي نجا بمعجزة.. فبرغم الدماء التي فقدها، والتي سالت عبر إصابة عنقه إلا أن أجله لم يكن قد حان بعد لقد كتبت له النجاة وعاد طبيعيًّا كأي طفلٍ آخر

- "بل أجمل من أي طفل في الكون.. إنه طفلها".

هكذا حدثت نفسها..

ألقمت الصغير صدرها، والذي زالت عنه كل الالتهابات السابقة، وكل الإصابات..

وأخذت تتأمله في حنان وحب..

انتهى الطفل من وجبته فعاد للنوم، فأرقدته بجوارها على الفراش، وعادت برأسها إلى الخلف لتنعم من جديد ببعض الاسترخاء..

لا تعرف كيف غفَتْ من جديد، ولكنها استيقظت بعد عدة دقائق على طَرقات خافتة على الباب المعدني، فرفعت رأسها في كسل وقالت:

- "ادخل يا مَن بالخارج".

فتح الباب لمسافة قصيرة، وأطل من خلفه وجه "هاري" المبتسم، فأشرق وجهها.

دعته ابتسامتها للدخول مرة أخرى، فدفع الباب بجسده ودلف عبره، ثم أخرج يده اليمنى من خلف ظهره حاملة باقة ورد جميلة تفوح بالعبير..

انطلقت ضحكة رائقة من بين شفتي "ليندا" كالموسيقى لتجعل قلبه يرقص على نغماتها وهي تقول في سعادة:

- "ورد من جديد، إنك هكذا تدللني، وقد أعتاد الأمر فيرهقك.. أو تمل".

اندفع "هاري" نحوها ووجه يغمره البِشر وقال:

- "يا ليت الأمر بيدي لكنت جعلت لكِ الدنيا كلها زهورًا ورويتها من شلالات حبي".

مدت يدها في دلال إليه فقبلها، ثم غرقا سويًا كلٌّ في عين الآخر، وقطع عليهما هذه اللحظة الرومانسية الجميلة دخول ممرضة شقراء تحمل طعام الإفطار.

ابتسمت الممرضة في خجل لأنها قطعت مثل هذه اللحظة الجميلة، فوضعت الصحفة أمام "ليندا"، وناولتها الدواء المخصص لقبل الإفطار وانصرفت مهرولة..

نظرت لهاري من جديد في حب وشكرت الله في سرها على أنه عوضها خيرًا، ولمح "هاري" اختلاجة شفتيها فقال لها:

- "هل تحدِّثين نفسك؟!".

ابتسمت ابتسامة غمرت وجهها كله فأضاءته وقالت بسرعة:

- "كنت أتساءل بيني وبين نفسي عن موعد الخروج؟!".

قال لها هاري في سرور:

-"يومان أو ثلاثة على الأكثر، هذا ما أخبرني به الطبيب أمس."

تنفست الصعداء وقالت:

- "أخيرًا..!"

قال لها معابثًا:

- "وهل مللتِ من زياراتي فتريدين أن تغادري؟!

كشرت في دلال وهي تقول:

- "كيف سمح لك قلبك لتقول مثل هذه الكلمات السخيفة، إن العمر لا يكفي لأقضيه بجوارك أنت إنسان نادر يا "هاري"".

تناول هاري يدها في تأثر، ثم طبع فوقها قبلة دافئة وقال:

- "وأنا لن أترككِ لتغيبي عن عيني لحظة واحدة.. إنني أحبك أكثر من حياتي نفسها".

تخضبت وجنتاها وسحبت كفها في سرعة من بين يديه وقالت بخجل:

- "وأنا أيضًا أحبك يا هاري، ولا أعرف كيف تعلقت بك بكل هذه القوة في هذه الفترة البسيطة التي قضيناها معًا، ولا كيف احتلَّ عشقك قلبي وسط كل هذه الأحداث الدموية والمآسي".

تنفس هاري "هاري" في هدوءٍ، وهو يسترجع تلك الأحداث المظلمة، والتي لم يشهد معظمها، وإن كان ما شاهده منها يكفي ليعزف عن رؤية أفلام الرعب طوال عمره، وقال:

-"إن المِحَن تصهر النفس، وتبخر منها كل الشوائب ليبقى منها تلك الأحاسيس البريئة، التي سرعان ما تتبلور وتخرج زهور الحب".

تنهدت وقالت بصوت حزين:

- "حقًّا يا "هاري" كما أن المحن تظهر معادن الرجال.. وأنت طيب المعدن حقًّا يا "هاري"..

نظر لها "هاري "في هيام وقال:

- "صدقيني يا "ليندا" لو أن حياتي هي الثمن، لتضيء البسمة في وجهك فلن أتأخر عن تقديمها بطيب خاطر".

غلبت المشاعر "ليندا" فكادت أن تبكي تأثرًا، إلا أنها فضَّلَت أن تغيِّر الموضوع وقالت:

-"كيف هي أحوال العمل معك يا "هاري"؟!"

لاحظ هو محاولتها فاستجابَ لها وقال:

-"كل الأمور على خير ما يرام، ولكن هناك أمرًا واحد يقتلني فضولاً، وأنت وعدتِني بأن تخبريني به".

تجهم وجهها وقالت:

- أما زلتَ مُصِرًّا على معرفة هذا الأمر البغيض؟!"

قال "هاري" بصوتٍ جادٍّ:

- "أخبريني هذه المرة فقط، وأعِدُك بأني لن أفتح الأمر مرة أخرى ما حييت".

نظرت في عينيه فوجدت الإصرار، فقالت بلهجة من غلب على أمره:

- "سأخبرك الأمر مرة واحدة فقط، فركز جيّدا لأني لن أعيد أيًا من تفاصيله أبدًا".

هز رأسه بالموافقة وقال لها:

- "هيَّا أخبريني!!".

أخذت نفسًا عميقًا، وأغمضت عينيها، وعادت بذاكرتها إلى تلك الليلة المشئومة ثم أخذت تسرد عليه الأمر..

قالت "ليندا" بصوتها المرتجف:

-"لم يكن وضعُ الطفل مستقرًا، لقد كانت تنتابه أشياء عجيبة ورهيبة لا تفسير لها، فأوقات كان يختفي، وأوقات أخرى كان يظهر من تحت جلده شعيرات سميكة ، ثم تتوارى، وآخر مرة رأيت ظاهرة لم تحدث من قبل..

قالتها ثم توقفت لتلتقط أنفاسها، فهمهم "هاري" لتكمل فابتلعت ريقها وقالت:

-"في هذا اليوم المشئوم استيقظت على رؤى عنيفة لذلك القس الذي لقي مصرعه، ورؤى مستقبلية عن موتي وموت الصغير أو هكذا فسرتها وقتها، ولكن ما إن استيقظت من النوم، ونظرت حولي أبحث عن الطفل، حتى رأيت الأمر الرهيب..

فالطفل كان طافيًا في الهواء ويدور في دائرة مكتملة حول الفراش، وتحيط به هالة صفراء باهتة وضباب أسود غريب..

اتسعت عينا هاري في تعجُّب، إلا أنه ظل صامتًا يتابع في تركيز وعاد يستمع لحديثها:

- "لحظات وتوهجت هذه الهالة الصفراء، واندفع الضباب الأسود لداخل الطفل، وتجسَّد ذلك الوحش الأسود أمامي.."

تسارعت أنفاسُها فرفعت عينها نحو "هاري" وقالت والدموع تغرق وجهها:

- "تجسد أمامي ولم أستطع أن أقوم بأي رد فعلٍ تجاه ما يحدث.. لقد تحولت لتمثال مذهول غير مصدق لما يدور من حوله، وفجأة ودون مقدمات انقض الوحش على الباب، وأطاح به بعنف ثم وجدته يكشر عن أنيابه وعينه الضخمة تتألق وينقض على شخصٍ ما".

- "ثم سمعت صوت صرخة عنيفة بعدها ساد الصمت للحظات، ثم توهجت النيران وسمعت صوت والدي وهو يردد كلمات عجيبة بلغة لا أعرفها، وأمامه يتراجع الوحش في غضبٍ، كان الوحش يتراجع وهو يزوم كالنمر الجريح، لقد كان والدي يردِّد تعويذة ما، وهو يشيح حوله بمشعل متأجج بالنيران، وفي يده الأخرى جركن مغلق به نفط.

كان صدرها يعلو ويهبط ولكنها لم تتوقف عن الحكي:

- "لقد كان والدي يردد تعويذة تحد من قوة الوحش، ولكنها لم تكن لتصمد للأبد؛ لذا فإنه كان يريد أن يغمره بالنفط ثم يحرقه، وخلال لحظات وتبدلت الأمور، ففجأة ظهرت السيدة " لورا" من الخلف كالوحش الهادر، وانقضت على أبي في عنفٍ، ليندفع فاقدًا اتزانه، ليسقط منه المشعل ويندفع الجركن المحتوي على النفط إلى ركن الغرفة.. بالطبع لم أقف مكتوفة الأيدي والخطر يتهدد أبي، الذي لم يتوقف لحظة واحدة في التمتمة بكلمات التعويذة، حتى وهو يصارع "لورا" بجسدها الضخم..

- "انقضضت عليها من الخلف وتعلقت بعنقها ونشبت أظافري في وجهها، فتركت أبي واستدارت لي، وأصابتني بضربة كالمطرقة لأندفع إلى الخلف ساقطة على ظهري لأصرخ في ألم، وبرغم إصابتي إلا أن هجومي كان ناجحًا فقط لمحت أبي يتحرر منها، ويخرج من طيات ثيابه مسدسًا ذا فوهة متسعة، ويصوبه إلى الجركن البلاستيكي المحتوي على النفط، ولكن دوى صوت "لورا" مرتفعًا مهددًا، لتمنعه من إكمال الأمر الذي ينوي عليه."

هطلت الدموع من عينها في غزارة ولكنها استمرت في الحديث:

- "دار المخلوق حول نفسه عاجزًا عن السيطرة على مجريات الأمور بعد أن أضعفته التعويذة، فاستخدم "لورا" لكي تنقذه، أخرجت "لورا" من طيات ثوبها سكين مطبخ عريضًا ووضعته فوق رقبة الطفل الصغير منذرة، ووقف والدي كالتمثال وإن ظلّ يردد التعويذة بقلبه.. ساد الصمت للحظاتٍ، ثم أشهر مسدسه بسرعة وأطلقه على كتف "لورا" فاهتز السكين في يدها وجرحت رقبة الطفل جرحًا سطحيًّا، فعاجلها أبي برصاصة أخرى وقال لي بصوت هادرٍ:

-"الخزانة يا "ليندا" الخزانة".

- "كان منظر "لورا" بشعًا وقد مزقت الرصاصتان جسدَها، وهي ما زالت واقفة على قدميها، ولكني لا أعرف من أين أتتني تلك القوة لأدفع الخزانة الثقيلة لتهوي فوق "لورا" وتسحقها سحقًا".

وفي هذه اللحظة دلف "روبرت ستيوارت" والد "ليندا" إلى الغرفة وذراعه المبتورة ملفوفة بالضمادات، وهو يبتسم وصافح روبرت بذراعه السليمة، وقبل ابنته التي مسحت دموعها بسرعة وقال:

-"كيف حالك يا صغيرتي".

ابتسمت ليندا في إشفاق وهي تنظر لبقايا ذراعه المضمدة وقالت:

- "بخير حالٍ يا أبي بخير حال ما دمت أنت بخير".

جلس والدها على مقعدٍ قريبٍ، وقال وابتسامة هادئة تشع من وجهه:

- "هل قاطعت شيئًا مهمًا؟!!".

قال "هاري" بخجل:

- "لا لقد كانت تقص عليَّ أحداثَ تلك الليلة المشئومة".

هز "روبرت" رأسه وقال:

-"إلى أين وصلتم بالأحداث؟!"

اندفع "هاري" يقول:

- "إلى اللحظة التي أسقطت فيها "ليندا" الخزانة فوق السيدة لورا لتسحقها أسفلها".

ظهر الحزن على وجه "روبرت" وقال:

- "دعني إذا أكمل حتى لا نجهد "ليندا".

ثم صمت قليلاً وكأنه يستعدي الذكرى المخيفة من تلافيف عقله، ثم قال بصوتٍ متوترٍ بادي الحزن:

- "شتت هجوم لورا ذهني لبرهة، فتوقفت للحظاتٍ عن ترديد تلك التعويذة القوية، التي تعلمتها في رحلتي القديمة، والتي انتهت بلقائي بالساحر اليهودي الخبيث، وفي هذه اللحظة انطلقت قوة المخلوق الشيطاني لتعبث بكل شيءٍ.. انفجر زجاج النوافذ، وتهشم الأثاث وأخذ يتناثر في كل مكان حتى إن شظية خشبية كبيرة اخترقت صدر" ليندا"، لتسيل دماؤها لتمتزج بدورها بدماء صغيرها، التي كانت تحاول أن توقفها دون جدوى".

- "واندفعت أنا إلى الجدار المقابل لأصطدم به في عنفٍ، ولكني قمت على الفور، وأنا أبصق الدماء التي ملأت فمي، ومن بين الدماء

التي غمرت وجهي لمحت ما حدث، فصرخت في غضب هائل، واكتسب جسدي العجوز قوة هائلة، فوقفت في منتصف الغرفة لأواجه المخلوق الشيطاني".

وعندهذه النقطة، أخذ روبرت يسعل بعنفٍ فأشفق عليه "هاري" وقال:

- "لتذهب لتستريح يا عماه".

كان الإرهاق باديًا على وجه "روبرت" فقام في وهنٍ وقال:

- "لقد أخبرني الطبيب بألا أتحرك كثيرًا، ولكني أصررت على مخالفة نصائحه، كي أذهب لأزور "جايكوب" الراقد في غيبوبته، وآتي لأراكِ يا صغيرتي".

هبَّ "هاري" من مكانه ليساعد "روبرت" إلا أنه أشار له بصرامة وقال:

- "سأغادر وحدي، ما زلت قويًّا أيها الفتى"".

جلس هاري على مقعده من جديد وقال:

-"عنيد بشدة أبوك".

ابتسمت "ليندا" في وهن وقالت:

- "ومِن أين أتيت أنا بمثل هذا الرأس الصلب؟!"

انطلق الاثنان يضحكان فاستغل هاري الموقف وقال:

-"لا فائدة من الهروب ستكملين أنتِ القصة."

اعتدلت "ليندا" في مكانها وقالت:

- "لا بأس، يبدو أن رأسك هو العنيد".

ابتسم لها ابتسامة ذات معنى، فأرجعت رأسها إلى الوراء، وذهبت بأفكارها إلى تلك اللحظات الحاسمة وقالت:

- "رفع أبي مسدسه الذي لم يفلته من يده لحظة واحدة، وأطلق رصاصة نحو المخلوق لم تؤثر به تمامًا، ثم أدار المسدس وأطلقه نحو إناء النفط فانفجر وتراجع المخلوق أمام النيران، تلك الزهرة البرتقالية التي تحمل لها كل المخلوقات الخوف الكبير".

-"تراجع المخلوق للحظات، فنظر أبي نحوي ونحو الصغير ليطمئن علينا فوجدنا ننزف في عنف، وقد امتزجت دماء صغيري بدمائي، وأنا منهارة وأحاول إيقاف تلك الدماء النازفة من عنق الصغير، ثم تذكر التعويذة وشرطها الأخير بأن تُراق دماء أم وطفلها.. لقد تحققت الشروط كاملة، ولم يبقَ إلا أن يردد تلك التعويذة، والتي حفظها عن ظهر قلب إلا أنه وزيادة في التأكد أخرج الرقاقة الجلدية من جيبه، وعلى وهج النار أخذ يردد ما بها من كلمات سحرية والمخلوق يزووم من حوله ويحاول الوصول إليه.."

- "وبالفعل وقبل أن يُنهي آخر كلمات التعويذة جمع المخلوق قوته وانقض انقضاضة أخيرة على "روبرت"، والتهمَ ذراعه القابضة على المخطوطة" ثم لفظَها في ركن الغرفة البعيد".

- "لم يشعر أبي بالألم للحظات ربما هي الصدمة، فظل يردد التعويذة التي يحفظها عن ظهر قلب حتى أنهاها، ثم سقط على ظهره يتلوي من الألم والدماء تغرق كل شيء حوله، والنيران تقترب منه بإصرار".

توقفت "ليندا" لحظة لتبتلع ريقها ثم أكملت:

- "وقبل أن يفقد أبي وعيَه بلحظات شاهدت دوامة سوداء عنيفة تتسع لتسحب المخلوق بداخلها، وتطفئ النيران المشتعلة، وهي تسحب كل الأكسجين من هواء الغرفة حتى شعرت بالاختناق، ثم توهجت الدوامة وتلاشت، وهدأ كل شيء، وبعدها فقدت الوعي، ولم أستيقظ إلا وأنا هنا في المستشفى."

قالتها ثم غرقت في نوبة من البكاء، فضمها هاري إليه وهو يقول:

- "لا بأس يا حبيبتي لقد انتهى كل شيء.. انتهى كل شيء."

انكمشت بين ذراعيه تتلمس الحماية والحنان، وساد الصمت بينهما تمامًا للحظات.. الصمت الذي يحمل تلك الرائحة العذبة..

رائحة الحب..

وفي الخلفية دوى صوت نات كنج كول الشجي:

"محبوبتي أنا أعشقك..

وأعيش حياتي من أجلك فقط..

وهذا كل ما أريده من الحياة..

أن أعيش من أجلك".

تمت بحمد الله

طقوس شيطانية

كان الأمر مخيفًا وبشعًا.
فأن تعبث بجثة ما.. شيء مرعب ومخيف!
وأن تعبث بجثة ساحر من ممارسي السحر الأسود شيء مفزع.
ولكن أن تنبثق نافورة من الدماء من صدر هذه الجثة لتُغرِق كل شيء رغم مرور قرون علي موتها وتحنيطها.. كان أمرًا مروِّعًا.. أمرًا لا يُصدَّق أبدًا.
ولكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، لقد كان ما حدثَ هو بداية الهول في هذه الليلة السوداء.

غلاف: أسامة علام